



بسم الله الرحمن الرحيم
 إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ

الجزء الثاني

من
 كتاب

الدين الإسلامي

أو

الدعوة الإسلامية

مؤلفه مؤلفه



محمد الحسين



كل كاشف النقاء النجفي

طبع في المطبعة النجفية

في سنة ١٣٠٤ هـ

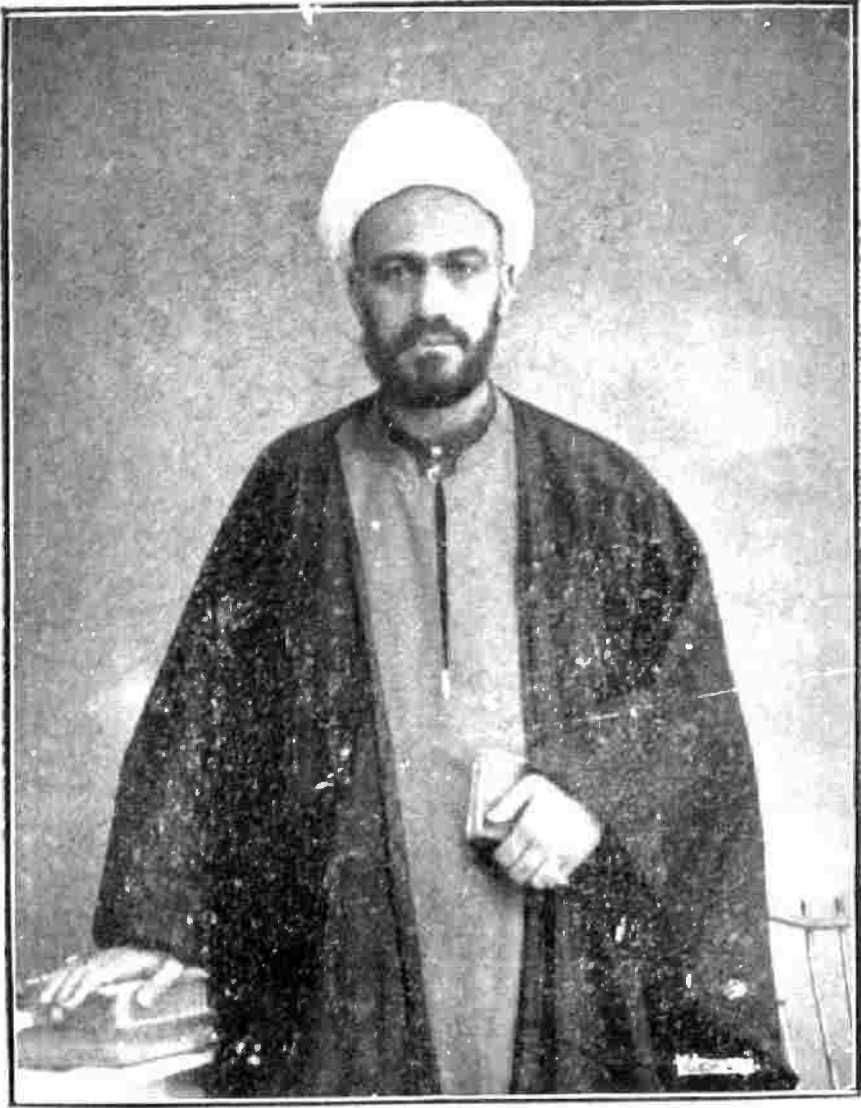
طبع في المطبعة النجفية



أحسن صورة للإنسان - ما كنز

بسم الله الرحمن الرحيم
ان كان حَقاً على المؤمنين - جعل مؤلفاتهم هدية
بابهم كبير من كبر الآ الدهر - فأني زعيم أكبر من
سيد الأنبياء (محمد) صلوات الله عليه
والله - حتى اجعل دعوتي هذه هدية
لروحانيته القدسه - فبلغها اللهم بالإعلاء
حسننا إليه وانفعني بها يوم الوفود إليك
وعليه -
كتبه بأعظم الدائرة
محمد حسين آل
كاشغري
البحري

رسم خط المؤلف



الانسان افكاره واراؤه لا صورته واءضائه

محمد الحسين



احسن صورة الانسان - ماكتب

شعري وشعوري ، وعواطفني ولطائفي

بني آدم انا جميعاً بنو اب	لحفظ التآخي بيننا وبنو ام
رايتكم شتى الخزايا بينكم	وما بينكم غير التضارب بالوهم
فلا حجب فيكم تمدد على حجي	ولا حزم منكم تشدد على حزم
وقد عطفني باللطائف نحوكم	عواطف جنس لم تنزل علة الضم
فأهديتكم بالود نصحي قانلاً	عليكم سلامي دايماً ولكم سلامي
والفت بين اسمي ورسمي راجياً	حياتها ان بات تحت الثرى جسمي
عساني اذا ابلى انال بذكركم	حياة وحسبي من حياتي ذكر اسمي
اروم بقاء اسمي ورسمي بذكركم	ولانا في اسمي الفدا ولا رسمي
خذوا ظاهراً من صورتي فضميرها	تصور من روح التحنن والرحم
يود لو ان الارض تصبح جنة	تفيئكم ظل السلامة والسم
وانتم كأملاك السماء محبة	تدود شياطين المداوات بالرحم
بني آدم رحماك في قبلكم	قد جزتم بري المقام الى الهشم
حناناً على هذي النفوس قانلاً	سلاوية من رشح ذياك اليم
وما اكثر الداعي بنا لهداية	وما للهدى من أسوى الهدى والهدم
نصدع في احوالنا جمع شمننا	ونسمى وكل نحو غايته يرمي
فيا صدع هذا الجمع هل من تلايم	ويا شعث هذا الشعب هل لك من لم
هلم نعيش بالسلم عصراً فأننا	قضينا عصوراً بالتضارب والدم
تخارس اذا الاذان صمت عن الدعا	فاضيع شي دعوة الصم والبكم
يقولون للأصلاح نسعى وربما	طلبت الشفا فأزدت سُقماً على سقم
اذا كانت الافعال نثرًا نظامها	فلا خير في نثر المقالات والنظم
وكل فتى ينبغي العلى غير اننا	كقمتنص صيداً يروم ولا يرمي

إبئك يا ابن الأرض في الليل لو عتي
سعدت هنا لما بعدت مسافة
تباعدت عن هذي الشرور فليت من
وإني وما في السعد والنحس فكري
يرحب صدري بالهموم لأنني
وما عزمتي نارا بزعمي وانما
سأمت حياتي مذ شهدت حقيقةتي
ولم ادر علمي ناعمي ام جهالتى؟
ارى أمما تدعو المعلوم لها ابا
وما كل عام يحلب السعد للفتى
اليكم بني الاديان مني دعوة
الى السلام فيكم والتساهل بينكم
أقطعتم رحم الأخاء واصبحت
وما بينكم كم من حقوق شريفة
جرحتم شريفات العواطف بينكم
فدونكم (شمري) ولست بشاعر
نظمت لكم افلاذ قلبي بدعوتي
اريد بكم خيراً وتنحو لشرها
وكل سمي نحو الحقيقة جاهداً
يقولون ان الدين فرق بيننا
وما ادعي في دعوتي فضل عصمة
ولكن بها اهديت نصحي قانلا

فانت اخي نيا اخالك وابن أمي
كأنك من شأن الانام على علم
نسيمك عيشي او بتربته جذمي
ولكن كأن النحس كان بها نجمي
ارى هممي تحو فيوقدها همي
حرارة انفاسي الزعيم على زعمي
واي حياة تمزج الشهد بالسم
ألا رب جهل كان انفع من علم
وفي درس علم النفس اكثرها أمي
ويرقى به من وهدة النقص للتم
دعوتكم فيها الى الشرف الجم
فيا حبذا شرع التساهل والسلام
جماعتكم شتى من الطعن والشم
وكم تشتكي تلك الحقوق من الهضم
وذاك الكلام المرتبني عن الكلام
ولكن (شموري) قد تجسم في نظمي
وافرغتها عن قالب الحب والحلم
نفوس على رغم الحقيقة اورغمي
ولكنما الغايات كانت الى الوهم
فيا لك من حيف ويا لك من ظلم
ولا استنزلت لي الشاردات من العضم
(عليكم سلامي دايا ولكم سلامي)

﴿له دعوة الحق﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي اَدْعُو الى الله انا ومن اتبعني
وسبحان الله وما انا من المشركين
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا
﴿محمد رسول الله﴾
(وحيٌ معجز)

الحمد لله رب العالمين وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ،
﴿محمد﴾ وآله وصحبه

﴿وبعد﴾ فهذا هو الجزء الثاني من اجزاء الدعوة الاسلامية وهوية كفل
بنشر مباحث ﴿الفصل الرابع﴾ في النبوة
ولكننا انما نخوض اولاً في انجاث النبوة الكلية ، وعموم البعثة ، ووجه الحاجة
اليها ، وحكم الاحساسات الصحيحة والوجدانات السليمة بها ، مقدمة
ومجازاً للدعوة الاسلامية والنبوة الخاصة بعد ان نوفي المقام حقته من بسط
القول في بواعث الرحمة التامة وعواطف العناية العامة ونهج الاساس
الوطيد لابتناء النبوة الكلية والشخصية حق يستبين ويتمثل لكل ذي بصر
وبصيرة ، انه ما المراد بالنبى ، وما وظيفته ، وما الجهة التي تقتضيه ،
وما العناية التي تترتب عليه ، وما الخاصة التي تعينه ويمتاز بها عن غيره
وما هي المعصمة ، وما حقيقة المعجزة وكيف تنخرق بها النواميس الطبيعية

وتنفك^١ من جرّانها الاسباب عن مسبباتها وتحوّل الاكوان عن مجاريها،
والاشياء عن عاداتها الى غير ذلك من المباحث العاليه والمقاصد الغامضه
والنظرات الفلسفيه من طريق العقل وسبيل الوجدان والاحساسات
الضرورية لكل احد وهي امام الدليل والبرهان - نعم كلي^٢ النبوه
واثبات الصانع وتوحيده غايات ما لغير العقل اليها من سبيل او دليل ابدا.
والاستدلال^٣ على صحة الشرايع او لزومها بمجرد اقوالها او حكمها بذلك
بحيث يكون الدليل على الشرع هو السمع كما ينسب الى البعض - قول^٤
لا ينبغي التعرّيج عليه ولا النظر اليه ولا الخوض في صحته وفساده اذا
فأنحتكك^٥ غرايز العقول ونقتني ونقف على مهابط اضوائها ومساقط
انوائها ومبرمات احكامها التي لا يجد ذو مسكنة عن الالتزام بها خلاصا ولا مناصا
(وللايضاح نهد في المقدمة امور)

نتوصل بها الى الغاية ونقف بعدها على الحقيقة (الاول) ان كل انسان
مهما كان يعلم من نفسه ضرورة انه قد وُجد في نشأة هذا الكون المحسوس
عريقا ولصيقا بثلاث صفات هن امهات الشقاء وينابيع الحسه وليكنها
اسبق شي^٦ اليه والصدق الصفات به واقدما عهدا بوجوده وهي كائنة مع
كونه وقبل اتصافه بكل حال وصفة - كل انسان يعلم انه وجد جاهلا
بكل شي^٧ = فقيرا من كل شي^٨ = عاجزا عن كل شي^٩ - جاهلا
حتى يجهله فضلا عن انه اين كان ومن اي شي^{١٠} كان . فقيرا حتى من الانتفاع
بسمعه وبصره واحساسه وشعوره فلا يمتاز عنده لون من لون ولا انسان
من انسان عاجزا حتى عن قوت ساعته وسائر بشرته واي شقاء وخسه
اكبر من هذه بيدانها ضريبة على البشرية وخاصه لازمة لا يتماص احد^{١١}
منها ابدا . يطوي الوليد على ذلك عدة من صفحات ايامه ولياليه

نعم قذف بالانسان من حلق لا يعلمه الى هوة لا يدرك قعرها ولا يسبر غورها ولا يدري الى اين غايتها فهو كخابط عشواء في ليلة ظلماء والانوار محيطة به سوى انه لا يهتدي الى سبل الانتفاع بها والتمتع فيها فهو ببدء مجرد البشره عادم القوه اعزل من كل سلاح حتى سلاح العقل والادراك اول صوته البكاء ، واقدم احساسه التألم ، وكل ما عنده العوز والحاجة ، رجلاه لا تحمله ، ويداه لا تطاوعه ، الحر يشويه ، والبرد يرديه ، وكل الكواين توتر فيه ،

ثم يدفع الى تيار هذا الكون اللجي ليخوض امواجه ويشق عبابه ساير يريدان يطوي مراحل ويقطع مجاهل على غير ابهة السفر ولا تعبقة الراحل نعم واكبر مصيبته الجهل واعظم بليته ضعف العقل واوفر متاعه الآمال والشهوات اخذ يتدرج ذلك السايح الضعيف السايح في غمرات هذا الكون وكما نما وشب ، واشتد وترعرع . اخذت وطأة تلك الحلال الثلاث التي هي امهات شقائه وينابيع بلانه تحف عنه من ناحية وتشتد عليه من مناحي - انفتحت له قبل كل شي ، ابواب خمس من الحواس الخمس فولجت الى نفسه منها احساسات جمّة وادراكات مهمّة وزعم كبيره ولذات كثيره ولكن هل خففت من شقائه . ام زادت في بليته وعنائه . فادخلت الهم الى قلبه والاحزان الى فؤاده والاهام الى خياله والاغاليط الى عقله وافقدته انفس ما كان عنده من الراحة والبساطه . والسذاجة والسلامه . والهناء والدعة . ولم يزل هكذا يتراوح بين الربح والخسران والزيادة والنقصان والتعب والراحة والغنى والحاجة . فكما اتسع ضاق نطاقه . وكما ترقه اشتد خناقه . (والسلاسل قيود وان كانت من ذهب) ، ولست انزع في مقامي هذا الى فلسفة اطوار الانسان وادواره جنينا وطفلا وياقفا وناشئا وعلما وشابا وكهلا وشيخا

وما يعتريه من التقلبات والاحوال والملكات واختلافه في المنازع والمطامح حسب اختلاف نشأته وادوار حياته كلاً، فإنها وإن كانت مباحث شريفة وفلسفة عالية ولكنني أجد ما اتوخاه من القصد يتسنى بيسانه دون اقتحام هذه العقبة، أو تلج تلك اللجة

إنَّ الغرض الذي أحاول وضعه أساساً أولاً لما بعده، ما هو إلاَّ أمر يمكن من البساطة والوضوح، والجلال، والظهور، ألا وهو أن الإنسان مهما اتسعت معارفه، وارتفعت مداركه، واستبحرت علومه، وتعاظمت مقدراته وتفاخمت قوته، وانبسطت ثروته وسعته، ما هو بالنظر الثانية إلاَّ مغموّر بالجهل، مرتطم بالمعجز، مرتهن بالبلال، معقود بناصيته الحاجة والعناء، والمشقة والشقاء، فأننا بالنظر الأولى وإن كنا نحسب أن تلك الحلال امسُ والصق بالولدان والاطفال ولكننا إذا انعمنا الفكر وامنّا النظر ومحصنا الجوهرات والحقايق وجدناها في الرجال أشد واقوى وأمر وأدهى إلا بربك الكريم أي إنسان من عامة البشر تقدر أن تقول عليه إن معلوماته أكثر من مجهولاته وقدراته أكبر من عجزه وغناؤه بذاته أوفر من حاجته، تدبر هذه الجملة ثم احكم ولا تبادر بالحكم قبل الغور فيها والوصول إلى اعماق تخومها فنكون بوادٍ وانت بأخر خذ إليك أشهر العلماء الاختصاصيين وأكبر الحكماء الراسخين من ذوي الموسوعات والاحاطات بعامة العلوم من الفايين والمصريين تجدهم كلما اتسعوا في العلم والمعرفة تظامنوا إلى الاعتراف بأن ما يجهلون أكثر مما يعلمون وما خفي عليهم أعظم مما ظهر لهم أما معرفة حقايق الأشياء فدعها ناحيه واتركها زاوية ولا تغترر بقولهم أن الحكمة معرفة حقايق الأشياء على ما هي عليه بعد استدراكهم ذلك بقولهم (بحسب الطاقة البشرية) والطاقة البشرية دون العروج

الى ذلك الشأ وبمسافات عجزت قواهم وقدرها عن تقديرها ببله تصويرها -
 خذها عني ناصمة بيضاء كفلق الصبح ان معرفة حقايق الاشياء بل حقيقة اي
 شي من الاشياء كتر مرصود ما أفلحت طلاسمة ولا رقيت عزائمه وهو من
 الغيب الذي ما ملكت مفاتحه ولا فتحت مغالقه الا لمن (عنده مفاتيح
 الغيب لا يعلمها الا هو) وانما المتيسر هو معرفة الاشياء بآثارها ولو ازمها
 لا بحقايقها وجواهرها وباختلاف الآثار نحكم باختلاف حقايقها فان
 تمايز الآثار آية تمايز المؤثرات والحقيقة الواحدة ذات اثر واحد والا لزم
 الخلف فتلطف وتدبر - نعم اذا كان الانسان على كتلات الليالي وربوات الايام
 لا يزال مستشرفا مشرأبا يعانى ويجهد في البحث عن معرفة حقيقة نفسه فلا
 يزاد الا حيرة ودهشة وتقاعسا ودحورا وكلاما سمي اليها أحسن بها جس يهتف
 به عند الباب موصود والطريق مسدود والطالب مردود فما ظنك به لو
 طلب معرفة غيره من الحقايق - واذا كان فلسفي الغرب يقول (كمال الادراك
 البشري انما هو بمعرفة ان هناك لانهاية من الحقايق التي لا ينتهي اليها ادراك)
 وفيلسوف الشرق يقول في آخر نفس من حياته "ما علمنا سوى اننا
 ما علمنا" والاخر يقول في خاتمة ايامه

(نهاية اقدام العقول عقال وغاية سمي العالمين ضلال)

فما بالك بغمار الناس وعامة السواد بل والخاصة والاختص

وعبثا حاول تسجيل هذه الجلية التي لا احسب ان احدا يدافني عنها
 او ينكرها علي - اذا فلنطبع على اذهاننا بالحروف الكبيرة (ان الانسان
 جاهل قبل كل شي وبعد كل شي) الانسان جاهل بتمام حقيقة
 اللفظ - لنرسم على الواح جبهاتنا ان الانسان مهما كان جاهل في علمه
 عاجز في قوته فقير في غناه فان هذه الحقايق الراهنة فضلا عن انها لو

امتزجت ابدا بشعورنا واستحضرتها بصفة دائمة مداركنا لحقت من شدتنا وكسرت من سورتنا واصلحت ذات بيننا ورحضت معرفة اكثر الصفات الذميمة عن اديم نفوسنا كالكبرياء والخيلاء والعجب والغرور والطيش وهام كذا وعلى مثل ذا نعم فانها فضلا عن ذلك سوف تنفعنا فيما نحن بسبيله فاتخذها اول حجر في اساس ماسياتي من المباني ان شاء الله

﴿الامر الثاني﴾ ان الانسان الذي قلنا عنه تلك الكلمة ونعتنا منه تلك الحقيقة ، وقذفنا به في هوة الحسة والحمول ، والجهل والحمود ، ولا نظن اننا تباعدنا في ذلك عن الاصابه ، ولا اخطأنا شاكلة الغرض ، ولا طاش سهمنا عن الهدف ، ولكن هل يحسن بنا السكوت على تلك الحقيقة وعدم تعديل هاتيك الخطه ، بتعريف الانسان شيئا من شأنه ، ومقدارا من حظه ، كي نؤدي له بعض حقه ، ونزيه موقع مركزه من هذه العوالم ومقامه من هذه الاكوان ، ونصيبه من الوجود ، وكفائه في كفة هذه الحياة فنكون قد ذكرنا خيره وشره وبعض ماله وما عليه فيجدنا واقفين امامه موقف العدل سايرين معه على محجة النصف غير باخسين حقه ولا غامطين قدره فمساه اذا عرف ما هو واين هو وماله مما هنالك نعم عسى الانسان حين يعرف شأنه في الوجود وعظيم مقامه في الكون ان تدب فيه روح النشاط ويتحرك في تأمور صدره دم الفيرة فيحافظ على مقامه الكريم ومركزه الوسيط فلا يندحر عنه رجيا ويندفع الى هوة الشقاء ذميا الانسان مهما جهل حقيقته وأعيا عليه معرفة نفسه وفتح كثره وحل رمزه واستكناه جوهره ذاته ومهما ضاع عنه سر وجوده وضاق ذرعا بمرفان سريره فانه لا يجد ربه ولا ينبغي له ان يجهل انه صفوة الاكوان وخلاصة العوالم وبذرة الكمالات وثمره الوجود ومجتمع الحقايق وينبوع الفضائل

والغاية التي ما بعد هاهنا من الخليفة غايه ولا لسواها من الايجاد قصد ولا اغنايه
ولا تحسبها الفاظاً فارغه وكلمات خاليه فانك ايها الانسان لو سبرت
الاكوان وقابلت ما في نسخة العالم الكبير على نسخة عالمك الصغير لرأيتك
نموذجاله وخلاصة منه تجددك جمادا ونباتا وحيوانا ومالكا وماديا وبجردا وماء
ونارا وهواءا وترابا ورحمنا وشيطانا وسبعاً وشاة وثعبانا وعقربا وثرثرا وقوسما
وهلم على هذامن كل محسوس ومعقول وحي وموات وساكن ومتحرك
افلست ايها الانسان انت الذي سخرت جميع ما في محيطك من
كائنات الماده ونباتات الطبيعة التي كنت كاحدها وانت واياها في ذلك
شرع سواها فما فتأت ان ذللت صوابها وطأطأت هضابها وما كنت
اعتنتها وذللتها لامرك وجملتها تحت حكمك واستخدمتها في منافعك
وشوء ونك سخرتها لك في كل شيء واستخدمت منها كل شيء على مرور
الدهور وازليات الحقب وما استخدمك منها شيء ولا سخرتك منها عزيمة
ولا امتنعت عليك منها شاردة فلم يستعص عليك بر ولا بحر ولا ارض
ولا سما ولا ماء ولا هواء فشارك الوحوش في فوائدها وسابقت الطيور
في اجوائها وخضت مع الحيتان في غمراتها فانت مع كل شيء وليس
معك شيء نعم على ناموس (رد الفعل) بينما انت المتصرف في الخليفة
والمتنفذ في مواليد الطبيعة اذ تأرت منك قرضها واستردت قرضها وتصرفت
فيك كتصرفك فيها ولعبت بك فوق الاعييك بها وحكمت عليك ولا
كحكمت عليها وما عمت ان القتك في مهبط حوادثها وتصاريق صروفها
ولا كالريشة في مهبط العواصف والذرة في زعزعة الريح القاصف تتدافعك
من صحة الى سقم ومن نتاج الى عقم ومن فرح الى حزن ومن يسر الى
عسر ومن شببية الى مشيب ومن قوة الى ضعف ومن جمع الى شتات

ومن حياة الى ممات حكم القاهر الجائر والحاكم الظالم والفساسي المستبد
لا بل خبط عشواء ووطاة عجما لا تعلم حتى ترحم ولا تسمع حتى تنفع - هنالك
أيها الانسان تهدد نمرتك وتسكن فورتك تتطامن الى ارض الهوان منكسراً
ذليلاً. وبيدنا انت متقلب في غمراتها مستسلم لامواج تيارها لا تملك لنفسك دفعا
ولا نفعا راجعت وجدانك وناجيت ضميرك وسألت ذاتك من اين اتيت
واين كنت والى اين سأكون وماذا يراد بي وماذا يراد مني ولكن لا تجد
سوى الخيرة او السكوت منها جوابا وعندها ترجع الى تلك الحقيقة التي
انبأناك ان لا يحيص لك عنها فتقول حقاً

(الانسان جاهل في علمه عاجز في قوته فقير في غناه)

ولكن على كل ذلك فهل تجد الانسان وانبا عن كفاحه ملقياً لسلاحه
باخما تحت اعباء الطبيعة خاضعاً الى الاستسلام لها والهدوء والسكون
طوع مشيئتها مصطبراً لسيطرتها تصرفه كيف شاءت وتجري عليه حكمها
كما ارادت كلاً ثم كلاً ان بين جنبيه وفي راسه جوهرين مجردين عن
فواعل الطبيعة مؤثرين فيها غير متأثرين بها فاز بهما الانسان وحرمت هي منهما
فبقيت ضمارة لا توجد وجماد الا تحس - الانسان ابنها بالامس ومايكها اليوم
والأهها في الغد افيجديه ذلك درء لخطوبها ودرعا لصروفها وجنة له من
وخزات حوادثها ونخسات كروبها ومييدات زعازعها وكاسحات قوارعها
من لك ايها الانسان بقلب فولاذي كما رضخته رواضخ الطبيعة بصخورها
ازداد صلابة واشتد تماسكا من لك بالشبات الذي تقف به امام تلك
الزعازع راسخ القدم ثابت الجنان هادى البال تزول الرواسي ولا تزول
وترتجف الحضارم ولا ترتجف من لك ان تقف ريثما تسكن زوابعها وتركد
اعاصيرها ويمود سموها لك نسيما وجاحها نعيما من لك بذلك وانت ذاك

التعرفُ الغضُّ الذي اغتردت بغضارة العيش ونضرة النعيم وزخارف الطبيعة
وركنت الى الدعة . والفت الراحة والسمه . ولم تحسب لغير هذا الحال
حساباً ولا اعددت لغيره عتاداً حتى تفاجئك تلك الملمات بغته وتأخذك على
غرة فتندesh لها مذعوراً وتموت بين يديها قبل موتك رعباً . فانت في بلهنية
العيش وعنجهية الفرور وهي من ورائك بالمرصاد لا تدفعها عنك مدافعك
ولا تدمرها دون تدميرك مدمراتك ، ولا تحلق بك عنها في سكاكك الهواء
طياراتك ، ولا . ولا . اذا فالى اين المفر وما هو اللجأ والوَزْر . وكيف
لنا بتحصيل السبيل الى الأمن من هذه الاخطار التي تتهددنا وتتهمد في
كل حين لنا **عمرُك الله الشقاء** . خلقنا وللعنا . وجدنا اباءة للبلاء .
ودريئة للارزاق . ومناحي للمحن . ومصباً للمصايب . ان كانت هذه هي
الغاية من كيائنا . وهي مبلغ جهدنا . ومتهى السر من وجودنا . فخي على
الانتحار بابني آدم . حي على الموت بالاراده ايها الانسان . قبل الموت
بالطبيعه فانه اولى لك واخرى بك واملك لراحتك وامكن بخلاصك
لا ولكن هوناً عليك وعلى رسلك فقد ذهب بك اليأس الى مذاهب
القنوط . ونبذك الهلع الى مهاوي القنوط . وهكذا انت ايها الانسان
لا تزال في جنف وانحراف الى الاطراف ، اما الى طرف التفریط او الافراط
وقلماً تقف على الاوساط ، وتلك احدى عظايمك ، بل احدى سخايمك ،
بل اشد رزاياك ومصايبك ، انت ايها الانسان نُشوء الرحمة لا السخط
وننتاج الرأفة والحنان ، لا القسوة والشئان انت بالرحمة أنشأت والى الرحمة
سوف تصير انت للسعادة خلقت والى السعادة يمكنك المسير انت
بالعناية كنت وبالعناية دبرك اللطيف الخبير انت كما انبأك بذرة السعادة
وفيك ينبوع ماء الحياة ودوحة ثمر الكمال ولكن كيف لك بالتربة

الصالحة لتُغرس فيها والتربية الصحيحة لتُنشأ عليها واتي لك بالزراعي
الماهر ليُحرثك ويسقيك ويستغل لك ما فيك ، فمنك الداء وفيك الدواء
وعندك السعادة ومنك الشقاء

ولكن من لك بمن يدفع هذا بذاك ، ويصف لك داءك ودواك لابل
يقتل داءك بدوائك ويفل بسعادتك حد شقائك ويصنع لك صنع من
طب لمن حب ويشفق عليك ولاشفقة أمك وابيك ويحافظ عليك حفاظ
الجفن على انسانه والصدر على جناحه من لك بالنطاسي الخاذق الذي
تكون انت على ثقة من معرفته بدخيلة امرك ونخيلة سرّك واصول
محاسنك وجذور مساويك الذي يعرف فضلك وفضولك وفروعك
 واصولك وسرك وجهرك وما به تعديل عناصرك وتوازن تراكيب
اسناخك وامشاجك فيرتببك التربية الصحيحة ويغرسك في التربة الصالحة
ويشذب فضولك وزوايدك ويستثمر بذورك واعوادك ويحملك هيكل
السعادة ومجسمة الهناء وساطان الطبيعة ومفتاح كنوز الماده

اما التربية والتهديب والتثقيف والتشذيب والتكميل والادب واللدانه
والتمرين فالحاجة اليها اليوم ومن ذي قبل قد بلغت الى مكان من الضرورة
والظهور اعاد القول فيها والحث عليها من الفضول وليس الانسان وحده
في امس الحاجة اليها واشد الارتباط بها والفقر لها حتى كانت لها هي هي
الانسان لا غيرها بل ذلك سار في جل اوكل ما في عالم الشهاده
والساريات في صراط الانتقال والحركة اي ارض تستغل ولم تُحرث
واي شجريثمر الطيب ، ولم يشذب ، واي حديد يقطع ولم يسن ولم يُدرب ،
واي جوهر يمانق جيد الحسناء او يرتقي قمة التاج ولم يسو ويثقب ، واي
ظاير يطرب بشدوه ولم يدرب ، نعم ربما تغلط الطبيعة او يشاء صانعها اظهار

قدرته فتوجد الحسن الكامل المستغني عن مديد التحسين اليه والتكميل له بل تعجز كل يد وكل قوة عن حكايته وتقليده وتصويره وتمثيله كجناح الطاووس وازهار الربيع والخان بعض السواجع من الطير ولكنه نادر والنادر لا يقاس عليه وعلى اي فان الطبيعة الحرقاء والمادة الصماء العمياء تعجز عن ان تلد المذهب الصالح الذي لا يحتاج الى تعديل واصطناع وهذه ضربة على كل مواليدها وابنائها لا يزال نتاجها خداجا في نقص وتشويه . وفوضى وتشويش حتى يستلمها الكائن الذي هو ارقى منها قدرا واسمى مقاما المجرد عن لوثها وخستها وعماها وجهلها وهو جوهر العقل المجرد الشاعر الحساس فانه اذا دخل ما بينها واستلم شيئا منها لم من شعنها واصلاح ما شاء من امرها حتى اصبح يريك المعجب المدهش منها ويبيدي لك كل يوم طرفة من الغرائب التي تخالها نوعا من الاعجاز او ضربا من السحر - وما هذا الكائن المحسوس المنتصب القمامة المتسمي بالانسان وما ادريه اهذا هو ام لا . - نعم كيف كان الانسان فها هو الآن احد كائنات المادة وفرد من افرادها يجري عليه ما يجري عليها فالترية والتهذيب ضرورة له والا فهو وحش من الوحوش او حشرة من الهوام او دابة من الانعام (ان هم الا كالانعام او اضل سبيلا) ولكن الشأن انه من هو المرابي له؟ والتمين باصلاحه ومن هو الطبيب النطاسي الخبير بدائه ودوانه الذي نكون على ثقة من صدقه ومعرفته ونأمن من خطأ خطواته وزلة افكاره من ذا الذي نجعله مهيمنا على نفوسنا ونضع في يده ايدينا متطامنين آمنين على هدو وسكينته وثقة وطمأنينه لا نخشى ان يزل في سيره بنا الى سبل السمادة فيهوي بنا الى هوة الهاككه ومتالف الهوان ومعاطب الشقاء فان الطريق دقيق والفج عميق والسير مخوف

والعقبات الوف، والتربية التي نوعز اليها ونقول عنها ليست هي التربية الفردية ولا البيتية او العائليه وانما نعني بها تربية النوع وسنّ قوانين اصلحية لعامة البشر على اختلاف الدهور والعصور وترامي الليالي والايام وعليه فلننظر هل في تلك العقول البشرية والمدارك المادية التي صنعت في الكون ما ابدعت وبرعت به وقرّبت بالابداع والاختراع كلّ بديع وبميد ولكن هل تستطيع ان تنهض بتلك الوظيفة وتقوم بذلك المبدأ هل يستطيع العقل المجرد من جهة - المادي من اخرى ان يكون هو المصلح العام والمربي الكلي والمهذب للنوع هل في وسع العقول وملكوها ان تسنّ لنا الشرايع والنواميس التي تتكامل بصالح شؤنا في الحاضرة والآخرة في الآداب والاخلاق في الاكتساب والاقتصاد في الحدود والمجازات في القصاص والديات في المعاملات والحيويات من المطاعم والمشارب وتميز النافع منها والضار والمؤثر منها في سوء الاخلاق وفساد الطباع او الامراض المزمنة والآلام الموبنة ولو بعد حين وما لا يؤثر شيئاً من ذلك - هب ان ندوة الشورى جمعت لك عقلاء العالم لهذه الغاية من سنّ القوانين وتشريع الشرايع ولكن من لك بان يتفقوا وان اتفقوا فمن لك بان يصيبوا وان اصابوا فمن لك بالثقة باصابتهم حتى تطمئن القلوب وتسكن النفوس وتتمشى تلك الشرايع في الناس رغبة واختياراً لا إكراهاً واجباراً وقسراً وقهراً على ان دون وقوع كل واحدة من هذه الفروض بل دون امكانها لعقبات كؤود ومهامه سود لا يخرقها الوهم ولا يطرعها الخيال ولا يأتي عليها وميض الخطرات

اي عقل يخرق بنوره غيابة المستقبل الحالك ومغبة هذا الكون المدهم الذي كانا هو ذلك البحر اللجي الذي يغشاه موج من فوقه موج من

فوقه - حجاب ظلمات بعضها فوق بعض = أي نافذ فكر يستطيع اقتحام ظلمات الغد ليجعل للأمم المستقبل شرعة ومنهاجا - يضع لها مشروعا يلائم طباعها ويناسب اذواقها ويوافق مقتضيات احوالها ومناسبات شؤنها ويضع في عهده كلتا سمادتيها وقام شؤن ونشأتها - أني للعقول بذلك فضلا عما لو حاولت ان تجعله واحدا لكل المصور ولجميع الشعوب ولقاطبة الأمم هذا مما يستحيل ان تهتم به العقول او يخطر لها على بال

ان هذه العقول البشريه اذا توجهت تلقاء تلك الظلمات وارادت ان تلمس علم شيء من المستقبل وقت حيرى متبليده لا تسمع لها احسيدا ولا ترى لها حركه ولا تخطوا الى الامام خطوة واحده الا ان تتوكل على اعواد قصبه من اعمال القواعد الجفرية او الرمايه او التعويل على التفرسات والتهجسات من حدس او تخمين ولا ادري اتخطو على ذلك خطواتين ام ثلاث . تعوج فيهما ام تستقيم

طال بنا المقام ونخشى ان نشط عن القصد وتفوت الغايه والقصارى ان المتحصل لنا من تمهيد هذين الامرين الاساسيين عدة نتائج لا نطن ان في واحدة منها مجالا للشك او موضعا للارتباب (الاولى) ان الانسان مهما كان لا ترال تكتفه وتحيط به دواير من الشقاء الصقها به . واقربها اليه واقدمها عهدا فيه دايرة الجهل والعجز والفقر (الثانيه) انه وان كان بطبعه في اسفل دركات الحسّه ولكنّه بجوهري عقله ونفسه مستعد لأعلى درجات الكمال والعزه ومتأهل للعروج الى اقصى مراتب السعادة (الثالثه) انه في احوج ما يكون الى التربية الصحيحه في التربه الصالحه نعم واشد من ذلك حاجته الى المربي الكامل الجامع لصفات مخصوصه وعلامات معلومه (الرابعة) ان ذلك المربي لا يسمنا ان نفترضه هو عقل الانسان بنفسه ولا

عقول سواء من عامة البشر حتى ولو اجتمعوا قليلا او كثيرا وكان بعضهم لبعض ظهيرا فاحتفظ على هذه النتائج وانتظر لتمام الكلام في (الامر الثالث) من الأسس والدعائم. وذلك انك ربما وقفت على أوليات الجزء الاول وسبرت بحشامع الماديين والداروينيين ولا ارتاب انك اذا تدبرت تلك المواضع وتلوتها حق تلاوتها لا يبقى عندك خلعان ريبه ولا ضربان شك بان وراء هذا العالم المحسوس والمادي المشاهد قوة مجردة حكيمة ازلية قديمة مختارة مريده هي الصانعة لهذا العالم وكل كائناته من الدقيق والجليل والكثير والقليل وليست الطبيعة الا احدى النباتات في ارض ارادتها المقدسه والمسخرات بامرها والداينات لحكمها وهذه المادة او الاثير او السديم او الجواهر الفردة او النيشر او ما شئت فسمها ما هي وجميع ما منها الا اصغر منشآت تلك الارادة واخصر عوالمها واضعف مخترعاتها وادنى ابداعاتها ونسبتها من ساير العوالم الحية الروحانية نسبة حصى المئانة من الانسان جهاد في حساس وموات في حي (حاشا للانسان الكامل) وعلى اي فلا احسبك تريد ان تشق على في الكثرة والاعاده لما مضى على اتقن قواعده ومبانيه اذا فضع الى جنب ذينك الاساسين القرييين اساسا ثالثا اعلى واجلى واتقن وامكن ألا وهو (ان للعالم صانعا حكيما) ونعني من نعمته بكونه حكيما ان كل افعاله وابداعاته على نواميس الحكمة واصول الرحمة وقوانين العدل وموازن الصحة والاستقامه وميكائيل الاحسان والفضيله وانه جلت حكمته ما خالق الخلق عبثا ولا جزافا وما اوجدهم ليجهدهم ظلما واجحافا ما كوتهم للشقاء والتعاسة والعناء والمهانه ما خلقهم ليريهم نعمه ويملا بهم جحيمه ويعمل فيهم قوة الغضب ويسلط عليهم سطوة الرهب (لا ثم كلاً) تقدس وتعالى عن كل ذلك فان البراهين

الساطع والآيات النيرة عرفتنا أنه منزّه عن كل قبيح - أن ما تحكم ضرورة العقول بقبحه تحكم باستحالاته عليه حسبما استبان لك في مباحث التوحيد من الجزء الاول من ان وجوب وجوده مستلزم لكمالهِ وعدم تطرق النقص اليه بوجه من الوجوه - واي قبيح اقبح عند ارباب العقول من الظالم او العبث او الايذاء بغير عوض او جزاء - وعليه فلا محيص من ان يكون الابداع والخلق لمنفعة وفائدة ما وتلك الفائدة ليست اليه عايدة ، لغناه بذاته عن كل شيء ، واحتياجه كل شيء اليه والمستفيد المنتفع ناقص يطالب كماله . ويصلح بالانتفاع حاله . والواجب جل شأنه غني كامل بل فوق حد الكمال بما لا يتناهى عدّة وشدة ومدّة وليس فيه حالة منتظرة ولا صفة متغيّرة والا لم يكن واجبا وهو غير الفرض ، والمصلحة والغاية لا بدّ منهما تجافيا عن العبث ويستحيل ان تعود اليه تجافيا عن الاستكمال والنقص فلا محالة هي عائدة لخلقه جوداً منه وكرماً وتعالياً وعظماً . ومن هنا ظهر الوجه فيما يقال من ان افعاله تعالى غير معلّلة بالاغراض نعم هو حق فانّ الفرض ما يستكمل به صاحبه وهو جل شأنه منزّه عن الاستكمال بل هو فوق حد الكمال ولكن هناك غرض لا بهذا المعنى وان ضايقته فاشئت فسمّه وهو ان الشيء يجب ذاته ومظاهر صفاته الكمالية وهذا ضروري فطري يحده كل احد من نفسه ووجدانه وهو ذاتي لا يعلّل (كنت كئزا خفياً فاحيت ان اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف (١)) (ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) اي ليعرفون

(١) قد ذكرنا في رحلتنا الموسومة (بنهضة السفر ونزهة السر) قدرا يسيرا ولكنه قنع من شرح هذا الحديث ولم يذكر هنا شيئا مما ذكرناه نظرا لبعض الملاحظات والله سبحانه هو المسدد

كما في تفسير امنا، الوحي وفي هذا الحديث الشريف لطايف معارف كُنَّا نهم بالاشارة الى بعض لمعاتها ، ونظرًا الى ما يجدر باللبيب اعتباره احجمنا عن ذلك وحيث نجد ان العقل العامي عن اتمام هذا المقام وعن ادراك حقيقة الفرض متجافي فهذا القدر منه كافي واولى بنا من استيفاء شرح الغاية والفرض ان نعود الى استيفاء غرضنا وننظر ما ذا حصل عندنا من تلك الاساسيات الثلاث وما تمهد لدينا من المقدمات وما هي نتلوها سردا عليك . اترى الى اي شيء تضطرك ولاي غاية تقودك وتوديك .

الانسان جاهل عاجز فقير . الانسان محتاج الى التربية الصحيحة التي تخفف وطأة شقائه وتعوده الى سعادته . الانسان محتاج الى المربي والمصلح الخاص لعامة البشر . عقل الانسان غير كاف لتربيته . وعقول غيره في هذه الجهة عاجزة كعقله . اتفاق العقول لا يتفق وان اتفق لا يجدي . الانسان له صانع حكيم خلقه لغاية شريفه وحكمة قائمه وسعادة دائمة لا لشقاوة لازمه

اذًا - والحال على ما ترى = فهل يصح اويسوغ لذلك الصانع الحكيم ان يهمل هذا الخلق الضعيف ويتركه سدى وهل يحسن منه ان يكله الى نفسه وهي في اشد العجز او الى غيره وهم عنه اعجز . كلا ثم كلا .

وهيئات هيئات (وبكلمة) انه حيث ثبت انفا بمقتضى وجوب وجوده وقيوميته = انه تعالى قادر حكيم جواد = لتقدسه عن العجز والجهل والبخل = فضلا عن الظلم والعبث والعيث . ومن المعلوم ضرورة ان اهم المنافع لعباده بعد نعمة ايجادهم ، نظم امور معاشهم ومعادهم ، ودلائلهم على اسباب صلاحهم وفسادهم ، لتتم لهم النعمة ، وتكمل بذلك عليهم المنه ، ومن المنبذة ايضا قصور عقولهم عن ادراك مضارهم ومنافعهم . ومفاسدهم ومصالحهم . وضمفهم عن تعيين كلياتها . فضلا عن تشخيص جزئياتها . لغاية

الشهوات الحسية، على الجهات العقلية، لأن كل واحد هو حيوان قبلما هو إنسان، وجسماني شهواني، قبلما هو ملك روحاني، ومن الواضح ايضا ككونهم قاصرين وغير لايقين لمخاورة عظيم سلطانه، ومجاورة رفيع عرشه واركانه ليستمعوا حديث كلامه وقديم تبيانته، لانهم من التراب والى التراب (واين التراب ورب الارباب) فحاجة الخلق الى ما يوصلهم الى كمالهم، ويدلهم على رشدهم وضلالهم، مع عدم قابليتهم بحسب نقص استعدادهم وضعف موادهم عن تحصيل مرادهم، الهاما او وحيا، امرأ او نهيا.

كل ذلك يوجب على الحق، والمواد المطلق، بمقتضى لطفه الثابت المحقق، ان يحمل بينه وبين خلقه وسايط وسفراء، نسميهم رسلا وانبياء، يلبثون من جهة لاستماع كلامه، وتلقي وحيه والهامة، ومن جهة اخرى لتبليغ مراده، الى جملة عبادته، فهم في الصورة والحقيقة بشر، وهم في الحقيقة من عوالم آخر = (ولو ارسلنا مائكا لجلعناهم رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) ومن المعلوم ان المشاكلة والجنسية لها في التبليغ اعظم مدخله بل لا يكاد الغرض يحصل بدونها وحينئذ فلو اخل الواجب تقديس شأنه بذلك كان اخلا لا منه بالغرض في ايجاد الخلق ونقض الغرض قبيح من العاقل فكيف من واهب العقل = والمبدء الفياض لا يخل فيه ولا نقص يعتريه (بل يداه مبسوطان ينفق كيف يشاء).

وهذا ما توخيناه لك من السبيل لاثبات النبوة العامة، وضرورة الحاجة الى كلية البهية، وقد رأيت كيف تحكم الاحساسات الصحيحة والوجدانات السليمة بها وقد سلطنا بك اليها من اسهل طرقها واقرب مبادئها بحيث لا ترى فيها مقدمة معقده تنعقد بشي، من الاصطلاحات الفلسفية او ترتبط بالمباحث الكلامية او تستعين بما يدق فهمه ويعسر على العامة علمه، اما

المتكلمون فقد سلكوا اليه من طرق شتى وانحاء مختلفة اهونها وابيئها ما ملخصه ان محبي رسول من البشر عن الله تعالى ممكن عقلا خلافا للبراهمة الزاعمين امتناعه واذا كان ممكنا وادعاء ذو المعجزة وجب تصديقه ونحن لا يهمنا ان يكون صحيحا او مشتملا على شيء من الخلل ولا حاجة بنا الى بسط الكلام فيه بعد تجلي الحقيقة ونصوعها بما هو اسهل منه منالا واصفى سجالا. نعم ان الذي يحسن ان يكلل به هذا المقام ويزين ويحلى ويبين بل الذي يليق ان يحمل درة تاجه وطراز ديباجه وغرة عنوانه وطرة ديوانه هو كلام ائمة الدين وورثة النبيين فانهم اعلم به واعرف باسبابه وامكن بالحجة والبيان واملك للدليل والبرهان فالما اصفى من ينبوعه والعضب امضى في يد قريعه روى ثقة الاسلام الكليني^(١) في كتاب الحجج من (الكافي) عن هشام بن الحكم عن ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال للزنديق الذي سألته من اين اثبت الانبياء والرسول قال (ع) انا لما اثبتنا ان لنا خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيمًا متعاليا لم يجز ان يشاهده خالقه ولا يلامسوه فيباشرهم او يباشروه ويحاجهم ويحاجوه ثبت ان له سفراء الى خلقه يعبرون عنه الى عبادده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم فثبت الامر والناهون عن الحكيم العلیم في خلقه المعبرون عنه جل وعز وهم الانبياء وصفوته من خلقه حكما مؤدبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من احوالهم مؤدبين من عند العلیم الحكيم

(١) قد مرت الإشارة الى ترجمة هذا المحدث الشهير وينبوع العلم الغزير في اوایل الجزء الاول وانه توفي في اوایل القرن الرابع ودفن ببغداد ومرقده الى اليوم مشهور

بالحكمه ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان بما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين لكيلا تخلو الارض من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته ، انتهت كلماته النورانية المشتغلة على حقيقة الايمان اليان والحكمة اليمانية وقد حظت وتكرمت كرىمتاي بهذا الحديث الكريم بعد ما نفشت اليراعة ما قدمناه وحين تمت النظر به وجدت كل ما نمّته من كذب إنما هو مضمون هذا الحديث الشريف لا بل كل ما نمّناه إنما هو لمحة من لمحاته وللمة من قبساته ولقد احسن بعض الحكماء المحققين^(١) حيث ذكر ما حاصله - ان لكل من الحكماء والمتكلمين والعرفاء والصوفية والظاهرية وغيرهم من اهل الأذواق والمشارب المختلفة طريقاً لا ثبات النبوة غير طريق الفرقة الاخرى ، وكلاً تراه من الوثاقة بالقبول اجدر واخرى وهذا الخبر الشريف على وجازته واختصاره اشار الى تلك الطرق باجمعها ولوح الى تلك المسالك على اختلافها وتشعبها حتى قال ما نصر^٢ عبارته بالفارسية

(واكر فلاسفه اقدمين را استماع اين كلام مقدس ممكن ميشد هر آينه اقرار مينمودند بمجزه بودن اين كلام قدسي نظام (كه جان تشنه داند قيمه آب) اقول تالله ان هذا الحكيم قد احسن النظر في هذا الخبر فتأمله ان كنت من اهل ذلك تجد كل فقرة منه مقدمة لبرهان او جزء من برهان او نتيجة له لا بل قد استوعب مهمات كل مباحث النبوة بهذه

(١) هو المحقق السلا عبد الرزاق الملّقب بالقيّاض صاحب مشارق الانوار شرح تجريد الافهام احد حكماء الامامية ومتكلميهم وهو من تلامذة صدر المتألهين الشهير بملا صدرا وصهره على احدى ثرتيه وهو من اهل القرن الحادي عشر ذكر هذا الكلام في كتابه المشهور الموسوم (بكوهر مراد)

الفقر الوجيزة والكلمة المدودة حيث عين، مكان الحاجة والضرورة الى بعثة الانبياء، وبين ما هي وظيفتهم، وما علامتهم وميزتهم، وما برهانهم وحججهم إيعازا الى العصمة وإيماء الى وجوب المعجزة، انظر ما انفس قوله (غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب . في شيء من احوالهم) وقوله (مؤمن يدين من عند الحكيم بالحكمة) وقوله (الكيلا تخلقوا الارض من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته) وذو اللب لا تخفى عليه مواضع البهر والاعجاب ولا تضع عنه الخواص والمزايا من هذا الحديث فنحن نحيل ذلك الى الفطن والمدارك ونصرف واردة البحث والبيان الى نظريتين من اشراط النبوة ولو ازمها - ننظر تارة في العصمة . واخرى في المعجزة . ونوجز القول في التمهيد عن حقايقهما والاسباب التي لا تدع في النبوة بدا منها .

(اما العصمة) فقد مر بعض الكلام عنها في مستطردات الجزء الاول والاصيل بالذكر هنا . ان العصمة كما عرفها الاكابر هي اللطف الالهي المانع من الخطا والخطايا من غير اجبار، ونوضح عنها بأنها الملكة التي تقتضي عدم صدور الذنب عن اختيار واراده . لاعن عجز وعدم استطاعه مدة العمر او من حين قيامه بذلك المنصب الخاص . فغير الانبياء والاوصياء من الأمثل فالأمثل بهم قد يكونون معصومين كما سبق ولكنهم غير واجبي العصمة . واما تلك السلسلة التي هي القدوة العامة والقبلة العظمى فيجب ذلك فيها عقلا كاصل وجوب بعثتها . والا لزال الثقة . وانتقض الغرض والناقض وان كان اكمل من غيره ولكن الاجدر به من التعرض لاصلاح غيره ان يقوم باصلاح نفسه ويشغل بتكميل نفسه ويبد بتزويه ذاته ولا يعترض الانقص كي لا يقره بذنبه . ويدفعه بعيبه . ويردّه بمثل

نقصه . فحقاً - والعيانُ والوجدان بعد العقل اعدل شاهدين انه لا تتسنى
وظيفةُ التكميل ولا تتيسرُ الغاية من التهذيب . الا للمهذب الكامل
والمستقيم العادل الأملس الأديم النقيُّ الجلد العفيف الذيل الطاهر الازار
من كل الاوزار

ومن جري ما هنالك نقول ان المبعوث الى الآمه او المستلم وظيفته يلزم
ان يكون اكمل افرادها وافضل شخوصها وانبل ذواتها في حسبه ونسبه
وآدابه واخلاقه . وادواحه واعراقه . وعلومه ومعارفه ، وخلقه وخلايقه
وكل شيء . يُتَحَسَّنُ منه او يُتَعَقَّلُ عنه . ولا يعاضل ذلك ما هو المعلوم
من تفاوت الانبياء والرسل في مراتب الفضل ودرجات الزلفى والكرامه
فان التفاوت في مدارج الكمال ومعارج المعارف غير النزاهة من الادناس
والرذائل والاسواء والنقايس وليس التفاضل فيما هنابل ما هنالك - فاثبت
وتثبت اما العصمة في العقائد والتبليغ والفتوى بمعنى الحكم في
الموارد الجزئية والوقائع الشخصية على طبق احكامها الكليه لا بعناها
المصطلح فقد اتفقت طبق ضرورة العقول قاطبة المسلمين بجميع عناصرها
وشعوبها عدا ما ينسب الى بعض الخوارج عن ربة الاسلام على وجوبه
ولزومه في الانبياء وشعبتهم فلا يصدر الخطأ منهم في شيء . من تلك
الامور لا عمداً ولا سهواً من حين قيامهم بتلك الوظيفة الى منتهى اعمارهم
الشريفة . واما العصمة في افعالهم واحوالهم في ذات انفسهم فقد اتفق
اصحاء النظر على لزومها مع الالتفات . فالكلل بتاج تلك الكرامة
الالهية يمتنع فيما نرى ان يقع منه خلاف الواقع عمداً حتى في عمل نفسه
وما بينه وبين ربه ولا يخرج عن دائرة التكليف وخطة الآداب والمكارم
من حين صباه الى آخر عمره . واما وقوع خلاف الواقع منه او غير الصحيح

سهواً . فالترجيح والاغلبية على عدم وقوعه ايضاً . وقد تصاغر في المعرفة بعض اكابر المحدثين حيث جوز السهو على المعصوم في فعل ما يخصه بنفسه من اعماله وتكاليفه وتبعه على ذلك شذاذ - متشبهين بظواهر اخبار مردودة بنفسها فضلاً عن إباء العقل آياها (وبكلمة) ان العصمة لهم عاينهم السلام ثابتة في جميع ذلك بما انها ممكنة في ذاتها ولا يحصل تمام الغرض او الغرض التام من البعثة والرسالة الا بها فلا محيص من ثبوتها . حينئذ فتجوز بعض الأمم - وقوع الخطايا من الانبياء باستثناء واحد او بغير استثناء غير ناشيء الا من قصور الفكر عن فلسفة معنى النبوة والا فطباع النبوة لا يجتمع مع الخطيئة وكل ما هو ظاهر في ذلك من دليل النقل القطعي فأول او متجوز فيه . - قل ذلك ام كثر .

وما ذكرناه من وجوب العصمة هو من احدى الطاف قاعدة اللطف - المعبر عنها تارة بما تتم به الحجة واخرى بما يقرب الى الطاعة ويبعد عن المعصية وهو بمعنى واحد إذ المراد بالمقرب والمبعد ما يعود الى البيان وقطع العذر وما تتم به تبعات التكليف ونتائجه من المدح والذم والثواب والعقاب فذلك ما يجب منه تعالى بقاعدة اللطف والذي تشترك به عامة المتكلمين لا ما يعود الى سائر الجهات الخارجية التي قد يتفق مدخايتها في الطاعة او المعصية كأن يجعل الله هذا غنياً ليتوصل بالغنى الى القربات او يجعل ذلك فقيراً ليفرغ للعبادة ولا يشغل بالثراء عن الطاعة او نحو ذلك مما يندرج في هذه الجملة . فان كل ذلك له اسباب آخر ولا دخل لهذه القاعدة به فانها ترجع الى قطع العذر وازاحة العلة فتدبر ولا يشبه الامر عليك فتبادر بالايراد من سوء فهم المراد وليكن لك في هذا القدر مقنع وكفايه من القول عن العصمة . - والله سبحانه اسأل ان يعصمنا واياك ايها

القارىء الكريم من العثرات ان شاء الله
وامّا (المعجزة) - وقبل الحكم والبرهنة عليه نأخذ في التعريف عن الموضوع
- والقول الشارح انها الواقعة من الفعل البشري التي يعجز عن الاتيان
بمثلا ابنا جنسه حتى ممن ساواه في جميع جهاته البشرية وكالاته الكسبية
(وايجازها) انها الفعل الربوبي الصادر من واحد خاص من البشر مقرون
بالتحدي ودعوى النبوة وذلك كل ممتنع عادي ممكن ذاتي كأحياء
الموتى وقلب العصي افعى وما انعطف على هذا النسق
فالسحر واشباهه من كل اختراع بشري وابداع كوني ليس من المعجزة
في شيء لانه غير ممتنع عادي . ولا فعل ربوبي كالخلق والاحياء والاماته
وما هو اعظم منها كالتعجيز في الكلام للبراعة فيه والمهرة به . ولا يعجز
عن الاتيان بمثله مماثلته وسيأتي لهذه القيود اطلاق بيان فياسيأتي ان شاء الله
وحيث تصورنا الموضوع ولو على الجملة - فنقول ان الاعجاز في
النبوة هو الدعاة التي تدعم بها . بل اساسها التي تبني عليه ونبراسها الذي
لا يستضاء اليها الا به . ومن اللطف الواجب الذي لا تتم الا به الحكمة
ولا تكمل الا به العناية ولا يحصل الا بعد حصوله الغرض
حتم على الحكماء ان يؤيد رسوله الى عبادته بعلامة وآية منه تدل الاعمي
والبصير والعربي والاعجم والذكي والابكم - ان هذا المدعي لرساله صادق
في دعواه بحق في مقالته لنتم به الحجج وتقوم به اليقينة وتحصل به الثقة فيجب
على ذلك المبعوث اعلام الخلق برسالاته اولاً . واظهاره المعجزات ثانياً . ثم يجب
بحكم عقولهم في وجوب دفع الضرر المحتمل - الذي قد اتفقت عليه ارباب
العقول (خلا من سد باب حكم العقل) وهو احد الدوافع الطبيعية .
والزواج النفسانية . لكل ذي احساس يحافظ على سلامة كيانه ويتعد

عن مؤلفاته ومهالكه . وبهذا الدافع الطبيعي والسابق الغريزي يندفع اندفاعاً قسرياً ويجد في ضميره حكماً عقلياً يلزوم النظر في معجزة مدّعي الرسالة والصادع بتلك الدلالة ثم وراء النظر تازمه الحجة بما يحده في وجدانه وما تسكن اليه نفسه ويحكم به عقله من صحة تلك المعجزة وأنها فعل ربوبي وآية آلهيه وحجة قاطعة تعجز عنها البشر . وتنحطّ دونها القوى والقدر . وتنحسم بها بواعث الشك والارتباب . وعواثب الوسوسة والاضطراب . أم ليست هي بذلك فتام الحجة عليه إنما هو بحسب ما يتم له ويقوم عنده (ولا يكلف الله نفساً الاّ ما آتاها)

وكلّ هذا جليّ ظاهر أكثر حاجته الى التنبيه والايحاء لا الى البسطة والاستقصاء . إنما اللبنة والريشة والأناة والفكره في فلسفه المعجزات وأن وقوعها في الكون وطلاعها في الوجود هل هو على نظم سلسلة الاسباب والمسببات ونسق جري العلل والمعلولات أم تنخرق بها تلك النواميس ولا يكون جريه على تلك الموازين ويمود قولنا بأنه خارق العاده قول بتمام معناه وبكل حقيقته وقد اصطككت هنا ملحمة نظريه وشبّت وغى جدليه بين فيلسوفين من مشاهير فلاسفة الاسلام وكبار جهابذتهم (ابي حامد الغزالي) و (ابن رشد الاندلسي) فكلاً أخذ طرفاً ومال عن الآخر جانباً حتى اتسعت بينهما مسافة الخلف وتباعدت مناحي الفهوم ومرامي الآراء وضائق العرى على من اراد بينهما الجمع والتوفيق * - وجدير أن نذكر نزرًا من كلام كلّ منهما بحرفه ثم نردفه بما يفسح لنا من النظر وما يتسع من رجاء الوئام بينهما وجمعهما على غاية واحده

انّ ابا حامد بعد ان استهدف آراء الفلاسفه في كتاب التهافت وردّ عليهم بما شاء ، وحفظ شيئاً وغابت عنه اشياء ، انتقل الى الطبيعيات فقال ما حرفه

- أما الملقَّب بالطبيعات فهي علوم كثيرة نذكر اقسامها ليعرف ان الشرع ليس يقتضي المنازعة فيها ولا انكارها في مواضع . وليس يلزم مخالفتهم في شيء من هذه العلوم وانما نخالفهم منها في اربع مسائل (الاولى) حكمهم بان هذا الاقتران المشاهدين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة فليس في المقدور ولا في الامكان ايجاد السبب دون المسبب ولا وجود المسبب دون السبب واثار هذا الخلاف يظهر في جميع الطبيعات ثم بعد ان شدد التكثير على ذلك قال وانما يجب علينا انكار هذا القول لانه ينتفي به اثبات المعجزات الخارقة للمادة من قلب العصا ثعباناً واحياء الموتى وشق القمر ومن جمل مجاري العادات (يعني بها التواميس المتعارفة والاسباب الاعتيادية) لازمة لزوماً ضرورياً احوال جميع ذلك واوتوا ما في القرآن من احياء الموتى وقالوا اراد به ازالة موت الجهل بحياة العلم واوتوا تلطف العصا لسحر السحره بابطال الحجة الالهية الظاهرة على يد موسى واما شق القمر فربما انكروا وجوده وزعموا انه لم يتواتر وبعد ان ذكر عن الفلاسفة رأيهم في المعجزات وانها خواص في القوى المتخيلة والعقلية والنفسية قال نحن لا ننكر شيئاً من ذلك وانما ننكر اقتصارهم عليه ومنهم قلب العصا ثعباناً وغيره فلزم الخوض في هذه لاثبات المعجزات ولا أمر آخر وهو نصرة ما اطبق عليه المسلمون من ان الله تعالى قادر على كل شيء وشرع في البحث فقال الاقتران بين ما يمتقد في العادة سبباً وبين ما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا فليس من ضرورة وجود احدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدم احدهما عدم الآخر . مثل الري والشرب . والشبع والاكل والاحتراق والنار . والنور والشمس . والموت وحز الرقبه . والشفاء . وشرب الدواء . واسهال البطن واستعمال المسهل . وهلم جرا الى كل

المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف . وان
اقترانها انما هو لما سبق من تقدير الله سبحانه لخلقها على التساوق لالكونها
ضرورياً في نفسه غير قابل للفرق . بل في المقدور خلق الشبع دون الاكل
وخلق الموت دون حزن الرقبه وادامة الحياة مع حزن الرقبه وهلم جرا الى
جميع المقترنات وانكر الفلاسفه امكانه وادعوا استحالة ثم سجل ذلك
في مثال الاحراق قائلاً . ان النار جهاد لا فعل لها فالدليل على انها الفاعل
في الاحراق . ليس لهم دليل الا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقة
النار . والمشاهدة تدل على الحصول عنده ولا تدل على الحصول به وانه
لا علة سواه . ثم اطنب واسهب في تقريب تلك الدعوى وتسجيلها وايراد
الامثال والضراب لها بلطائف الاساليب وسحر البيان الذي كان للغزالي
منه ومن شدة العارضة وسلاطة اللسان اوفر نصيب وما فتأ يصرف اعنة
الخطابة والاقناع في ذلك حتى انتهى الى قوله نجوز ان يلقي شخص في
النار فلا يحترق اما بتغيير صفة النار او بتغيير صفة الشخص فيحدث من الله
تعالى او من الملائكة صفة في النار تقصر سخونتها على جسمها بحيث
لا تتعداها وتبقى معها سخونتها وتكون على صفة النار حقيقة او يحدث
في بدن الشخص صفة ولا يخرجها عن كونه لحماً وعظماً فيدفع اثر النار فاناً
نرى من يطلي نفسه بالطلق ثم يقعد في ثور موقد فانه لا يتأثر بالنار .
والذي لم يشاهد ذلك ينكره . وفي مقدورات الله عجائب وغرائب ونحن
لم نشاهد جميعها فلا ينبغي ان ينكر امكانها ويحكم باستحالتها وكذلك
احياء الميت وقلب العصا ثعباناً ممكن بهذا الطريق - وهو ان المادة قابلة
لكل شيء ، فالتراب وسائر العناصر يستحيل نباتاً ثم النبات يستحيل عند
اكل الحيوان له دماً ثم الدم يستحيل نطفة والنطفة توضع في البطون فتخلق

حيوانا وهذا بحكم العادة واقع في زمان متناول فلم يُجبلُ الخصم ان يكون في مقدورات الله تعالى ان يدبر الماده في هذه الاطوار في وقت اقرب مما عهد فيه واذا جاز في وقت اقرب فلا ضبط للاقل فتستعجل هذه القوى في عملها ويحصل به ما هو معجزة النبي . فان قيل هل تصدر هذه من نفس النبي او من مبدء آخر من المبادئ . عند اقتراح النبي قلنا الاولى بنا وبكم اضافة ذلك الى الله تعالى اما بغير واسطه او بواسطة الملائكه ولكن وقت استحقاق حصولها انصرفت همه النبي اليه وتعين نظام الخير في ظهوره لاستمرار نظام الشرع . وحسبنا من كلامه هذا القدر فان ابا حامد وان استوسع واطال المقال في اثبات ما اراد من عدم التلازم بين الاسباب والمسببات ولكن خلاصة كل ما ذكره على اختلاف انحاءه وضروب اساليبه لا يخرج ولا يتباعد عن تلك الكلمات الاتفه التي اخترنا نقلها من جميع مقالاته الزافيه ومباحثه الطائيله .

وكان هذه الدعوى التي يجهد ويشدد حرصا على اثباتها انما هي شعبة من مسئلة خلق الافعال وان افعال العباد هل هي من فاعلم او من فعل الله تعالى عند ارادتهم لها . وان لم تكن هي تلك او منها فما اشد الشبه والتماثل بينهما . وكان الغزالي بناها على ما هو الاصل هناك عنده وعند اخوانه الاشاعره من ان الافعال ليست من فعل العباد بل من فعله تعالى وللعباد فيها (الكسب) ذلك اللفظ الذي لم يظهر الى اليوم حقيقة معناه على الوجه الذي يذهبون اليه ولا نفهم كعامة اهل اللسان من قوله تعالى (ذلك بما كسبت ايديكم) وامثالها الا المعنى الجلي الظاهر وهو ما فعله الانسان وحصله بارادته ومباشرته وهم يريدون من الكسب سوى ذلك . وعلى ايدي فليس الغرض هنا الخوض في هذه الغمره بعد ما خضنا لجتها وكشفنا

نُغَمَّتْها في أخريات الجزء الاول من هذا الكتاب واقمنا البراهين الجلية التي لا تُدْفَع على ان الافعال كلها من فعل العباد باقدار الله للعبد على الفعل والترك وباختياره يترجح احدهما على الآخر وبذلك يصح اتصاف الانسان بالقدره . ويتسع لنا القول بمثل هذا في ساير الفواعل الطبيعية سوى انها فواعل قسريه لا ارادية . ونعود الى استيفاء البحث بنقل كلام ابن رشد الذي ناقض به فلسفة النزالي وهداً بجديد افكاره دعائهما فانه قد اصاب المحزّ وطبّق المفصل وان كان لا يخلو من بعض المواقف اخذات عليه ولكنها غير ضائرة بجوهر غرضه ، فن بعض كلامه في (تهافت التهافت) بحرفه . اما انكار وجوب الاسباب الفاعله التي تشاهد في المحسوسات فقوله سفسطائي . والمتكلم بذلك اما جاحد بلسانه لما في جنانه واما منقاد لشبهة سفسطانيه عرضت له في ذلك ومن ينفي ذلك فليس يقدر ان يعترف ان كل فعل لا بد له من فاعل . اما ان هذه الاسباب مكثفية بنفسها في الافعال الصادرة عنها او بما تتم افعالها بسبب من خارج اما مفارق او غير مفارق فامر ليس معروفا بنفسه وهو مما يحتاج الى بحث وفحص كثير . وما انفك يتقعر ويتعمق في فلسفته الى ان خدش حرمة الادب بالصراحه وقال . فما اتى به ابو حامد في هذا الباب مغالطة سفسطانيه . وقال والعقل ليس هو شيئا اكثر من ادراكه الموجودات باسبابها فمن رفع الاسباب فقد رفع العقل وصناعة المنطق تضع وضعا ان ههنا اسباب ومسببات وان المعرفة بتلك المسببات لا تكون على التمام الا بمعرفة اسبابها فرفع هذه الاشياء مبطل للعلم ورافع له ثم اخذ في التعقيب على كلام ابي حامد وساير المتكلمين فقال فانه يلزم ان لا يكون ههنا شيء معلوم اصلا علما حقيقيا بل ان كان فمظنون ولا يكون ههنا برهان ولا حد اصلا . ومن يضع انه

ولا علم واحد ضروري يلزمه أن لا يكون قوله هذا ضرورياً . وأما من
يسلم أن ههنا أشياء ضرورية وأشياء ليست ضرورية وتحكم النفس عليها
حكماً ظنياً وتوهم أنها ضرورية وليست ضرورية فلا ينكر الفلاسفة ذلك
فإن سموا مثل هذا عادة جاز والآن فلا ادري ما يريدون باسم (المادة)
هل عادة الفاعل أو عادة الموجودات أو عادتنا عند الحكم عليها . ومحال
أن يكون لله عادة فإن المادة ملكة يكتسبها الفاعل توجب تكرار
الفعل منه على الأكثر والله عز وجل يقول (ولن تجد لسنة الله تبديلاً)
وبعد أن استوفى الكلام في هذا المقام انتقل إلى مسألة الاحتراق وحصر
انكار الغزالي في موضعين (الاول) أنه يمكن أن توجد هذه الصفات للموجود
ولا تؤثر فيه مثل النار فأنها يمكن أن توجد الحاررة ولا تحرق (والثاني) أنه
ليس للصورة الخاصة بموجود موجود مادة خاصة يريد ابن رشد بهذا مسألة تعاقب
الصور السيالة المترابطة بعضها ببعض التي لا تنسحب صورة منها إلا إلى
أقرب الصور إليها كالجمادية إلى النباتية وهي إلى الحيوانية وهي إلى
الإنسانية وهكذا ثم فصل في هذين الموضعين فقال أما القول الأول فإنه
لا يبعد أن تسلمه الفلاسفة له فلا يمتنع أن تقترن النار بالقطن مثلاً في وقت ما
فلا تحرقه أن وجد هنالك ما إذا قارن القطن صار غير قابل به للاحتراق
وأما مسألة الصورة والمادة الخاصة فقد تصلب فيها وقال أنه شيء لا يقدر
المتكلمون أن ينفوه وجرى في رهان البيان إلى أن قال مثال ذلك . أن
الاسطقسات تتركب حتى يكون منها نبات ثم يقتضي منه الحيوان
فيكون منه دم ونطفه ثم يكون من النطفه حيوان كما قال سبحانه (ولقد
خلقنا الإنسان من سلالة من طين) فالمتكلمون يقولون أن صورة الإنسان
يمكن أن تحل في التراب من غير هذه الوسائط التي تشاهد . والفلاسفة

يدفون هذا ويقولون . لو كان ممكناً لكانت الحكمه في ان يُخلق الانسان دون هذه الوسائط والكان خالقها بهذه الصفه هو احسن الخالقين واقدروهم وكل واحد من الفريقين يدعي ان مايقوله معروف بنفسه وليس عند واحد دليل على مذهبه وانت فاستفت قلبك فما انباك فهو غرضك الذي يجب اعتقاده وهو الذي كلفت آياته . هذا ما اخترنا نقله من كلام هذا الفيلسوف ونحن - لا نريد ان نكثر عليك من نقل ما هو عتيق عندك سهل المأخذ عليك من كلامهما كما اننا لانستوسع البحث في التعرض لهفوات كل واحد منهما ولا نتوغل في تحرير هذه النظرية على ما يليق بها من بيان الفروق بين العلة التامه وغير التامه . والسبب وغير السبب والمانع والشرط . والعلة المنحصره وغير المنحصره . والفاعل المركب والبسيط . والمادي والمجرد . وما يصدر عنه الفعل وما يقوم به . والمادة والصورة . وانايه وما منه الغايه . الى غير ذلك مما تتكفل ببسطه الامور العامه من العلم الاعلى . ولو اردنا ان نقف الهويناء عند هذه الامور ونعرج على البحث فيها بمقدار ما يستبين به مواضع النظر من كلمات ذينك النابغتين لخرجا بالضرورة عما نحن فيه ووقعنا في مهمه شاسع وواد عميق غير مرتبط كثيرا بمباحث النبوه ولكن بالحري ان نستوفي البيان ونغرق نزعاً في تخليص ما يتعلق بالمعجزات وتمحيص الحق الصراح من تلك المساجلات لا يرتاب المتطاع في تلك الققرات ان محور النزاع بين ذينك الباحثين انما يدور على جوهرية واحده وهي ان الاسباب هل هي المؤثره في مسياتها والفاعلة في مفعولاتها ام المؤثر هو امر غايب معقول مقارن للفاعل المشاهد المحسوس وهذه المقارنه هي التي صححت نسبة التأثير الى ما هو المشاهد وان لم يكن له مسيس علاقة به وارتباط ابدا (ومن

طريق آخر) هل وجود السبب بذاته يستلزم وجود المسبب ضرورة .
استلزاما ذاتيا لا اتفاقيا واقترانيا . ام لا يستلزم ذلك الا من باب الاتفاق
والغلبة التي تفيد الظن بحكم غلبة العادة اما ذات السبب فليس لها اقتضا .
ذلك في المسبب

(اما ابو حامد) فيما انه اشعري . يرى ان هذه الافعال الكونية طبيعية
او ارادية كلها افعال جائزة لا ترتيب لها ولا نظام ولا عليّة ولا معلولية تقتضيها
طبايع الموجودات او عزائم الحيوانات ولكنه يحكم ان هذه الافعال
تظهر مقترنة بالحي الذي في الشاهد وانما فاعلها الحي في الغايب ويجدهو
وحزبه الاسباب المحسوسة ويرون ان علة المحسوس امر غير محسوس وعلى
ذلك يبني امر المعجزات وكأنه يتراءى لها انها لا تصح الا على هذه الزعمه
(اما ابن رشد) فيما انه فيلسوف فهو يرى ان الاشياء كلها مرتبط بعضها
ببعض على نظام متقن وابرار محكم وكلها اسباب ومسببات وعلل
ومعلولات مترامية متسلسلة حتى تنتهي الى علتها الاولى وفاعلها الاولي
الذي اودع في كل كائن خاص اقتضاء خاصا وسببية خاصه فاذا اثر
اثرها واعملت وظيفتها فذلك الاثر مستند اليها على الحقيقة والواقع لا الى
سبب غايب وامر معقول (اما المعجزات) فهي عنده جارية على مجاريها
الطبيعية غير خارجة عن نواميسها الاولى وان كانت على خلاف العادة
فيها باعتبار بعض صفاتها من سرعة وابطاء وظهور وخفاء

وحيث قد اتضحت مقالة الفريقين ومزاعم الخصمين اذا فاستفت قلبك
فيما هو الحق منها كما اعزده اليك ابن رشد ولا اضن قلبك السليم عن
غواشي الشبهات يفتيك بتلك الفوضى والشتات ولا يذعن للحكم
بقطع الصلة بين الاسباب والمسببات ولا يركن الى تصور ان نسبة كل

الاشياء الى كل الآثار نسبة واحده وعلى حدة سواء
 كما أتى لا اكاد اقتنع بان ذلك العارف المتبحر (ابي حامد) ممن تعزب عنه
 تلك الجليله فيفترض ان نسبة الماء والنار الى الاحراق مثلاً نسبة واحده
 ليس في طباع واحد منهما اقتضاء له ومناسبة معه ولا في طباع الآخر
 منافرة عنه ومضادة له سوى ان الله تعالى جرت عادته أن يوجد الاحراق
 عند ملاقة النار لبعض الاجسام من دون ان تكون في طباعها جهة اختصاص
 تستدعي ذلك على خلاف طبيعة الماء . لا جرم ان لا يكون معزى كلامه
 ذلك وان كان ظاهراً فيه . كلاً فان باب الصرف والحمل لو اسع .
 وما اكثر ما تقصر الالفاظ عن بيان تمام المقاصد فيكون الظاهر شيئاً
 والمعنى غيره . ومن السايغ ان يكون مرمى نظره ومبأة قصده الى كون
 ما في الشاهد من المؤثرات ليست هي العلة التامة وان كانت مقتضيه
 ولكن من الجائز ان يصادف وجودها وجود المانع فيبطل تأثيرها وان
 كان حدوث ذلك المانع ليس في المشاهد المحسوس وكما انها ليست هي
 العلة التامة فكذلك ليست هي السبب الوحيد والعلة المنحصرة فالافعى
 التي يكون على الغالب سبب وجودها التولد من المثل - يمكن ان يكون
 لها سبب آخر في المادة يوجد في العصى او في الطين فتوجد بالخلق الفجائي
 وهذه هي الغاية التي يرمى اليها مناظره الفيلسوف وتتحصل من ملامح
 كلماته وان لم تكن صريحة فيه وقصارى ما عندنا في حقيقة الاعجاز .
 انه ليس خرقاً في النواميس الطبيعیه وانما هو تصرف فيها وتدير لها
 وحكم عليها . وليس من البعيد عنك ولا الشاسع عليك تصور ذلك بعد
 ان عرفت في مباحث اثبات الصانع من الجزء الاول ان الطبيعة محكومة
 لا حاكمه . ومدبرة لا مدبره . ومقهورة لا قاهره

واذا كان امتلاك الشعور والاحساس بالمنوّم المغناطيسي . واستحضار الارواح من طريق علمي . وجعل الماء جليداً جديداً بالعمل الصناعي . وحبس المطر بالصدحة وكثير من نظايرها كل ذلك ممكناً واقعاً فبالأجدر والاحرى . والأحق والأولى . ان يكون انقلاب النار برداً وسلاماً وانشقاق البحر رهواً . وانقلاب العصا افعى . وبراء الاكهم والابرص . وتسبيح الحصى . وتظليل النمامة . والاعجاز بالبيان . كلها ايضاً من الحقايق الراهنة والامور الواقعة واذا كانت القوى البشرية . والصناعة العلمية والعملية . تقدر على مثل تلك الامور . فبالأحق والأولى ان يسهل ويهون على القوى الروحية والقدرة الازلية ما هو اعظم واعلى من ذلك . كيف وما فتأت يد القدره تنفذ مشيئتها في الطبيعة بما يحسب أنه خرق لنواميسها . ونقض لمبانيها وأسسها . أليس بقاء السمند والياقوت في النار . وابتلاع النمامة للجمر . واستطابة بعض الوحش للحنظل المهلك للانسان . أليس كل ذلك وكثير من ضرايبه وامثاله مما يمدُّ في بادى الراي أنه خرق للنواميس وفتق في القواميس . مع أنه واقع محسوس . ومعين مشهود . وكفى في حقايب الحقايق . من عجائب غرائب . قد حال دونها الجهل ولم يصل بعد اليها العقل . ولو كشفها العلم وبلغت اليها المدارك . لانتحلت عقْد كثيره وهانت مصاعب خطيره . ولظهر ان المعجزات من اهون ما صنعت يد القدره وادنى ما ابدعته لباقة الحكمه . وفي هذا القدر من البحث والبيان عن فلسفة الاعجاز غنى وكفايه لذوي البصائر والدرايه وما التوفيق الا بالله

وحيث انتهى بك السير والسير الى هذه المرحله . وعلمت ان الله جلَّ عظمته لم يكن ليترك خافه غفلاً . ولا ليهاكهم جهلاً . ولا ليشقيهم في الحياة وحشة وذلاً . ولا يدهمهم كالعجم الساعيه . والبهم السارحه . بل حتم في لطفه

وكرمه وجميل عنايته وحكمته ان يرسل اليهم من لدنه رسلا مكرمين
ورجالا صالحين ومصلحين يحلّلهم بطيّلسان الحكمه ويصونهم بابر اذا العصمه
ويتوجهم بتيجان الكرامة والمعجزه . اذا علمت كل ذلك فلا ازيدك علما
بأنه جل شأنه قد اسدى هذه المنه . ووفى حق هذه الفضيله . واحسن
الصنيع بتمام تلك النعمه . فلم يزل على مرور الدهور والوف الاحقاب
وفي ثنايا العصور في البرهة بعد البرهة . والفترة بعد الفترة . يبتعث
لأصلاح عباده وعمارة بلاده املاكا مقدسين ولكنهم في الصور . على ازياء
البشر . فيقيمون بين ظهري الانام يتجولون في الآفاق ياكاون الطعام ويمشون
في الاسواق . سوى أنهم يتفانون على تلك الغاية ويتمالكون في ذلك السبيل
ويضعون كل غاياتهم وامياهم على مذبح الصالح العام والنفع البشري .
ثم يخرجون من الدنيا خفافاعيا بهم ثقيلة بالحسنات موازينهم . مشكورة
مساعيتهم مقدسة آثارهم

﴿ نظرة اجمالية في الشرايع والاديان ﴾

ما وجد الانسان نفسه في هذا الوجود كائنا حيا وهيكله محسوسا وشاعرا مدركا
الآ ووجد الدين سايدا عليه . منفوثا في ضيقه . قائما بوجدانه . حيا بحياته مسوطا
بلحمه ودمه . عناية عظمية . ونعمة كبرى وحكمة باهرة لا يحيط بها الوصف .
ولا يأتي عليها البيان .

لم تزل للاديان السيادة في هذا الكون حتى في اظلم عصوره . واوحش ظلماته
حقا كانت ام باطله . صحيحة وقعت ام فاسده وكيف كان او يكون . فاننا
نجد في دلالة العقل وبرهنة الحقيقة ان الغاية لا تزال مصروقة الى صالح هذا الخلق
الضعيف القوي العاجز القادر الجهول العليم الملك الكريم . الوحش البهيم . ما فتأت
تلك الغاية التي ابرزته من خزانة الحفصاء . وكنتم العدم . تعمل في تدبيره وتسعى
في صالحه فتزل اليه من ملكوتها وخاصة رجالاتها . والمتخرفة على روح تعاليمها
سفرة برة . بايديها صنف مطهرة . من كل طيب دوار بطنه خير يجزبه مسيطر على

قومه . نطاسي بدائهم وادوائهم . واقف على كامن علمهم وخفيات دخالهم وغور مهالكهم . مكين من سبر اعماق جروحهم . وطيات جوارحهم . قد أحضر مراهمه واحمى مواسمه عرف المرض والزاج . فهياً العدة والعلاج . وجعل نفسه وقفاً على تلك الغاية ورهناً بذلك الغرض

وكل ناظر في جوهريات الاديان نظرة مجردة . مفكر في اصولها بفكرة سليمة يجدها على اختلافها وتشعباتها ترمي الى غاية واحدة ومقصد فذ يجدها وان تباعدت مقاربه . ويعلم انها وان اختلفت متفقه . متصالحة على تنازعها . متلازمة على تنافرها لا اريد ان اعيد عليك ما افصحت عنه الصحف ونشرته لك الكتب وانباك به الباحثون والمنقون والجهابذة المصلحون من ان غاية الشرايع والقصد الجوهري من الاديان ما هو الأثبت الفضيله وكسح الرذيلة والتحفظ على حياة هذه الروح الالهية المودعة هي فيك كما هي مودعة في اخيك - ازيدك بياناً - ان هذه النفحة الالهية التي انت بها حي بل انت بها انسان . ليست هي وحدها وديعة الله عندك وامانته لديك بل هي سواء . وروح اخيك التي هي شعبة من دوحك . وشظية من لوحك وسلالة من ينبوعك . وفصيلة من قطيعك . فها جوهرتان في يدك وانت بهما طالب وغنهما . مسوول * ليس الغرض من الاديان والشرايع الا سعادة هذه الأرواح وصونها من ان ترهق ظلاماً . او ان توسع هضماً . او تبقى سادرة هامله . تعيش جاهله محرومة من كرامة العلم . وشرف المعرفة . بل تعيش سعيدة وتحيا حياة كريمة . وتنتقل الى عيش اهني . ومقام اسنى . كما لا تزال تنتقل بها العناية من عالم الى خير منه . ومن مكان الى افسح منه - من العدم الى الوجود . من الصلب الى الرحم . من الرحم الى هذا الفضاء الفسيح . والكون الواسع . وعساها تنتقل الى ما هو اوسع منه واهني . واسمى واسنى . ما الاديان والشرايع . الا وسایل وذرايع لتهديب البشر من الشر وطبعهم على الخير . وان يعيش الانسان مع اخيه الانسان . بالسلم والموادعة والحسنى والمجامله . وان تنوعت جلدتهم . واختلفت منازعهم . فان قضت لهم البواعث والدواعي دعوة احدهم غيره الى ما هو عليه مما يعتقد صواباً . ويراه لنفسه وغيره صلاحاً . فليكن دعاؤه عن خالص نصيحه وشفقة صحيحة ودافع حنان ورحمة قولاً لبناً وبُشراً بيتناً . ومجادلة (كما امر الله) بالتي هي احسن . وبالجملة اعود ثانياً فاقول ما قلته أولاً - الدين بعد معرفة صانعك وما اراد بك ومنك - هو ان ترى كل روح

هي رُوحك ولكن في غير جسدك فاعمل لروحك ما تحب أو دَعُ
واونفست عن اليراع ان يجري في هذه الحلبه اياتي من كل دين وشريعته بشاهد او شواهد على
ان هذا هو جوهرها المجرد وحقيقتها الضايعة وضالتها المنشودة وغايتها المقصوده والذي
لا توغز الآليه . ولا تدل الآليه . كوفي واستوفي . وانكفأ وما استكني . ولكني لا اريد
ان اطيل عليك بما هو جليٌ لديك . ان لم تكن محيطاً بكله فما حطت به منه . مقنعٌ لك
ودليلٌ على ما سواه - وانما اريد ان اقف معك على ضفاف هذا النهر الرايق والمورد
العذب . ونقضي العجب في انه كيف تحوّرت الاديان عن صبغتها الاولى . وتحوّلت
صورتها عن حقيقتها الجوهرية . وبرز اهلها على غير شاكلتها . ونهجوا على ضدّ مشاريعها
ومناهجها . فاثروا في الصدور بذور الاضغان . وتنابدوا باسم الاديان فصار يقتل
بعضهم بعضا . ويستحل قومٌ دم آخرين . فحوّا الفضيلة رذيله . والمجاملة محادثه
والموادعة مخادعة . والحسنه فحشاء . والحب بغضاء . اِزهاقا لتلك الروح الالهية .
واللطيفة القدسية . واماتة لعواطف اخوانهم في البشريه - كل ذلك بصبغة الحمامة
والنصرة للدين . والدين يضح الى الله والحقيقة من هذه الفطايح ويبرأ من مثل هذا
المحامي والحميم براوة التحريم - يشهد الله والاديان انها ما اسألت بحال سفك الدماء
وازهاق النفوس وانما اوجبت الدفاع . وحفظ الكيان . ودرء الشرور وحياطة الجامعه
عما يتهدّدها من الاخطار . وينذرهما بالتلاشي والانحلال كما سنداك على ذلك في
موضعه بعون المشيئة تعالى شأنها - وهذه نفثةٌ جرى بها القلم وما كانت من القصد
وانما المعنى بالبيان ان التاريخ جمع فاعوى ولكن ضاق وسعه وقصر شوطه عن احصاء
كل ما هبط على هذا البسيط من الشرايع الإلهية على اويات الدهر وغواير الازمان
بعد علمنا ان الدين حليف الانسان قد وجد مع ايجاده وسوف لا يزول الا بزواله
ولكن معهد التاريخ ما اتحفنا بما يوسعنا علما ومعرفة بتفاصيل تلك الشؤون الا ما نتطلعه
من وراء مساتيره ومن خلال ثناياه واطراف زواياه كاشباح ضئيله وافلاذ متبعثره . فمن
الاديان ما انطمس ودرس ولم يبق في العالم من ينتسب له ويعتري اليه ومنها ما لم يبق منه
سوى الاسم والنحلة اما الحقيقة فلاعين منها ولا اثر . وامل من ذلك - المذاهب التي نشأت
في غير آفاقنا ونبتت في محيط سوى محيطنا من اقصى الهند او الصين او غيرها وتلك
كذهب « برهما » وبوذا وكونفوشيوس (١)

(١) ليس من الشطط احتمال ان يكون هؤلاء من المرسلين والانبياء لهم غير هذه الاسماء في

وكثير من اضرابهم ممن توترت عندهم حكمته عالية وافكار سامية واخلاق فاضله وحنان على كل البشر وجعاهم من معرض الرحمة في درج واحد
 اما الشرايع التي اشرقت في آفاقنا وانبسطت اضواءها على محيطنا وبزغت شمسها في وسطنا فهي وان كانت على جانب من الوفور والكثرة . ولكن اهمتها حياة واقدمها عهدا . وابقاها اثرا . واحظاها بالعلم والتاريخ ووقفنا منها على اكثر الشؤن والاحوال هما الشريعتان الكريمتان . شريعتا التوراة والانجيل المقدسين . اصطفى الله خليفه ابراهيم ثم بارك في نسله اولادا واحفادا وجعل منهم صفيته اسرائيل ابا الاسباط وجعل فيهم الملك والنبوه واورثهم العالم والحكمه حتى ملكوا مصر وسوريا والعراق وانتقلوا من البدو الى الملك ومن الحصيد الى السريرو وانتشرا ذاك بنو اسرائيل وصاروا امة من الامم وكبير حزب من الاحزاب فيهم الوصاية والنبوه والقضاء والحكمة وما فتؤا ان ينتقلوا الى مصر وزرآ . وملوكا بعد ان كانوا خولا ومماليكا ثم ما اغتبت الايام الا وعادوا في اسرا افراعته واستعبدتهم الجبابره يسومونهم سوء العذاب يقتلون الابناء ويستحيون النساء حتى ادركت العناية ذلك الشعب التعيس فارسلت من يفكهم من الاسر ويجرده من ذل العبودية ويخلصه من اشراك الهوان فنبع من بينهم ذلك الايد النبي الكريم موسى ابن عمران على رغم مساعي (امينوفيس) فرعون ذلك العصر الذي وضع المراقص والربايا واسهر عيون الحراسة على ذبح كل مولود من الاسباط فما احس الا وصنيعته موسى قد اصجر بارزا تلقا وجهه يفاظ له القول ويتشمر عليه في المكاشفة ويدعوه الى الاذعان له والدخول تحت طاعته وتخليص شعب اسرائيل من مخالب استعباده وما اذف ذلك المخلص ان اغرق فرعون وقومه في بحر طغيانه واهلكه بتيار عدوانه وخافه في داره ملكه وسلطانه وما دارت الدواير حتى اجتمع لبني اسرائيل الملك والنبوه والملة والدوله والحكم والحكمه وملك اوصيا . موسى الارض المقدسة وانبسط باع ساطانهم الى ملك الاشوريين من بابل بعد مصر وفلسطين . واصبح شعب اسرائيل دولة من دول العالم . ومملكة من ممالك الارض . ولكن ما لبثت غير قليل . حتى دالت الدول وحالت الاحوال وفسدت الاخلاق . وركنوا الى الترف والتعيم . واخلدوا الى الملك والساطان وشبت بينهم نيران الحروب . وسفكت فيهم

الكتب الالهية كشيث وادريس ونظرانهم من شيوخ الانبياء واولي المرسلين وتكون شرايعها قد دخلها التغيير والتبديل كما دخل غيرها من الشرايع

الدماء . في سبيل الاستئثار والغلبه . بيد انهم لم يعدموا في أوليات ملكهم ملوكا صالحين لهم حظ من الوحي والنبوه . كان اولهم (شاول) الموسوم في الفرقان باسم طالوت ثم ملك بعده داود ثم ابنه سليمان ثم وارثه الفذة (رحبعم) ومنه دب سوس الفساد وطلعت طلائع الشر على ملكهم واخذيت لاشى . والفن فيه تتفاشى فغيروا وبدلوا وحرّفوا واوّلوا وخالفوا شريعتهم وجاهروا بالخطا والخلاعه وعادوا الى عبادة الاصنام على اشنع وجوها فنصبوها في بيت الرب اربابا وتشيعوا لها احزابا - وما برحوا على ذلك حتى سلط الله عليهم عبادا اولي باس شديدهم الكلدانيون وفي مقدمتهم بختنصر (نبوخذ نصر) ففعل بهم ما لم تفعله الفراعنة بسلافهم فجعلهم جزاذا . واحرقهم احياء . وصار يعاقب عليهم الكرة بعد الكرة . ويغزوهم في بلادهم من فلسطين مرة اثر مرة . واعظم ما هنالك بليّة انه احرق كتبهم المقدسة وهياكلهم العظيمة واكتسح اورشليم (بيت المقدس) وفرّقهم في الارض عابدين وردّهم بعد الملك وهم الاحرار كالعبيد ولم تزل الملوك من بعد هذا الطاغية تسيبرهم في اوعر السبل واخشن المسالك تسومهم الهوان والحسف وتجزعهم مصدرة الحنف . وضربت عليهم الذلة والمسكنة حتى امعنت بهم ارجلهم في الهرب من الرهب وتفرّقوا ايدي سبا في شاسعات البلاد وزوايا الارض اوزاع مشتتين خلف كل باب . من عمران او يباب طوى الدهر عليهم ما يناهز العشرة قرون وهم على ذاك ومثله وحين بلغ الامر الى غايته وانتهى بهم البلاء الى تخوم شدته تحركت لهم عواطف الرحمة وادركتهم عوارف الغايه فارسات منهم اليهم نفحة من روحها وكلمة من كلماتها ملاكا بشريا من ملكوتها

✽ ذاك المسيح عيسى روح الله وكلمته التي القاها الى مريم ✽

تجسّد هذا الروح الالهى واشخص بنفسه اليهم ليجمع كلمتهم ويلمّ شعشهم ويعيد مجدهم ويحيي موتى جهلهم ويبرئ الائمة والابرص من تقاليدهم وعاداتهم فكان من امره ما هو قيد يدك ومد نظرك (وبطلع الائمة منك) (١) والقصارى ان في القرون التي تتصل بعصورنا هذه قد كان السايّد من الاديان والمنتشر بين من نعرفه من البشر هو تانك الشريعتان وهما الشايعتان عند اكثر الامم بانها خاضعتان لعبادة آله واحد ومعبود فرد مقدّستان عن شر الشرك وارجاس الوثنية مترفعتان عن

السجود لغير الخالق الحق الحيّ الواحد أمّا العرب فقد كان في قبائلها وافراده من تلك الديانتين
 حصّةٌ ليس بالقليلة غير أن الشائع الفاشي والمذهب الاغلب الذي يعرف العرب بهما سائر
 الامم وينتمي اليه عامتهم وخاصتهم واكثر قبائلهم وعمائرهم هو دين الحنيفية دين
 جدّهم ابراهيم وابيهم اسماعيل الذي هو احق واعرق بالتوحيد ممّا خلقه وتعبّاه -
 بيد ان اصل الدين كلّهم متحد الجوهر . وان اختلف المظهر . الاديان كلّها متحدة
 الحقيقة . وان اختلفت الطقوس والطريقة . الاديان كلّها واحدة تدعو الى عبادة
 الواحد لا تختلف في المبادئ ولا الغايات . وانما اختلافها في ما يناسب البيئة والامة من القوانين
 والمشروعات . ودين الحنيفية هو دين التوحيد وان ادخلت فيه الجاهلية ضدّه من عبادة
 الاصنام ولكن هذه الدخيلة بل الرذيلة كانت كاسمها جاهلية هم يعترفون انها ليست
 من دين آباؤهم بشي . وانما وجدوها عند بعض الامم فقلّدها ثم فشا ذلك فيهم
 حتى بلغ اقصى مهالعه وابعد غاياته وانت تعرف ما للتقليد من النفوذ في النفوس
 وسريانه في اكثر الاشياء ولا سيما في العقائد والطقوس . بيد ان العرب وان مسخروا
 ونسخوا ذلك السدين المقدّس ولكن بقيت منه فيا بينهم بقايا تستثير في مدلهات
 كفرهم ومحلوك عاداتهم استنارة الثواقب في اديم الليل البهيم فكانوا يحجّون البيت
 الحرام ويعظّمون قبل النسي . حرمة الاشهر الحرم ويختتنون ويفترضون الغسل من الجنابة
 ويعافون الدم ولحم الحنّيز ويبيجون التّزوج باكثر من واحد ويفسخون عقد الزواج
 بالطلاق الى كثير من امثال ذلك من الآداب وكرام العادات كاحرام الضيف وحفظ
 الذمار وحماية الجار والوفاء بالذمم والشجاعة والكرم وعدة من هذه الفضائل التي هي
 تمام محاسن الاخلاق ومن اهمّ ما تتجرّاه الاديان الانسان وما تحرص ان يكون
 متخلّقا بها منطبقا عليها وكلّ تلك الاعمال والخلال والعادات والعبادات قد ورثوها
 من انبيائهم وآباؤهم ابراهيم واسماعيل لم تزل تنتقل في سلايلهم وقبائلهم وكبار
 اشياخهم وخلفهم من قحطان وعدنان ومعدّ ونزار . وفهر وكنانة . وامثال هؤلاء من
 رؤوس القبائل ومبادئ السلايل (١)

(١) ان من الغريب ان بعض كتاب المسيحيين من ارباب الصحف السبّارة قد فح في بجمته
 بابا متتابعا حاول فيه اثبات ان العرب كانوا كلهم او جاهم نصارى واتى على ذلك بدلائل او هي
 من اسلاك الهبا وبرد من ريح الصبا ركب عشواء في شعواء وخبط خبط الاعشى في الظلماء
 يحكم على القبيلة بحكم الفرد وعلى الفرد ببيت من اشعاره فيه ذكر الصليب او ذكر الكنيسة

او المسيح او غير ذلك مما لا يختص الكثير منه بالنصارى وعلى تقدير الاختصاص فلا يمنع ذكره
لاغراض اخر غير الدين وانت جند خير ان الشر لا يثبت المذهب على الاغلب الا اذا وقع
على القصد والعناية لذلك

والآ فتصر قيس بن زهير العبسي لا يقضي ولا يشعر بنصرانية كل بني عبس وقول النابغة

ظلمت اقاطيع انعام موبسة لدى صليب على الزوراء منصوب
لا يقضي بنصره في ذاته فضلا عن نصرانية كل بني ذبيان - سواء اراد بالصليب العلم او
الصليب المعروف كما ان وجود بعض الاديرة في ديار بعض قبائل (طي) لا يقضي بنصر
كل قبائلها . وتنصر ورقة بن نوفل لا يستلزم تنصر بني اسد بن عبد العزى فضلا عن قبائل
قريش فهل يحسن بهذا ان يعقد الكاتب عنوانا لوجود النصرانية في مكة وفي قبائل قريش
والاعجب من ذلك الاستدلال على هذه المزعة بوجود صور الشجر والملائكة وابراهيم وعيسى
في الكعبة وان النبي صلوات الله عليه امر ان تمحى جميع الصور الا صورة عيسى عليه السلام
وما اعرف ما وجه الدلالة في ذلك وهل وجود صورة احد المشاهير في بيت الانسان يدل على
انه مدين به على ان العرب وان كانت حنيفة ولكنها ما كانت لتكر فضل عيسى (ع) ولا لتجعل
مقامه كما لا تجهل فضل موسى (ع) والاسباط وهذا لا يصيرها يهودية او نصرانية وان حلفت
به او بصليبه او رست صورته . ومن الظريف ابراده قول ابن خرم في وصف الحمره

وصها . جرجانية لم يطوف بها حنيف ولم تغفر بها ساعة قدر
ولم يشهد القس المهيمن نارها طروقا ولا صلى على طبخها حبر
فقال ان المراد بالحمره قربان الاصارى والحنيف هو الراهب الى آخر ما ذكره وهذا كما
يحكى في النوادر من تفسير ذلك الاعرابي لقول الفرزدق

بيت زرارة محتبر بفنائه وبجاشع وابو الفوارس نهشل
ان البيت هو الكعبة وزراره الحجر الاسود وبجاشع بن زرم ثم نهشل عن نهشل فتأمل
ملياً وقال هو القديل الملقى في وسط الكعبة . وبالجملة فنراجع ما سردناه في تلك المقالات
المتتابة يجد من الغرائب ما يضحك الثاقل ويشير تعجب كل عاقل وله كثير من هذه التحويلات
في كتابه (شعراء النصرانية) ولكن مما يثير الاسف على ضياع العلم وكساد الحقائق وترويع
الاباطيل استشاده بكلمات عبد المسيح الكندي في رسالته الى الهاشمي في ايام المأمون وما كنا
نظن ان مثل ذلك الكاتب المعنى بطلب الحقائق يغالط على نفسه او على البسطاء بمثل هذه المغالطة
كبف وهو وكل من له ادنى حظ والملم من التاريخ يعلم ان هذه رسالته مجعولة وانها من مفترقات
هذه العصور وان عبد المسيح هذا والهاشمي ذاك ما كانا الا كافي زيد السروجي والحارث بن همام
في افاصيص الحريري والحمداني وسياتي التنبيه والاشارة لهذا في اخريات هذا الجزء ان شاء الله
(وعلى أي) فنحن وان كنا نرى ان مزعة نصرانية اكثر العرب وهم حائل وشبح خيال
زايل وان حججها داحضة ودلائلها مدخولة ولكننا لا ننكر ان في العرب كثيرا من النصارى
قبائل وافراد وجماعات واحاد بيد اننا لا نستيقن ان النصارى كانوا في العرب اكثر من اليهود
وسواء كانوا اقل ام اكثر فليس لذلك الكاتب منهم حظ ولا نصيب سوى انه قد حاب حلبا

ولكن وبالاسف ان الاذئاب وسفلة الاعراب والطغمة والاوزاد لم يدعوا تلك الماوية الصقيلة حتى مزجوا الرذيلة بالفضيلة وادخلوا في الحنيفة البيضاء كل معوجة سوداء والبسوها رداءا الممجية ووسموها بكل سمة رديه فكان ايسر ما عندهم نصب الاصنام . والاققسام بالازلام والخمر والميسر والداب سعاورا . القارات والسلب والنهب واهون دم يراق عندهم دماء البشر ولا سيما من اخوانهم وابناء جلدتهم حتى اصبحوا والشغل الشاغل لهم الذي كانهم لا يعانون سواه ولا يارسون غيره ولا تقوم مقوماتهم الحيوية الا من ريعه هو الغزوات والقارات وسلب النفوس والاموال اما الفوضى عند اوباشهم في الاعراض وعدو بعض على حلايل غيره سرا او امتلاكها بالاستيلاء . جهر اوبيع ما اصابه في الغزوات من البثين والبنات في سوق عكاظ او في غيره من اسواقهم ففعلوا بذلك واسترها بكل شرا شرك . ولكن هلم الخطب في غلظة تلك القاسوب التي هي اغلظ من اكباد آبالها . واقسى من صخور جبالها . تلك القلوب التي تند بناتها وتقتل من خشية املاق ابناؤها . تدفن بايديها افلاذ اكبادها . وقطع فؤادها اي همجية هذه واي بربرية هي . هذه كانت جمهرة اخلاق العرب وحالتهم الاجتماعية

ليس له ولا شطره وعانى امرا اذا يتم تعداه فخره . ان جل نصارى العرب او كلهم قد كانوا (يماقيه) و (نساطره) وامثالهما مما يتعدن الكثرة اشد التباعد وكانت نصراية العرب بسط مذاهب النصارى واقربها الى المعقول وانسبها لبساطة طباعهم . وقد كانت مقالاتهم في المسيح (ع) طبق ما انبأ عنه الاسلام وضربة العربي على عرينه اهون عليه من تكليفه الايمان بسر الثالوث وان الواحد الله وان يأكل الخبز على انها لحم المخلص ويشرب الخمر على انها دمه ونظاير هذا مما ليس انقص في الحاضر الى بيانه واذا الكثرة التي اردنا بيانها وتسجيلها على الاستطراد هي ان المذهب العام في العرب قبل الاسلام ما هو الا ما انبأنا عنه من مذهب الحنيفة مذهب ابراهيم واسماعيل الذي بقي عندهم كثير من نوايسه وشرايعه التي عرفتها ودخله كثير مما ليس منه شان ساير المذاهب والادبان التي يمر عليها تطاول القرون والازمان وقد صرح كثير من العرب بذلك قال ابو قيس الاسدي

فلولا ربنا كنا يهودا ومادين اليهود بذي شكون
ولولا ربنا كنا نصارى مع الرهبان في جبل الجليل
ولكننا خالقنا مذ خلقنا حنيف ديننا عن كل جيل

ولو اردنا اثبات هذه الجلية لاتيانا من الحجج الدائمة والبراهين الساطعة ما لا يحجبه احكف الحجب والمساير وسياقي من حديث زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ونظرائه ما فيه بعض الدلالة على ذلك وتعرض لاستيفاء المسئلة هنالك والله المستعان على اصابة الواقع ونصرة الحقائق ان شاء الله

والاقتصادي والديني . هذاو الشريعتان الموسوية والمسيحية بين ظهرانيهم وخلال اطلاب منازلهم لم تقدمهم شيئا من التهذيب ولا حظا من التربية والتشذيب . اذا فما اخرجهم الى من يطهرهم ويذكهم ويهذبهم ويربهم . ما اخرجهم الى من يخلص تلك الفضائل من هذه الرذائل ويعيد اليهم شريعة جدهم ابراهيم غضة جديدة . يكمل نقايصها . ويتيمم محاسنها بانواعها والشروط في كل الشؤون والحاجات . بحيث يلائم كل عصر ويوافق كل وسط . ويناسب كل زمان . فلا يبقى بها شايبة نقص ولا مظنة قصور . ولا مجال تغيير وتبديل . فتبقى ابدية مع الانسان قيمة بكل سعادته رهينة بجد حياته في اولاه وآخرته . طالما تمسك بها الانسان ولم يفك عراها الوثيقة من يده - هذا حال عرب الجاهلية وموضع حاجتهم - اما تلك الشريعتان فتقع فلسفة النظر فيهما من وجهتين حريتين بالمبحث والتمحيص * الاولى * من حيث جوهر حقيقتها الاصلية واصول مبادئها الاولية * والثانية * من حيث ما طرأ عليها من الطواري ، وما عرض لها من العوارض والتغيرات والتبدلات والمسخ والنسخ الذي لم يختص فروعها وشرائرها بل سري الى اصل جوهرها وروح حقيقتها فابسوها اهاوها ايس الفرو مقلوبا والرداء معكوسا . اما النظر من هذه الجهة فنرجى ، بسط الكلام فيه الى . وضع آخر فيما سيأتي ان شاء الله

اما ما نقوله من الوجهة الاولى فمع تقديم كل احترام وتمظيم اذنيك الديانتين الكريمتين نقول ان كل خايش في العهدين متعهد لها بتدبر وروية ومتصفح للتاريخ ليدعم به ما يستفيدة من كتب الدين يجد لا محالة ان الشريعة الموسوية حسب اقتضاء تلك الظروف وصالح ذلك الوقت واولئك القوم قد كانت جافة شديدة تجهد الانسان وتنقص عليه حياته وتتركه في اعقد من ذنب الحُب عسرا شديدا وحرجا مبخلا بالامور الحيوية ومزهدا لروح الراحة والدعة

ومع ذلك فهي جسمانية اكثر منها روحانية بل كائنات جسم لا روح فيه وشبح لا حياة به اريد بذلك انها لا تلطف المشاعر ولا توسع المدارك ولا تفتح للعقل وجوه النظر ولا تتيح الروح خفة ولا النفس ظرافة ولباقة ولا الاحساس نشاطا واريحية وهذه ملحوظة ما انفردت بذكرها ولا انا ابو عذرتها وابن مجذتها بل قد نبه عليها الباحثون وقيد شاردتها حتى المؤرخون وانما اضم رأني الى رأيهم واجعل يدي في ايديهم هذا ابو الفرج العبري الحبر القيسر والاب القديس والمؤرخ الثبت في

تاريخه الموسوم (بمختصر الدول) صفحه ٣٢ من طبعته الشهيره بعد ان ذكر شيئا من الوعد الالهى لن عمل يوصايا الاله والوعيد على من خالفها قايلا " يا اسرائيل ان علمت يوصايا الهك بوركنت في قريتك . بوركنت في حقلك بورك ثمار كرومك وولد بغيرك . . . وان خافت تنقلب بركاتك لعنات ويبددك الله في جميع الامم ويعطيك قلبا فزعا ووجع العين ورمك باليط . وتكون مرعوبا بالليل والنهار . قال العبري بعد نقل هذا - ما حرفه . يقول تأمل ايها القارى . كيف جعل الله وعده ووعيده لبني اسرائيل مقصورين على ما يرونه في دنياهم من غير ان يذكرهم شيئا من احوال الآخرة وامور المعاد وذلك لعل طبايعهم وقصورهم عن النظر الى العالم الروحاني . والصادعون بهذا وما هو اكثر منه كثيرون ولكن الشأن فيمن يتوصل من هذه المقدمات الى الغايات ويعرف ما ذا يازم في العنايه من وراء ذلك اذا فالشرعة الموسويه وان كانت مقدسه اتميه واكتمها شبه بان تكون موقته محدوده في ظروف مخصوصه ولا تصلح ان تكون عامه لكل البشر وفي كل الازمان سيما مع خلوها عن النواميس والاحكام لكل الضروريات الاجتماعيه والفرديه الاخلاقيه والاقتصاديه فلامواريث ولا جزائيات ولا عقود ولا معاملات . ولا . ولا . . . اما اختها العزيزة لدينا . والكريمة على الله وعلينا . فلا اقول انها والموسويه شعبتان من رند . وشعلتان من زند . ورضيعتان من لبن . ونبتتان من فتن . بل اقول هي تلك بعينها . وبتمام حقيقتها وكنهها . كلا ما نا اقول ذلك بل نفس شارعها والصادع بها اعلن بهذا في آيات من اناجيله . وبيانات من اصحاحات قبيله . قانلا لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس او الانبياء . ما جئت لانقض بل لاكمل ١٨ الحق اقول لكم الى ان تزول السماء والارض لا يزول حرف او نقطة واحده من الناموس حتى يكون الكل (١) اما زوال نقطة السبب الى الاحد واختنا ان الى التغطيس والعموديه وحرمة الخمر الى الاباحه وكثير من اشياء ذلك فالقيام مقام نبوه بل ربويه فهو موضع تسليم واذعان لا بحث واعتراض وعلى (اي) نايست المسيحيه الا شرعة موسى (ع) بجميع احكامها ومشروعاتها ولا تجد في الانجيل شيئا من وظائف التكليف وطقوس التشريع وانما معونها على ما في العهد القديم من ذلك كذا يقولون

(١) الناموس عندهم كما ذكر في قاموس الكتاب المقدس ما نصه يطلق على شرعة موسى

وانطوه على عواهنه ونلقه على بلالته . نعم للمسيحية الفضل على تلك انها بعثت روحا في هياكلها . ومعاني في الفاظها . وحياة في قوالبها . فروقت مشاربها . واطقت مزايلها . واكتنفتها من قبيل ما يقال . زاد في الرقة حتى انقطع . وحلّق حتى كاد ان يقع . فاصبحت في هذه الجهة على الضد من تلك فكان احدهما جسمانية محضة . والاخرى روحانية خالصة . وقد ضاع بينهما حد الوسط والاعتدال الذي هو خير الامور بل هو الخير كله . وسند دعوى ان الثانية هي روحية اكثر منها جسمية خطبة سيدنا المسيح عليه السلام الذي خطبها على الجبل تلك الخطبة الذهبية التي تشع من طياتها الانوار الالهية ومدارك الحنان والرحمة ولا يؤثر عن المسيح كلام يدانيها او يساويها ولعلها هي اساس شهرته . بل تمام شريعته . فكانتها هي الديانة المسيحية كلها ولكن اي تال لها ولو درجا ليعرف انها غير معنية بالامور الروحية والكون المعنوي . والعالم الاخروي وليس فيها من شأن المحسوسات وتدبير هذا المزل شيء . بل هي عامة بكل فجاويها ومناطقها على اعماله وخموله وتقهقره وسقوطه . الى اعقق المهاوي وانزح الدركات . يقول له المجد والشرف لا تكثروا كنوزا على الارض ولكن اطلبوا كنوز السماء . لا تهتموا بما تاكلون وتلبسون فان طيور السماء لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع يقول (ع) . لا تتعب لا تغزل وكن كزنايق الحقل . يقول اذا ظلمت لا تقاوم البشر ولا تدفع عن نفسك ومن اخذ ثوبك فاعطه رداك . ومن ضربك على خدك فحوّل له الآخر ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين . هذا غرض تعاليمه . وخلاصة شريعته سلام الله عليه ونحن نبرر ونقدس تلك التعاليم ولا نرتاب ولا نشك انها تعاليم الهية وطقوس مباركة قدسية ولكننا نقول فيها ما قلناه في سابقتها انها شريعة اقتضتها طبيعة الوقت وضرورة صالح المحيط ولعل العالم يومئذ كان في حاجة الى مثل ذلك ولكن ليس من العناية ان يجعل الخاص عامّا لكل زمان ولكل جيل وأمه بل من الواجب في الحكمه بناموس (لا يصح غير الصحيح) (ولا يبقى غير الانسب) ان تضع شريعة الوسط والاعتدال . وتعود بالاطراف الى الاوساط . وبالاخراقات الموقته الى الاستقامة المبدية . اذا كانت ضرورة بني اسرائيل يومئذ تقضي عليهم بشريعة تقول لهم لا تزرعوا ولا تتعبوا ولا تقاوموا للبحر . فان ضرورة عامة للبشر في اشد الحاجة الى شريعة تقول لكل واحد منهم (اعمل لدنياك واعمل لآخرتك) الشريعة الوسط بل المحيطة باطراف

الكلمات واوساطها هي التي تقول (ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه بل خيركم من اخذ حظاً من هذه وحظاً من هذه)
 هي التي يقول قانونها المقدس ازرعوا (وكلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده) ويقول
 في السعي (امشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) ويقول في حفظ الجامعه ودرء الشرور
 (واعدوا لهم ما استطعتم) ثم يحفظ روح الفضيلة في تعديل تلك التعاليم ويدل على
 حقيقة الزهد بقوله (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) ثم يقول
 (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ولا يدعها حتى يتلافها بقوله (والباقيات الصالحات
 خير عند ربك ثواباً وخير امداً) (وما عند الله خير وابقى) ويقول (اما مناً واما
 فداء) ثم يقول في الجزاء (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) (دلالة على طريق
 العدل) ثم يدل على طريق الفضل فيقول (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) (وجزاء
 سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصح فاجره على الله) الى كثير من هذه الآيات الذهبية
 والحقايق الجوهرية مما ليس عقد هذا المقام لاحصائه واستقصائه . وانما الغرض ان من
 العناية اللازمه والحكمة الواجبه بعد ذينك الشريعتين ان يضع الحكيم شريعة
 وسطا . وطريقا جديدا . جامعاً لطريقي العدل والفضل آخذاً بأعنة السعادتين واصلاح
 النشأتين وتقوم اود الحياتين بحيث يتعادلا في الصيار ويتساويا في الوزان . ككفتي
 الميزان . وهذه الشريعة التي لها هذه الخاصة والميزة عن غيرها هي التي تصلح ان تكون
 القانون الابدي لصالح عامة البشر في عامة الازمان جيلا بعد جيل . وقبيل بعد قبيل
 ويستحيل ان تُنسخ او تبدل او تحتاج الى تكميل او تسويه بعد ان وجدناها وسطا
 ومركزا . والوسط خط واحد يستحيل ان يتكرر والمركز نقطة يمتنع ان تتعدد .
 وهذه الفلسفة التي ابديناها من المناظرة والمقايسه بين الشرايع الثلاثة التي لا رتاب
 انها شرايع مقدسة الهية مترتبة متتالية . ان هذه الفلسفة الدينيه . كهي من الحقايق
 الراهنه التي يصيبها كل باحث منقب وتسبق الى الآراء قبل طول البحث والعناء .
 وكذلك شان كل حقيقة . وانما العناء في تزيق ما تكاثف عليها من شبهات المبطلين
 واوهام المشككين لا في نفس ذاتها . وحقيقة امرها . الحقيقة أبت الا ان تتجلى
 حتى على لسان من يناوئها . ويججدها ويلحد فيها—هذا (شبلي شميل) وهو من تعلم
 ما هو وكيف هو من الدين يقول في مجموعته (فلسفة النشوء والارتقاء) في التعاليق
 منها والذبول ما حرفه «شريعة موسى مادية عمليه ايضا ولكنها غير مستوفاة وشريعة

عيسى وان كانت حكمها ومواعظ تعتبر اصولا كليه الا انها في جملتها نظرت الى العالم الروحاني اكثر من الحياة الدنيا بخلاف شريعة محمد فانها نظام اجتماعي عملي مادي قانوني حقيقي « وله وتغيره جم من هذا القبيل وما هو اوسع وانفع منه بكثير ولعلنا نأتي عليه في مواضيع اخرى من هذا الجزء . نستوفي بعضه ونحصىه لاننا نعدّه شهادة حق . لنا ، ممن ليس هو منّا ، ولا متهم في حق سوانا ، ولا في حقنا ، ولكن حيا الله الحقايق التي لا تعدم لها نصيرا حتى ممن يصد عنها ، وظهرأ يعترف بها على انه يلحد فيها وليس كل هذا من القصد وان طال كلامنا فيه ، انما القصد والمتحصل من كل ما سبق هو اننا بعد ما اثبتنا ان لهذا العالم قوة مدبرة معنيّة باصلاحه وسعادته باختياره وارادته عاملة على تنسيق شؤونه ونظم معاشه ومعاده على ابداع ما في الامكان وانّ ذلك هو اقصى الغرض والغاية من ايجاده لا للانتفاع به ولا للانتقام منه ولا لاطهار القوة والسلطة عليه ثم نظرنا في جملة من نواميسه وشرائعه التي سنّها ووضعها لتلك الغاية من الاصلاح فوجدناها بضرورة العقول وبديهة الفطره وشهادة من لا يؤمن بتلك القوة — ناقصة ليس فيها سداد من عوز ، ولا دفعا لحاجه ، ولا صلاحا لكل فساد

ثم نظرنا في اخرى بعينها واغرقنا نزعاً في مشروعاتها فوجدناها لم تدع ككثيرا ولا قليلا ، ولم تهمل نقيرا ولا فتيلة ، حتى حلّ العقال ، وارش الخدش ، ودية النطفه دافعة كل شقاء جالبة لكل سعادة ، جامعة للعدل والزيادة ، واقفة على حد الوسط والمركز في كل ساذجة ولاعه وغادية ورايحه (وكذلك جعلناكم امة وسطا) فهل يسوغ في حكم العقول وضرورة الوجدان والحال على ما عرفت ان نحكم بان تلك شرايع الهية وفواميس قدسية دون هذه التي هي بتلك السعة والاحاطه ، والجامعة والبساطه كلاً ثم كلاً ، وهيهات هيهات ، ان انكار كون هذه من اعظم الشرايع ، واقدس الملل ، وخاتمة الاديان ، ان انكار شي . من ذلك مساوق لانكار نفس تلك المبادي الاولى ، وعود الى التعطيل ، ورجوع الى الالحاد — حقاً نقول .

امّا ان تكون الشريعة الاسلامية هي الشريعة الالهيه والدين الابددي ، وامّا ان لا يكون للعالم صانع ، ولا للكون مدبر ، حقاً اقول ، اما ان يكون (محمد) صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه رسول الله وخاتم النبيين وامّا ان يكون لاني في العالم لانوح ولا ابراهيم ، ولا موسى ولا عيسى ، بل يعود حديث النبوه حديث خرافه

وترهات وسخافه ، حقاً اقول امّا ان يكون القرآن هو الناموس الالهي والقانون الابددي واما لا توراة ولا زبور ولا انجيل ولا مزامير ، حقاً اقول ، وانا الزعيم بذلك وذهمتي به رهينه ، انه ما من أمة من الامم ولا ملة من الملل ولا واحد من البشرية برهاناً او براهين على صحة مآلته ويسجل دليلاً على حقيقة معتقده الا ونحن معاشر المسلمين نقيم ذلك البرهان بعينه ، مع اضافة اضاف من مثله ، ومما هو اقوى واشدّ واعلى واسدّ على احقية الشريعة المحمدية واولوية الديانة الاسلامية وناسخيتها الكل الشرايع والاديان وعدم صلاحية شي ، منها لان ينسخ بشي ، مدى الابد والى منتهى الزمان - هذا ما اردنا بيانه من كل تلك الفلسفه الآنفه وسيتضح لك الكثير منه في المباحث التالية اذا شاء ربك . وشاءت لنا ولك عنايته

﴿طريق اثبات النبوه لمن عاصر او تأخر عن زمان الدعوة﴾

اما الحجّة والمجّة لاثبات النبوه وان الزعيم بها والمدّعي لها هو حقّاً رسول من الله والمهيمن منه على عباده . فسبيل ذلك لمن هو في عصر الدعوه جدّد لأحب بالمعجزة التي تقدّمتنا اليك في تفاصيل الكلام عنها ولكن توسيع النظر وتسريح الفكر في فجاج البحث والتأمل ينتهي بنا الى طرز آخر او آخر طرز من البيان . وذلك انك تعلم احسن العلم ، ان هذا البشر منذ كان ولا يزال على طبقاته وشتى اسناخه التي لا يحصيها العدّ ولا تقف عند حدّ ولكن يسعنا ان نجمله جميعاً ضمن دايرتين يُعبّر عنهما في الشايخ " عامة " وخاصة . ونوعز بالخاصه الى ذوي الالباب النافذه والخواطر الثاقبة والمدارك العاليه والقرايح القويمه وما اشبه هذا من الجبل الكثيره وموجزها كلمة واحدة وهي ان الخاصه من بلغ بحسب فطرته وفضل مساعيه ومعونة جدّه وجهده الى حقيقة الانسانيه فهو انسان كما ينبغي للانسان ان يكون . والعامة من لم يبلغ كيانه ووجوده الى حقيقة الانسانيه ولكنّه في صراطها ومستعدّ لها فهو بذرة من ذلك النوع ولما يبلغ بعد اليه

(أما الخاصة) فهم بفضل ما عندهم من العلم والمعرفة وصحة الحدس والفراسه . في غنى عن تحرّي المعجزات والتماس خوارق العادات بل يمعنون نظراً في شمايل ذلك المدّعي للرسالة ويفرقون نزاعاً في تدبر رسالته وما جاء به من عند مرسله فان وجدوا على شمايله دلائل من مرسله وعلامات من مبتعثه وان رسالته طبق ما يُعلم من حال المليك الذي يدّعي الرسالة عنه وعلى وفق ضروريات الامة التي أرسل فيها وقام بين ظهرانيها ودعاها الى اتباعه . والعمل بما جاء به . ارتاحوا به وسكنوا اليه واغناهم ذلك عن الاعتقاد بمعجزه والاعتماد على مدهشه . وكان لهم من نفس دعواه وجوهر مقالته اعدل شاهد على صدقها واقوى دليل على صحتها . وشتان من يستدل على النار بحرارة ضوئها ولمعانها ومن يستدل عليها بتصاعد دخانها . شتان طيب عرفته بمعالجة المرضى والمزمين حتى ابوا . وآخر عرفته بكثرة ما يحفظ ويسرد عليك من اسماء العقاقير والادوية . ان مثل هؤلاء الخاصة من ذوي التمييز والمعرفة كمثل اطباء مهرة وعلاجيين جهابذه ولكن اصاب بلادهم اوبئة غريبة عجزوا عن علاجها ومعرفة اسبابها فنبغ من بينهم رجل ومعه كتاب يعرفهم العلل والاسباب . ويدلهم على طرق العلاج لتلك الاوصاب . ويشرح لهم الداء والادواء . وما يُقتلع به جرائم ذلك الوباء . وما نظروا في كتابه حتى ادركوا بفضل ما عندهم من ذلك الفن ومزاوتهم اياه طول اعمارهم انه قد اصاب الحقيقة وبلغ الغاية وما عتموا ان عولوا على الامتحان فوجدوا العيان ظهيرا للبيان . أقبل ياتس منه احدهم بعد هذا ان يطير في الهواء او يمشي على الماء تصديقاً لدعواه وتثيتاً لمقالته وحجة على معرفته . ان الطبيب الذي عالجك وشفاك واباك من دائك وعافاك لا وثق في نفسك وامكن

بضميرك ممن ادعى معرفة دانك ودوانك . والقدرة على شفانك . ولو قلب لك الحجر نضارا . واستخرج من الماء نارا . - ولا او عز بذلك الى الاستغناء عن المعجزات كليا . كلاً فليس كل افراد الامة ولا جميع رجال الشعب ممن لهم قوة ذلك التمييز ومرتبة هاتيك المعرفة وانما القصد ان هناك مقام فوق مقام الاعجاز ومرتبة تسمو عن مراتب التحدي . واما الحاجة الى المعجزات وخوارق العادات في حق من عدا اولئك الخاصة والنفر القليل فهي ثابتة بالضرورة . نعم ان من عدا اولئك الخاصة من عامة البشر تجدهم على حكم الغلبة لا يعدون ان يكونوا من الرجرجة الاتباع والهمج الرعاع اولئك الذين يتبعون في كل العادات والاعتقادات رؤساءهم . ويقلدون امهاتهم وآبائهم . ولعل الغرض والنجاة يحصل لمثل هؤلاء بالاعتقاد التقليدي . اذا اصابوا الحق بتقليد هم . اما في ضلالهم فتكون المواقفة في مضلتهم على من اضلّوهم من كبرائهم ورؤساء دينهم الذين لا محالة قدمت الحجة عليهم اما هم فغير مؤمنين كما انهم لقصورهم غير معاقبين عقاب الجاحدين والخلصة واللباب . وزبدة المخض من هذا الوطاب . ان الناس كافة على طبقات ثلاث ﴿ الاولى ﴾ الخاصة وهم لا يحتاجون في امر معرفة النبوة الى ازيد من النظر في احوال ذلك النبي وسيرته وامعان الفكرة في نواميس رسالته . وبفضل ما في غريزتهم . من قوة النفس وصحة الحدس . يعرفون الصحيح من السقيم . والطيب من الخبيث . والصادق من الكاذب . والرحمانية من الشيطانية . وهذه الطبقة وان كانت قليلة العدد عند نسبتها الى غيرها ولكنها كثيرة في ذاتها ولعل منها جميع النجباء والنقباء من حوارى المرسلين والانبياء .

﴿ الثانية ﴾ العامة والاكثر . والسواد الاكبر . ومنتشر البشر . على سطح

هذا البسيط . المتقاص عن الغمرات من هذا المحيط . وهو لا يميزون حتى عن طلب المعجزة بالعيان . فضلا عن طلب الدليل والبرهان . ولا ازيدك عنهم ذكرا . بعد ان قتلتهم انت خيرا وخيرا . وعرفت انهم لا يحتاجون في عاداتهم وعباداتهم الى اكثر من اتباع رؤسائهم وتقليد امهاتهم وآبائهم وما نشأوا وشبوا عليه من رعدة الصبا ورفرة الشباب . لا يحتاجون الى اكثر من ان ينظروا متبوعهم فيميلون حيثما مال . ويتفياون ما تفيا من ظلال هدى او ضلال . فدع هو . لا . وما يخاره لهم رؤسائهم وكبرائهم ومعلموهم وعلمائهم . فانهم لهم المسوؤلون ان كان ثمة من سوأل . نعم ولعمري الله انه لكائن

﴿الثالثة﴾ من الطبقات من ترفع عن هذه الطبقة والنحط عن الاولى فليس له قوة ذلك التمييز . ولا نقاد تلك الفطنة . ولا صير في ذلك الفكر ومع ذلك فهو لا يتطامن لوضع نير التقليد في عنقه . ولا يرضى لنفسه دون ان يكون كمن يرى الحقيقة بعينه . وهذه اوسط الطبقات والاكثر من الطبقة الاولى . وطريقها الى معرفة صحيح النبوة في عصر الدعوه ليس الا المعجزة التي تقنعه وتتم عليه بها الحجج كما اوضحناه لك اما من تأخر عن زمان الدعوه فالخاصة طريقهم واحد في الحالين كما ان امامه لا يزالون سوا . وعلى قرو واحد في جميع المصور والازمان يتشاكلون في التبعية والانقياد وان اختلفوا في كل شيء . اما الطبقة الوسطى وهم الذين لا يسرون في سبيل . الا على عكازة البرهان والدليل . ولا يخضعون لمقالة الا بعد النظر فيها وطلب الدليل عليها من غير ذاتها فطريق هو . لا . الى اثبات النبوه بل ثبوتها عليهم بعد زمان الدعوه وبعد بلوغ خبرها اليهم لا يعدوا احدا من امور ثلاثه لا احسب لها رابعا

(الاول) ان يبلغهم بالتواتر ان ذلك المدعي قد اتى في عصره بالمعجزات وتحدى اهل زمانه بنحو ارق العادات . وانت على علم من ان المراد بالتواتر كما ذكرناه هو اخبار جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب عادة مع تساويهم بهذه الجهة في جميع الطبقات فيلزم ان يكون كل طبقة تجبر عن مثلها في امتناع تطرق الكذب فلو كان في بعض الطبقات من الوسط او الطرف الاعلى عدد محصور كثلاثة او عشرة او عشرين مثلاً الخلل التواتر وفشل ولو كان المخبرون في الطبقة الدنيا كل من فيها

وللتواتر ثلاث صور (الاولى) ان يتفق المخبرون في جميع الطبقات على لفظ واحد وكيفية واحد وهذا نادر جداً ويعبر عنه بالتواتر اللفظي (الثانية) ان تتعدد الوقائع ويتعدد احاد المخبرين بها في الطبقات فتكون كل واقعة غير متواتره ولكن تشترك كل تلك الوقائع في لازم واحد ومعنى مشترك فيكون هو المتواتر ويسمى بالتواتر المعنوي لانهم جميعاً كخبرين بذلك اللازم الواحد ويمتنع تواطؤهم على الكذب فيه كشجاعة علي (ع) وزهده وزهد الخليفين ابي بكر وعمر (رض) فانه مقطوع به من تعدد الوقائع الرويه التي ليس كل واحد منها في ذاته متواتراً ولكن القدر المشترك منها يكون بصورة متواتر يمتنع التواطؤ فيه على الكذب وعلى ذلك سائر الشهرة التي ذهبت مذهب الامثال وسارت سير الرياح كشجاعة عنترة وعدل كسرى . وجود حاتم . وما انعطف على هذا النسق . ليس السند فيها والسبب الاول لها الا هذا التواتر المعنوي (الثالثة) التواتر الاجمالي وهو ان يتعدد المخبرون بوقائع متعددة مع قطع النظر عن اشتراكها في لازم واحد ولكنها تكون بمثابة من الكثرة بحيث يمتنع عادة في حكم العقل والضرورة ان لا يكون في تلك الوقائع واحدة - صادقة وعلى طبق الواقع . ويستحيل ان تكون كل تلك الاخبار قد وقعت على الصدفة والاتفاق كلها كاذبة فان ذلك وان كان ممكناً في حد ذاته ولكنه مستحيل حسب العادة مرجوح بحسب الغلبة والسبر والاستقصاء . والوقفة عند تلك الاحتمالات الامكانية مغل بنظام الكون مبطل لنواميس العمل فاو علمت الاحصاء فاحصاً واحصاء لا تسمعه كل يوم من كل الاخبار لما وجدت يوماً يكون كل ما سمعته فيه لاشي منه بصادق ولا خبر واحد

فلو بلغت اخبار كثيره بان المسيح له المجد قد ابرأ الاله والابرس واحيا الموتي في عدة وقائع كل واحد منها لا يفيدك القطع والكنك بمراجعة العقل وحكم الغلبه

تقطع بأن واحداً من تلك الوقائع والاعمال لا محالة صادق ويستحيل عادة ان تكذب جميعاً . اذاً فقد ثبتت لك معجزة عيسى (ع) بذلك التواتر الاجمالي ولا يلزم ان تكون تلك الواقعة بعينها معاومه بل نعلم بواحدة منها على الاجمال كما لا يلزم ان تكون كل واحدة بنفسها متواتره وعليه فالموسوي الذي ينكر نبوة المسيح له المجد والشرف محجوج . وفحجم بهذا الدليل . الذي لا يجد احد الى دفعه من سبيل . اما المسيحي مع المحمدي فدعه وضميره . وخطه ووجدانه . فاني راغب الى الله جل شأنه ان لا يجد عن جادة الانصاف . ولا يحق به التعصب فيجيف او ينحرف عن منهج الصواب ان شاء الله .

(الثاني) من الطرق اثبات النبوة على غير المعاصرين . ان يباغهم باليقين اخبار مخبر صادق يعترفون بصدقه وتتم عليهم الحجة من الله به . من نبي او وصي او ولي يخبر عن نبوة من قبله كاخبار موسى بنبوة ابراهيم عليهما السلام او يخبر بنبوة من بعده كاخباره بنبوة المسيح سلام الله عليه او اخبار المسيح بنبوة من بعده ان نطق وصدقت الاناجيل . ﴿الثالث﴾ وهو اقواها . وارسخها وارساها لدعامة النبوة . وتوطيد الحجة الباقية . وثبوت اركان الشريعة الابدية . والنبوة العامة . بل هو من الضروري في الحكمه . واللازم في العناية . وهو ان تكون لذلك النبي معجزة تبقى لمن بعده من المكلفين . وتستمر بصفاتها آية على مرور الاحقاب والسنين . ليحصل منها لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم واعصارهم واسناخهم وشعوبهم ما يتم به احججه ويستبين منه لاجب المحججه . وتؤدي به العناية وظيفتها . وتبلغ الحكمة بذلك غايتها . وتكون لله على الناس الحجة الباقية .

نعم ولا اعرف لمة من الملل ولا دين من الاديان ولا اجد سبيلا للعقل لاثبات نبوة اي نبي كان الا بواحد من تلك الطرق او بامر او امرين من هاتيك الامور . ولكنها قد تعاضدت باجمعها على نبوة صاحب الشريعة الاسلاميه صوات الله عليه بل اختص بها جمعا . من دون ساير الرسل والانبياء . وسيوضح لك ذلك على اتم وجهه واقصى غاياته من مطاوي مقالاتنا الضافية . ومباحثنا الآتية . ان شاء الله

﴿ النبوة المحمدية واعجاز القرآن ﴾

قد ثبتت التواترات القطعية . وقامت الضرورة البتية . من جميع العالم .
وبين نوع بني آدم . ان صاحب الشريعة الاسلاميه . والملة الحنيفيه . منشأ
ايجاد النشأتين . والمقرب من الرب قاب قوسين . علة ايجاد الكائنات
واشرف المخلوقات . اكرم النبيين وسيد الاولين والآخرين شفيع الخلائق
ومرآة الحقائق . الفاتق الراق . اول الفكر آخر العمل . خاتم ما سبق
وفاتح ما اقتبل . سيدنا وشفيعنا رسول الله

(محمد)

ابن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وعلى صحبه الطيبين
قد ادعى النبوه . وتحدى على قومه بالمعجزه (١) وطلب من اهل زمانه
المعارضه . واتى بما هو الشائع في وقته . والمتنافس عليه عند قومه . وما
يتفاخرون بأثيانه . ويترفعون بشأنه . من الكلام الفصيح . والقول البليغ
وكانت بلدته املك البلدان لاساطين تلك الصنعه . واجمعها لمشاهير تلك
البضاعة والسامعه . وزمانه ابهج الأزمنه بمهرة الكلام . وقد اجتمع منهم
في أيامه وما قاربها ما لم يجتمع في غيرها من الازمنة والايام . ولما دعاهم
الى تلك الدعوة المقدسه طغوا وبغوا اشد البغي عليه . وشق ذلك عليهم
غاية المشقة حتى تخاوصوا بجهاليت الخلق اليه . وما دعاهم الا الى هداهم

(١) شرعنا أولاً في ذكر معجزة القرآن لانها هي المعجزة الباقية المخلدّه وهي
اقوى المعجزات ومن التأمل في نواميسه يستفيد الخاصه واهل الادراك والتمييز صحة
النبوه وصدق الرساله وبعد انتهائهما . كلامنا عن هذه المعجزه نعود الى باقي الطرق وسائر
المعجزات فانتظر والمعونة بالله

ومذ كذبوه تحداً لهم . وما تحداً لهم إلا بالمألوف لهم . والمعتاد لديهم .
 المأخوذ عنهم والمسوق اليهم . الذي يمسون ويصبحون عليه . ويروحون
 وينغدون اليه . لا بأمر لم يارسوه . وحال لم يعرفوه . من علوم غامضة .
 واسرار خفية . طبيعية او رياضية . ولم يزل (ص) يتقاضى منهم ذلك .
 ويلح عليهم فيما هنالك . بانحاء شتى وطرق مختلفة . وعبارات متفاوتة .
 حتى اعترف بالعجز عريفهم . وتلدّد تليدهم وطريفهم . وصقع مصاقعهم
 واشاع شنائعهم . وكسّد بضائعهم . وعاد لبيدهم بليدا . وشيبتهم وليدا .
 وقايهم حصيدا . وعالمهم ابا جهل . وسهيلهم على السهل . وعبتهم اعثاهم
 وابو لهبهم اخدهم واخزاهم . وعبد شمسهم اقل . ونابغتهم خامل . وحي
 اخطبهم ميتا . وابن ابي معيطهم اخفضهم صوتا . وهشامهم مخزوما .
 ومخزومهم مهشوما . وسراتهم اسارى . وكبائرهم من الصغار صفارا . قد
 وسموا جباههم بنار العار والعار . ودرسموا على محاسنهم وسم السوء بالذل
 والصغار . وجعلت كلماته في اعناقهم اغلالا فظّلوا لها خاضعين . وطاشت
 البابهم فقالوا . ا هذا الا سحرميين . ثم قنع منهم بعشر سور من سور
 المنزل . ثم تنزل معهم وهو الرفيع الى ادنى منزله . فقنع منهم بان يأتوا
 بعشر آيات . فاجمعوا امرهم وما كان عاقبة جمعهم الا الى الحيبة والشتات
 وحين بدت عليهم المفحمة البايده . رضى منهم بسورة واحدة . فالتجأوا
 الى مفاوضة الخوف . عن معارضة الحروف . وعقلوا الالسنه والعقول .
 واعتقلوا الاسنة والنصول . ورضوا بكلم الجراح . عن الكلم الفصاح
 وفرّوا الى سعة آجالهم . من ضيق مجالهم . وتصلّوا بنصالحهم . ورأوا
 ان ذلك اقوى لهم من اقوالهم . حتى هلكت على ذلك طواغيتهم وفراعنهم
 وتفانت فيه عقاريتهم وثمانينهم . ودرجت وتحطمت قرومهم وقرونهم .

وبأت بالوباء والوبال عليهم اعوامهم وسنينهم ، وتبدلوا بعز الملك ذلاً ، وما انجلت غيرة الضلال عن جهة الحق الا وهم باسرهم اسرى او قتلى الى ان عادت كلمة الله العليا وكلمة اعدائه السفلى ، كل ذلك فرارا عن المعارضه ، ونقضاً لحبال الرد والمناقضه ، تشهد لك بذلك التواريخ والسير والاثار والعبر ، من جميع الامم المليين وغير المليين لا خصوص المسلمين والمنتحلين ، كيف ولو كان لبنان ، ولو وجد حصّله الوجدان ، ولتعيّن ان يقع عليه العيان ، اذ الدواعي متوفرة على نقله اشد الوفور ، متوجهة الى اذاعته ونشره من ذلك اليوم الى يوم النشور ، فانه صلوات الله عليه قد زاحم جميع ملوك الارض ، واستطالت دعوته في الطول والعرض ، وناطحت كباش كتابيه جميع الامم ، من العرب والعجم ، وكاسر كسرى وقيصر ، وبلغ بريد محبراته انبر والبحر ، وانتصر بالله على اليهود والنصارى وحلق نسر قهره حتى اصطاد الصقور والحبارى . وهو حفظ الله شريعته واعلى كلمته . في جميع ذلك يدعو الى كتابه . ويتحدّى بمعجز خطابه . فلو نُوقِض او عورض لحقت موته وهانت بلواه . ولَبَطَات وحاشا ساحته المقدسه دعواه ثم لم تزل تلك المعجزة الباهره . والآية القاهره . باقية على مر السدهور وخوالي الاعوام . ومواضي الحقب والايام . لا تزداد على طول المده . الا جدّه . وعلى شدايد الجاحدين والمنكرين الا شدّه . ولا يزيدھا التكرار والاستملاء . الا حسنا وبهاء . وما تصدّى في الازمنة المتأخرة عن زمان نزوله لمعارضته . الا مأفون الرأي مايق العقل . حتى ان من الاعاجيب . واي شيء منه تقدّست آياته ايس بمعجب . انك ترى الرجل في جميع المقامات من النظم والنثر والخطب كخطيب مصقع فارساً في كل حلبة ولدى كل موضع . فاذا تصدّى من اجل ضعف في دينه او

خَوَرٍ فِي عَوْدِ يَقِينِهِ . اَوْ زَنْدَقَةٍ فِي هَوَاهُ . اَوْ وَصَمٍ عِمَّارٍ فِي عَصَاهُ . اِلَى
مُقَاوَمَةِ ذَلِكَ الْمَقَامِ . وَمُعَارَضَةِ مُعْجَزِ ذَلِكَ النِّظَامِ . اُفْجَمُ وَتَبَلَّدُ . وَاُبْكُم
وَتَلْدُدُ . هَذَا مُسَيِّلُهُ وَسَجَّاحُ وَاُمَثَالِهِمْ مِنَ الْاَوَّلِينَ . وَالْمُتَنَبِّهِ وَالْمُعَرِّي
وَاَضْرَابِهِمْ مِنَ الْاٰخَرِينَ كُلُّ بَزْعَمَةٍ جَاءَ بِقُرْآنٍ وَبَيِّنَاتٍ . وَسُورٍ وَاٰيَاتٍ .
وَلَكِنْ دُونَكَ فَاضْرِبْ فِكْرَكَ فِيمَا يُحْكِي عَنْهُمْ مِنْ تِلْكَ الْمَزْخِرَاتِ .
فَهَلْ تَجِدُ الْاَمَّا يَضْحَكُ الصَّبِيَانُ فِي مَكَاتِبِهَا . وَتَسْخِرُ رَبَّاتُ الْحِجَالِ مِنْهُ فِي
مُضَارِبِهَا . وَلَعَمْرُ اللَّهِ وَعَمْرُ اللَّهِ قَسْمٌ عَظِيمٌ . اِنَّ هَذَا الْكِتَابَ الْكَرِيمُ .
وَالْفَرَقَانِ الْعَظِيمُ . لَوْ اَبَدْتَ عَجَائِبَهُ جَمِيعَ الْاَنَامِ . يَجْمَعُ الطُّرُوسُ وَالْاَقْلَامُ
وَابَادَتْ فِي ذِكْرِ مُعْجَزَاتِهِ الدُّهُورُ وَالْاَعْوَامُ . لَمَّا جُمِعَ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ الْاَقْلُ
مَقْدَارٌ . وَلَا وَقَعَ صِرْفِي الْمَعْرِفَةِ مِنْ نَحْوِ اَعْيَانِهِ الْاَعْلَى عَشْرَ مَعَشَارٍ
هَذِهِ الْعِزَّةُ وَالْمَنْعَةُ . وَالسَّمُوُّ وَالرَّفِيعَةُ . وَالْحَمْدُ وَالثَنَاءُ . وَالْمَجْدُ
وَالْبَهَاءُ . وَالْعُجْبُ وَالْعَجَبُ . وَالْاَطْرَافُ وَالطَّرَبُ . وَالْاِعْجَازُ وَالْغَلَبُ . وَمَا
يَقْصُرُ عَنْهُ اللِّسَانُ . وَلَا يَحِيطُ بِهِ الْبَيَانُ . وَلَا تَصِلُ اِلَيْهِ الْاَذْهَانُ . اِنَّمَا هُوَ
فِي اَحَدِي طَوَائِلِهِ . وَادْنَى فُضَائِلِهِ . وَاَوَّلُ آيَاتِهِ . وَاسْهَلُ مُعْجَزَاتِهِ . وَهِيَ
مُعْجَزَةُ الْاَسْلُوبِ وَالْبَيَانِ . هِيَ الصِّيَاغَةُ وَالنِّظَامُ . هِيَ التَّرْكِيبُ وَالْاِنْسِجَامُ
هِيَ الْاَقْوَالُ وَالْكَلِمَاتُ . هِيَ فَرَائِدُ الْاَلْفَاظِ وَالْمُفْرَدَاتُ . هِيَ جِهَةُ التَّعْبِيرِ
بِنَفْسِهِ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ . اَمَّا لَوْ صَرَفْنَا الْاَفْكَارَ . وَعَظَفْنَا
الْاَنْظَارَ . اِلَى مَا فِي تِلْكَ الْمُبَانِي مِنَ الْاَسْرَارِ وَالْمَعَانِي . وَالْحَقَائِقِ وَالْدَّقَائِقِ
وَالْمَعَارِفِ وَاللَّطَائِفِ . وَالْاَغْرَاضِ وَالْمَقَاصِدِ . وَالْمَصَادِرِ وَالْمَوَارِدِ . وَمَا احَاطَ
بِهِ مِنَ الشَّأْوِ الْمُنِيعِ . بِنِسْكَاتِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ . فَهَنَّاكَ تَنْقَطِعُ
الْاَشَارَاتُ . وَتُجَيَّا الْعِبَرُ وَتَمُوتُ الْعِبَارَاتُ . هَنَّاكَ تَحَارُّ الْعُقُولُ وَتَذْهَلُ
النَّفُوسُ . هَنَّاكَ تَخْضَعُ الرِّقَابُ وَتُطَاطَأُ الرُّؤُوسُ . هَنَّاكَ الْعِظَاتُ وَالزَّوَاجِرُ

والنراحي والاورام . هناك هبة الملكوت وهيبة الجبروت . ولوامع
 حظائر القدس . وطوالع محاضر الأنس . هناك الفزة والهزة . والمظنة
 والعزة . والنفايس والبرزة . القرآن المجيد الفرقان الحميد . الوعد
 والوعيد . الترغيب والترهيب . التعليم والتأديب . التعصية والتهذيب .
 التباعد والتقريب . الأمثال والحكم . الحظوظ والقسم . البلايا والنقم .
 النعم والنعم . ووقايع الله في الأمم . وما اصابها من النكال والبلاء .
 في تكذيبها للانبياء . وما حل بالظالمين . من اهل السماوات والارضين .
 حرية العقل والمعقولات . توسعة نطاق العلم والمعلومات . روابط
 عرى الأخوة والمساواة . عواطف المروءة والمواساة . الشرايع الالهية
 القوانين السياسية . الفنون الطبيعية والرياضية . الحكمتان العلمية والعملية .
 دقايق اسرار التوحيد . حقايق انوار الشفاء . التمجيد . الرقي والعزائم .
 المغيبات والملاحم . التسخيرات والطلاسم . اخبار الصدق عن الغيب .
 انوار الحق بلا ريب . اسباب السعادة والنجاة . ابواب الدعاء والمناجاة
 سائر الاميلين والابتنان . محتايق المعرفة والايان . الجهر والرمز وامثالها
 من اسرار طبائع الحروف . الى غير ذلك مما لا يحصى له لراء من عيون
 الرجال الوف . فكهم ثم من معادن وكنوز . تحت اشارات ورموز . كل
 ذلك في كلام يدل بنفسه على نقاسة قابله . وجلالة جاعله . وملاحة ثمائه
 ونفوذ مشيئة منشيئه . ويميح اليقين ويزيح الشكوك . بانه كلام قاهر
 قادر هو سلطان السلاطين وملك الملوك . فجاء ملء اهاب الهيبة والفخامة
 وحشو ثياب العظمة والكرامة . يعرف ذلك من له ادنى معرفة بعلوم العربية
 والفنون الادبية . فيامن ذاق منها وانو جرعه . واستضاء منها ولو بلمعة .
 اقصد بنداقي . واخص بدعائي . علماء المسيحية . واحبار النصرانية . الذين

فَجَرُوا اليوم من العربية جداول وانهارا . وجلّوا من خرايدها ثِيَابَ
وابكارا . واجروا المحيط بأقرب الموارد من قاموس لغاتها . وجاءوا
بالوسيط والبسيط في مجمع البحرين من حريري مقاماتها . الى غير ذلك
مما ينيف على الألوف في العربية من مؤلفاتها * . وانا لملتصم سائل .
ولكل واحد منهم قائل - ألابذمة الانصاف عليك . ألابما اسدى الحق
والحقيقة من الفضائل اليك . ألابجرمة شرف الانسانيه . ألابذمة دين
النصرانيه . ألابمروءة والتكريم . ألابشرف العلم والتعلم . ألابحقوق
البشريه . ألابجامعة المصريه . ألابعلاقة الادبيه . ألابروابط عرى
العربيه . ألابوحدة السنجيه . ألابجدة الجنسيه . ألابجامعة الكتابيه
ألابالعرفان واليقين . ألابالتمدن والدين . ألاببيت السحيم المعظم . ألاب
بروح القدس ومريم . ألابكل الاقائيم . ألابالعلم والتعاليم . ألابيوحنا
وبولس ألابالمسجد المقدس . ألابكل الاناجيل اقسمت عليك الأ
ما طالمت وتطلعت . وراجعت ما استطعت . ورفعت عصابة العصبية عن عين
بصيرتك . واحضرت الانصاف وطاب الحق في طويتك راغبا في اصابة
الحق لك كان او عليك . واضما في التأمل رأسك بين ركبتيك . متوسعا
في الفكر والتدبر بحالا . ناظرا في قوله تعالى (وقيل يا ارض أبامي مانك
ويا سماء اقلعي وغيض الماء واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين)
انظرها وهي في مقامها . واختبرها في عقد نظامها . ثم استقصها اثرها .
وتعرفها خبرا وخبرا . ثم انظر ماذا تسمع وما ذا ترى . امّا هذا الضعيف
الذي لا يذكر . والطفيف الذي هو احقر من ان يستحقر . على ما في
الذهن من الحمود . وما بالقريحة من الجمود . أجدني عند ذلك وكأني
قد امتلأت نورا . واوشكت ان اتجافى عن الارض خفة وسرورا . ولربما

تنوبني الفزّة، ويصيبني مثل الرعشة والهزّة، واحسّ من نفسي معنى لا يستطيع عنه تعبيراً، وحرية حاله تسترقني فلا املك لها تحريراً، ولو ذهبت الى ما في خصوص هذه الآية الباهرة، ومظهر القدرة القاهره، من الاجاز والاعجاز وشرف المعاني والمباني وبلاغة التفریع والترتيب، وفصاحة النظم والتركيب وما اشتملت عليه من انواع البديع وغرايب الاساليب، لما اجزني الجزوات بل احتجت الى مجلّدات، وقد قامت عنّا مهرة الصناعة وحملة تلك البضاعة بكثير هو منها قليل، وحقير بالاضافة اليها وان كان في نفسه جليل، ولا تحسبنّ انّ هذه الآية الكرّيمه عديّة النظائر والاضراب، في ذلك الكتاب ضع نظرك اني شئت من بيناته، وسرّح فكرك في آية آية اردت من محكماته تجدّها لتلك شقيقه، ان لم تكن بالتقدّم حقيقه (وما نريهم من آية الا وهي اكبر من اختها) او حاكية في الاعجاز عنها، (وما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها)، وما هي بواحدة ولا اثنين ولا ولا، هالك انظر في قوله عزّ من قائلٍ وعلا (يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له انّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حقّ قدره انّ الله لقويّ عزيز) الله اكبر وسبحان الله العماّ الفاء، عدداً انزل الله حرفاً حرفاً، ما ادري ماذا اجرى قلم القدره، وماذا انشا لسان القوّه وماذا حوى وحمل لوح العظمة والسطوه، يميناً بفيض هذه الشايب، ومبدع تلك التراكيب، ومعجزاتيك الاساليب، ما ادري كيف اسبغها واساغها، وفي اي قالب صبّها وصاغها، والى اي حدّ من البلاغة انهي بلاغها، تاهت العقول، وتناهت الالباب، وعجزت الافهام، وحجزت الاوهام، وكلّت اللسان، واعشت الاعين، وانقطعت العبارات وامتنعت

الأشارات . فنكصاً على الاعقاب . وحصاً لأجنحة الألباب . يا أهل ترى
 كيف ابتدأ براعة استهلالها بعموم النداء ومفاجئة الدعاء وعقبة بطلب
 الأصفاء والانصاف . والاستماع والالتفات . اشعاراً في صدر الكلام
 وقبل الشروع في المرام . أن ما هناك شيء عجيب . وشأن غريب . هو
 بمثابة . من العجب والغرابه . وإما وعيش أهلك أن ذلك لكذلك أفليس
 امرأ عجيباً يذر الولدان شيئاً . أن ترى من ذوي العقل جماعه . يخلصون
 بالعبادة وينقادون بالطاعة . لخلق مثاهم قطعاً . لا يملك لنفسه فكيف
 لغيره ضرراً أو نفعا . وهو من الضعيف والعجز في حاله يمجز عن صنع
 مثل اصفر الحيوانات . بل أخس الموام والحشرات . وانظر إلى تلك التهمة
 بل التكملة المهمة . وهي قوله تعالى (ولو اجتمعوا له) فانه يحل ومكان
 لا يأتي عليه الحسن ولا الاستحسان . ثم انظر إلى ما وراء ذلك من الترقى
 والمبالغة زيادة في التشنيع . والتفريع لهم والتفطيع . في عبادة ذلك الخلق
 الوضع . وهو قوله تعالى (وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه)
 فانه الغاية في إهانتهم . والكشف عن عجزهم ومهانتهم . وما هو من
 المبالغة والاغراق الذي هو فوق الواقع . بل ترقى في تصريف المعاني
 على نحو من البيان بديع بارع . ثم انظر كيف عقب ذلك بما يزيد الحال
 في الشناعة والفظاعة . واعطى فذلك المقام فأنخص واجمل . في كلمة
 ضربها ضرب المثل فقال عز شأنه (ضعف الطالب والمطلوب) ثم بعد
 استيفاء الغرض من تصوير تلك الحالة الهائلة . والكشف عن غاية قبحها
 وشناعتها وأنها معبودات باطلة . اوصل القول بذكر المعبود بالحق
 وجهلهم به وتقصيرهم في طاعته وقصورهم عن تعظيمه ومعرفته كما هو
 واجب حقه . وعلى ما ينبغي من عظيم شأنه . فتمال جلّت عظمته . وعلت

كلمته . (وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدره) ونظراً الى الصاقها بالكلام الأول
وشدة ارتباطها به لم يفصل بينها وبينه حتى يحرف العطف لتظهر المقابلة
وتبين المبانيه . ويوضح الفرق . ويتجلى الحق . وحيث كان الشأن . والفرص
المقصود بالبيان . هو اظهار عجز تلك المعبودات من دونه تعالى وضعفها
وضمعتها فاسب ان يجعل ختام الكلام بذكر تأكيد القوة والعزة له
واختصاصها به لتجمع بين حسن الابتداء وحسن الختام فقال عزت عظمته
وعظمت عزته (ان الله لقوي عزيز) عزت اللهم آلاؤك وعظمت نعمائك
أثني عليك ممجدا . وامججدا . موحدا . واوحدا . بالعبودية . واعبدك
بالوحدانية . وانا وما لنا بل جميع الفصحاء والبلغاء وائمة الكلام . جباهنا
في السجود لاياتك موضع الاقدام . اعترافا واذعانا . وایمانا وایقاناً . الى
غير ذلك من عظيم مزاياها . وعلى ما ذكرناه فقس ماسواها . وقد اعجزنا
استيفاء خواصها ولطيفها . ومعجز بلاغتها وفصاحتها . وذلك يابن ودي
ما لعلك سمعته من الامر الذي هو فوق طوق البشر ووراء طور العقل
وما اكثر امثال هذه الآية من معجز آياته . وزبر بيناته . مما لا يتسع
لعدته وسمي وفراغي . ولا يبلغ ادناه اقصى جهدي وبلاغي . لا واستغفر الله
واستغفیه . واتوب اليه واستكفيه . من كل حمدي وثنائي . وجميع مدحي
وطرائي . وما جمعت واوعيت . وكذحت وسميت . فقد تقحمت يا خراشة
على منيع سور (١) وتهججت يا فراشة على بركان نور . فما اجرالك يا هذا على
ان تحترق . وما اجرالك بان تحترق . ومن اين وائي . وكيف لي ان اتنم

اخراشه الذباب والفراشه واحد الفراش الذي يتهافت على السراج (ق)

جننا بهيالا فراد والتأنيث تحقيرا لان المقام مقام ذلك والبركان كما هو معروف واد
او غار او آبار تقذف بالنار

او اتسنى لصمود تلك المزالق . ورقى هاتيك الشواهد والوصول الى تلك الرقائق والحقائق . من بيان عظمة القرآن وما فيه وإعجازه في مبانيه ومعانيه . وذكر علومه وتعاليمه . وشرف مناطيقه ومفاهيمه .

﴿ القرآن وثناؤه على نفسه ﴾

ان نعت كل شيء من كل ناعت تابع لقدر العلم به . وفرع عن زنة الحظ من معرفة حقيقته . والأطلاع على كنه ذاته . وحيث ان كلامه تعالى شان جلاله . صفة من صفاته او فعل من افعاله . على الخلاف في حدوثه وقدمه مما لسنابصدد تحقيقه ، ولا من خطتنا في هذه الوجيزة سلوك طريقة ومن الجلى الواضح انه عز شأنه هو المنفرد بالعلم بذاته والأعلم بكنه صفاته . بل حق التحقيق والأفاده . ان ما هناك مشاركة ولا زياده . والممكن عن معرفة كنه ذاته عازب . فكيف يحيط بماذا الله بمعرفة الواجب أو بعد اعتراف سيد الكائنات واشرف الممكّنات بالعجز والقصور . يبقى للطمع في الخواطر خطور . وعليه فأكمل ناعت للقرآن نفس القرآن فما من حديث اصدق عنه من حديثه وآياته . ولا دليل ادل عليه من ذاته ولا قول احق بالبيان عنه من قوله . ولا حول اقوى على الكشف عن احواله من حوله . ولا احد اعرف بكمال قدسه من نفسه . دونك فاستجل صحاف صحايفه . واليك فقف على اعراف معارفه . وانظر كيف تصرف في نعمته وشؤونه . وبماذا اعرب عنه من تصارييف القول وافانينه . تجده مشحوناً باوصاف الكمال ، ونعوت العظمة والجلال ، فيما انه مشتمل على اسباب الهداية وسبل النجاة ومعالم الدين فهو ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ وحيث ان فيه الدلائل المحكمه ، والبراهين المتقنه ، التي يستنار بها في ظلم الظلالات ، وشبه الجهالات ، فهو برهان

يقين ، ونور مبین ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴿إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ أَمَّهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ وَلَا شَتَا لَهُ عَلَى الْعِظَاتِ الْبَالِغَةِ ، وَالْحَجَجِ الدَامِغَةِ ، وَشُمُوسِ الْهَدَايَةِ الْبَارِغَةِ ، وَيَسَابِيعِ الرَّحْمَةِ السَّايِغَةِ ، كَانَ شِفَاءً ، وَمَوْعِظَةً ، وَهُدًى وَرَحْمَةً ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَحَيْثُ كَانَتْ فِيهِ الْبُشْرَى وَالْهُدَى لِلْمُسْلِمِينَ ، وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ لَأَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَدَبِّرِينَ ، قَالَ جَلَّ شَانَهُ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿ وَحَيْثُ تَضَمَّنَ الدَّوَاءُ لِكُلِّ دَاءٍ ، وَتَصْرِيفُ الْحُكْمِ وَالْأَمْثَالِ وَالْقِصَصِ وَالْأَنْبَاءِ ، فَلَا جُرْمَ كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ رَحْمَةٌ وَشِفَاءٌ ، وَلِلْكَافِرِينَ خَسْرَانٌ وَشِقَاءٌ ، ﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿ وَأَبَانَ عَنْ عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ بَيَانَ مَنْزِلَهُ وَمَنْ نَزَلَ بِهِ وَمَنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَلِسَانَهُ الَّذِي أُنْزِلَ بِهِ ﴿ أَنَّهُ تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَأَنَّهُ لَهِيَ زُبْرُ الْإِلَافِينَ ﴿ وَحَيْثُ تَشَابَهَتْ فِي الْبَلَاغَةِ وَالْأَعْجَازِ وَالْبَرَاعَةِ وَالْإِيْجَازِ ، جَلَّ جَمَلُهُ ، وَسَاوَرُ سُورِهِ ، فَنَ ذَا يَحْسُنُ الْقَوْلَ فِيهِ وَالْحَدِيثَ عَنْهُ ﴿ وَاللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَمِرُ

منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله ذلك
 هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فإله من هاد ﴿١﴾ ومذجرت
 الأمور فيه على مجاريها ، وذكرت الأشياء به على مصب واقمها ، وكان من
 العزة والصيانة ، والقوة والرصانة ، بالمحل الذي يستحيل أن يعارض ،
 ويمتنع أن ينقض أو يتناقض ، ﴿وأنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من
 بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ ﴿٢﴾ ولو جعلناه قرآنا
 أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى
 وشفاء ﴿٣﴾ ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو دايمهم عمى أولئك
 ينادون من مكان بعيد﴾ ﴿٤﴾ عزت عظمت عزته ، علت سماؤه
 سمى علاؤه ، عز سلطانه ، تعالى شأنه ، بهر برهانه ، ما انفك على هذه
 الشاكاه ، على هذه الوتيره ، على تلك العزيمه ، على تلك المباره حتى وعز
 اليه الكشف عن حقيقة امره ، عن جايه جوهره ، عن كنه كيانه ، عن
 خبره عن عيانه ، فضرب عنه للناس مثلاً صحيحاً ، وقولاً صريحاً ، حيث
 جملة جل شأنه من لدنه روحاً ، لعمر الله لعمر الملائك ، إن ذلك لكذلك
 هو نصاب الصواب ، هو لب الباب ، هو نفس الامر وعين الواقع ،
 هو القول الفصل والكلام الجامع ، أفليست هذه الاشباح القسايمه ،
 والاجسام المطرحة ، والهياكل المنتصبه ، بغير الروح موات ، لاجس
 لا حركة لا حياة ، أترأى تقول نعم أم تقول لا كلاً بل اقول لعمر التدبر
 والانصاف ، إن هي الا كهذا الحيوان المنتصب الناصب ، الذي هو
 تارة كالاسطوانة الملقاة واخرى كمنارة الراهب ، المتسمي بالإنسان وما
 هو به لا حياة له لا روح لا سعادة ، لا شرف لا فضيلة لا زياده ، لا عام
 لا افادة لا استفادة ، لا دين لا آخرة لا دنيا ، لا اخلاق لا رقي لا عليا

الآ بهذا الكتاب الكريم، والقرآن الحكيم، بالاستضاءة بنوره،
 بالاعتراف من مجوره، بالاخذ بنواميسه، بالاستشراق بشموسه، بالتخاق
 باخلاقه، بالتأدب بأدابه، بالرجوع الى تعاليمه، بالوقوف على اقايمه،
 كيف لا يكون روحاً وانى، ولم لا يستب له شرف الحياة ويتسنى،
 وقد وضعه بل رفعه ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح
 على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على
 الله منهم شيء ﴾ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴿ والأصرح فيما ذكرناه
 من ان هذا الكتاب هو الروح وبه الحياة لهذه الاجسام الحية الموات قوله
 تعالى وتعلمن لبيبة الاكرم، ﴿ وكذاك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت
 تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من
 عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم ﴾ الى كثير من امثال هذه النعوت
 الفرقانية، والتجليات الربانية، مما يقف عليها السعيد بقراءته، الحظي بتلاوته
 المتدبر في اسراره، المستشرق بانواره، وبذلك القدر قد اكتفينا، لا انا
 قد احطنا واستوفينا، واحلناك في الغير، على ما يسمعك من السبر والسير
 فخذ حظك منها بقدر حماسك واجتهادك، وعلى حسب فطانتك واستعدادك
 فان هذا الوحي المبين ﴿ ماء انزله الله من السماء فسات اودية بقدرها ﴾
 فكل يحمل من معين مائه، بقدر ما يتسع له من ظرفه وانائه، وهنا اسرار
 وحقائق، بل كشف استار ورقائق، هي بغير هذا العلم اشبه، فليعلم وليتنبه. هذا
 سدك الله ما اردنا تنبيهك عليه من زموت القرآن على نفسه ودلالته على ذاته
 (القرآن وثناء المرسل به وخلفائه عليه)

ومما عاود اكد ان يكون قريباً منه لاحتسابه متفرعاً عليه كلام الصادع به المنزل على
 لسانه وقلبه وهو كثير. فمنذ قوله صلوات الله عليه وعلى امناه الوحي من آله وخلفائه

كما رواه ثقة الاسلام شيخنا المحدث الكليني رضوان الله عليه في كتابه المتقدم
الذكر الشهير بالكافي عن الاربعة عن الصادق ابي عبد الله عن آباءه عليهم السلام
قال قال رسول الله صلوات الله عليهم انكم في دار هذنه ، وانتم على ظهر سفر ،
والسير بكم سريع ، وقد رأيتم الليل والنهار يلبيان كل جديد ، ويقر بان
كل بعيد ، ويأتيان بكل موعود ، فاعدوا الجهاز ، وبعد المجاز ، قال فقام المقداد
فقال يا رسول الله وما دار الهدنه ، فقال دار بلاغ وانقطاع فاذا التبت
عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع ، وما حل (١)
مصدق ، من جملة امامه قاده الى الجنة ، ومن جملة خافه ساقه الى النار
وهو الدليل على خير سبيل ، وهو كتاب فيه تفصيل ، وبيان وتحصيل ،
وهو الفصل ليس بالزل ، وله ظهر وبطن ، فظاهره حكم ، وباطنه علم
ظاهره انيق ، وباطنه عميق ، له تخوم وعلى تخومه تخوم لا تحصى عجائبه
ولا تبلى غرايبه ، فيه مصابيح الهدى ، ومنار الحكمه ، ودليل على معرفه
لمن عرف الصفة ، فليجل جالي بصره ، وليبلغ الصفة نظره ، ينبج من
عطب ، ويخلص من نشب ، فان التفكير حياة قلب البصير ، كما يمشي
المستشير في الظلمات بالنور ، فعليكم بحسن التخلص ، وقلة التربص ،
وقد ورد في صحيح الاثر ان الله تعالى قال لمحمد صلوات الله عليه
واله - اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا ، واذا انا صمما ،
وقلوبا غلغا ، فيها يتابع العلم ، وفهم الحكمه ، وربيع القلوب ، وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله انزل القرآن امرا وزاجرا

(١) في النهايه . القرآن شافع مشفع وما حل مصدق اي خصم مجادل مصدق وقيل ساع
مصدق من قولهم محل بفلان اذا سعى به الى السلطان يعني من اتبعه وعمل بما فيه فانه شافع له
مقبول الشفاعة ومصدق عليه فيما يرفع من مساويه اذا ترك العمل به انتهى

وسنة خاليه ، ومثلاً مضروباً ، فيه نبأؤكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم لا يخلفه طول الرد ، ولا تنقضي عجايبه هو الحق ليس بالهزل ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فليج ، ومن قسم به اقسط ، ومن عمل به اجر ، ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره اضلّه الله ، ومن حكم بغيره قصمه الله ، هو الذكر الحكيم ، والنور المبين ، والصراط المستقيم وحبل الله المتين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه لا يعموج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعجب ، ولا تنقضي عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد ويضاهيه ما رواه في اعجاز القرآن بعديد اسانيد عن الحارث الاعور عن عليّ (ع) قال قيل يا رسول الله ان امتك ستفتن بعدك فسأل او سُئل ما المخرج من ذلك فقال بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، من ابتغى العلم في غيره اضلّه الله ومن ولي هذا من جبار فحكم بغيره قصمه الله وهو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم ، فيه خبر من قبلكم ، وتبيان من بعدكم ، وهو فصل ليس بالهزل ، وهو الذي سمعته الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجيباً يهدي الى الرشد فآمنّا به ، لا يخلق على طول الرد ولا تنقضي عبره ولا تنفى عجايبه امّا الخلفاء والتابعون وكبراء المسلمين وعيون الرجال ومدارُه الفصاحة والبلاغة ، قديماً وحديثاً ، فلا اسطيع في مقامي هذا جمع الكثير من كلماتهم في نعت القرآن فضلاً عن الاكثر او الكل منها . ومن اراد استقصاء ذلك وتدوينه امكنه بسهولة ، ان يجمع منه كتاباً ضخماً ، وموثقاً فحماً وانما اورد في هذا السفر ما يحضر في خزانة خاطري ومذكّرة ذاكرتي وما قرب مني وسهل اخذه عليّ من شذور عاقت بالذهن عند المرور بها والعبور عليها عفواً ،

ولم استوسمها طلباً ، ولا اوقفت عليها وقتاً ، ولا جعلت لها من العناية قسطاً ، لأن موضوع كتابنا بالاصالة ليس ذلك وان كان لصيقاً به عريقاً فيه بيد انا نخشى من التوسع ان يفوت جوهر الغرض ، ولـكـنـا نذكر شيئاً من تلك الشذور شبه النموذج والمعنون ، قال الخليفة ابو بكر (رض) من خطبة له : اعلـمـوا عباد الله ان الله قد ارتهن بجمه انفسكم ، واخذ على ذلك مواثيقكم ، وعوضكم بالقليل الفاني ، الكثير الباقي ، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجايبه ، ولا يطفأ نوره ، فتقوا بقوله ، وانتصحووا كتابه واستبصروا فيه ليوم الظلمه ، فانه خالقكم لعبادته ، ووكل بكم الكرام الكاتبين ، ايها الناس تعلموا القرآن واعملوا به تكونوا من اهله ، انه لم يبلغ من حق مخلوق ان يطاع في معصية الخالق ، والقضـم دون الخضم ﴿ القرآن وثناء الائمة المعصومين عليه ﴾

حقاً . انما يعرف القرآن من خطوب به ، ومن نزل على فؤاده وقلبه . الذي علمه منشيه عالم عجايبه . والهمه تفاسير غرايبه ، الذي جعله خزاناً له وامينا ، وشرفه عليه حيث جعله كتاباً ناطقاً مينا ، او من اودعهم ذلك الخازن الامين ما عنده ، وجعلهم الاوصياء والخلفاء بعده ، هم خاصة اهل بيته الذين نزل القرآن في منازلهم واعرب عن شطر من احوالهم وفضايلهم وهم اعرف بعمومه وخصوصه ، وظواهره ونصوصه ، ومنسوخه وناسخه ، وعاليه وشاخه ، ومحكمه ومأوله . ومتشابهه ومجمله ، وجميع تفاصيله وشؤون نزوله ، وانوار بركاته . وخواصه وخيراته ، ورموزه واشاراته وحدث اعجازه ومقدار ايجازه ، وحل الغازه ، وشرف قدره وعظيم مقداره كيف لا وهم والكتاب

كل كتاب الله لكن صامت هذا وهذا ناطق ومبين

فهما الثقلان اكبر واصغر ، والكتابان صامت يحتاج الى التفسير وناطق مفسر ، والقرينان اللذان لا يفترقان حتى يردا على النبي الخوض ، وهم سفينة النجاة وهو بحر المعارف الذي لا يسوغ بدونها لا حيد فيها الخوض . فلا نجاة مفيدة ، الا بالتمسك بهما والاخذ عنهما ، ولا حياة سعيدة ، الا بالرجوع اليهما واجمع بينهما ، فهم لا سرار حكمته خزنه ، ولمشاعر كهنه مفاتيح وسدنه ، وهم باب مدينة علمه ، وحجاب سرادق عزائمه وعزمه ، وحيث ان كلا منهما الاخر صاحب قرين ، وما بكل الا كتاب مبين ، فاذا اردت ان تعرف شان كل واحد منهما فاعرفه من اخيه ، وتحمم في جزارة عرفانك ، واعرف من اين تو ، كل الكتف وخذ الماء من مجاريه ، دونك هذا نهج البلاغه ، وما اسبغه في ذلك واساغه ، فتصفح صحايفه ، وتعرف معارفه ، واقصد مقاصده ، وقف ، واقفه ، وانظر ما ابان من علو الشأن لهذا القرآن ، وكيف ابهر فيما اظهر ، واغرب فيما اعرب ، من عظيم المنزلة له والمكان ، وقد تكثر ذلك فيه وتوفر ، بحيث تعذر احصاؤه هنا او تعسر ، ولكني حرصاً على استنارة جبهات هذه الاوراق ، وبداراً الى ايدار الحق في بروجها بعد المحاق ، لا صبر لي عن ذكر شيء من لثالي . لجه ، ودرر نهجه ، وان كنت احتار فيما اختار ، ولا اجدي كلامه (ع) الا ما هو في منتهى الحسن والاختيار ، فهالك واحدة من آحاد تنبيك فرايدها عن بقية الافراد ، وهي قوله (ع) بعد ذكر النبي (ص) والاسلام وما لهما من عظيم الزلفى والمنزلة ، ثم انزل عليه الكتاب نوراً لا تطفى مصابيحهم ، وسراجاً لا ينجو توقده ، ونجراً لا يدرك قمرة ، ومنهاجا لا يضل نهجه ، وشماعاً لا يظلم ضوؤه ، وفرقانا لا نحمد برهانه ، وتديانا لا تهدم اركانه ، وشفاء لا تخشى اسقامه ، وعزاء لا تهزم انصاره ،

وحنفاً لاتخذل اعوانه ، فهو معدن الايمان ومجبوحته ، وينابيع العلم ومجوره
ورياض العدل وغدرانہ ، واثافي الاسلام وبنائه ، واودية الحق وغيطانه ،
ومجر لا ينزفه المنترفون ، وعين لا ينضبها الماتحون ، ومناهل لا يفيضها
الواردون ، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون ، واعلام لا يعمي عنها
السايرون ، وآكام لا يجوز عنها القاصدون . جملة الله رياء لعطش العلماء ،
وربيعاً لقلوب الفقهاء ، ومحاج لطرق الصالحاء ، ودواء ليس بعمده داء ،
ونور ليس معة ظلمه ، وحبل وثيقا عروته ، وممقلاً منيعاً ذروته ، وعزاً
لمن تولاه ، وسلماً لمن دخله ، وهدي لمن ائتم به ، وعذراً لمن انتحل به ،
وبرهاناً لمن تكلم به ، وفلجاً لمن حاج به ، وحاملاً لمن حمله ، وآية لمن
توسم . وجنة لمن استلام . وعلماً لمن وعى . وحديثاً لمن روى . وحكماً
لمن قضى . واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا ينش . والهادي
الذي لا يضل والمحدث الذي لا يكذب . وما جالس هذا القرآن
احد الا قام عنه بزيادة او نقصان . زيادة في هدى . او نقصان من عمى
واعلموا انه ليس على احد بعد القرآن من فاقه . ولا لاحد قبل القرآن
من غنى . فاستشفوه من ادوائكم . واستعينوا به على لأوائكم
فان فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق . والنفي والضلال
فاسألوا الله به . وتوجهوا اليه بحبه . ولا تسألوا به خلقه انه ما توجه
العباد الى الله بمثله . انه شافع ومشفع وقايل ومصدق . الى امثال هذه
من كلماته النورانية . التي نحن مع شدة الحاجة اليها في غنى عن نقل جميعها
لاشتمارها وشيوعها . ولكل واحد من سلالة المعصومين وعترته الطاهرين
مثل ماله صلوات الله عليه وعليهم في سائر مقاماتهم من خطبهم واحاديثهم
وادعيتهم ومناجاتهم هذا سليله وسميه . وولي الله وصفه . رابع اثنتا

الاثني عشر (زين العابدين وسيد الساجدين) «علي بن الحسين» بن علي بن
 ابي طالب «ع» وما ادري هل لاحظتكم السعادة بالفوز بصحيفته السجادية
 المعروفة عند اهل البيت بزبور آل محمد (ص) التي هي ثاوية ذلك النهج بل
 الوحيدة النسخ . التي يوشك ان لا تجد نظيرها في كلام المخطوق بعلوم مضامينها .
 وشرف اساليبها وافانيتها . ولا يكاد يقاربها او يساويها . الا ما كان من
 شجرة معاليها ومعدن لآلها . وما قد تولد من بيت امها وابيها . وقد فأت
 حدّ العجب والاعجاب . بما اشتملت عليه من اعالي البلاغة في بيان كنه
 العبودية واسرار ربوبية ربّ الارباب . وبالجملة فليسان النظر فيها والرجوع
 اليها . ادلّ على رفيع مقامها من لسان مدحي وثنائي عليها . وقد نشرتها
 ايدي المطابع نشرأ ذريعا . وشرحتها العلماء بانحاء من الشروح بيد انهم
 لم يؤدوا حقها جميعا . راجع الثاني والاربعين وهو من بعض ما دعا به
 (على ذكره السلام) عند ختمه للقرآن وانظر كيف نعت به كتاب الله الكريم
 بتلك النعوت العاليه . واين انزله في الشرف والشأن . والى اين بلغ به
 من المقامات الساميه . فن شريف عقوده . وطريف بنوده . قوله (ع)
 اللهم صل على محمد وآل محمد واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي موعظا
 ومن نزغات الشيطان وخطرات الوسوس حارسا . ولا أقدامنا عن نقلها الى
 المعاصي حابسا . ولا لسنننا عن الخوض في الباطل من غير ما آفة نخرسا .
 وجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجرا . ولما طوت الغفلة عنا من تصفح
 الاعتبار ناشرا ، حتى توصل الى قلوبنا فهم عجايبه ، وزواجر امثاله . التي
 ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتمالها . - الى امثال ذلك مما رشح
 من ينابيع الحكمه . وشع من انوار الرحمه . الذين هم حملته . وعندهم
 تفاصيله وجماته ، كما قال هو (ع) في صدر دعائه هذا وغيره وفقا لما

تكرر في كلمات جدّه امير المؤمنين كما يشهد لك به نهج البلاغة وغيره من خطبه قال زين العابدين (ع) اللهم اذك انزلته على نبيك محمد (ص) بجملا، والهمته علم عجايبه مكمّلا، وورثتنا علمه مفسّرا، وفضلنا على من جهل علمه، وقوّيتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله، اللهم فكما جمعت قلوبنا له حمّله، وعرفتنا شرفه وفضله، فصلّ على محمد الخطيب به وعلى آله الخزان له، واجعلنا ممن يعترف بانه من عندك حتى لا يمارضنا الشك في تصديقه ولا يخلجنا الزيف عن قصد طريقه، انتهي ما اردنا نقله من ذلك الدعاء الشريف وانت اصاحك الله وان كنت لا تعترف على اليقين بامامتهم، ولا ترى من الدين وجوب عصمتهم الا اني ما اظنك بعد الاسلام الا مستساما لامرهم، مذكرا بمعظم شرفهم وخطير قدرهم، عارفا بان ثناءهم على ذواتهم الشريفه ليس الا دلالة للناس على مابه نجاتهم السعيده، وحياتهم الرعيده، ومقاصدهم السعيده كما قال حفيده امامنا الصادق في نشر علوم آبائه سلام الله عليه وعليهم ان بلاءنا بالناس عظيم ان تركناهم لم يهتدوا بغيرنا، وان هديناهم لم يقبلوا منا، ولعل عين الفاضله واسلوبه، ذهب عن حفظي ولكن هو بهذا المضمون نعم لا ارتاب في ان جهابذة الاسلام يعلمون ان تلك الشجرة الطيبة النبويه ما كانوا ليزكوا انفسهم باطلا وزورا، كيف وهم يعترفون انهم اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فلم يبق الا التعلل بان تقول ان الشان في اثبات ان ما حكيناه ونحكيه عنهم، هو على اليقين صادر منهم، وهذا امر نصيحتي لك فيه ان لا تجعله من فك، ولا تكدر به صفاء ذهنك، والا عسر عليك اثبات شي من الموءلفات عن اربابها، وحجر اشد الحجر دونك ان تنسب ما فيها الى اصحابها بيد انك سدك الله تعلم ان كل طائفة جمعتها وحدة دينيه او فنيه، او صناعة

علمية او عملية ، الى غير ذلك من الروابط الاتحادية ، عقلية او ملية او عادية ، هم اعرف بمقالات زعماء طريقتهم ، وروساء نحلتهم او صناعتهم فالنحاة مثلا اخبر باقوال اكابر ذلك الفن واعرف بمؤلفاتهم ولحن كلماتهم وهم مصدقون في ان هذا قول سيبويه او كتابه ، وذلك لحن الكسائي او خطابه ، الا ان يقع النزاع فيهم ويثبت الخلاف بينهم ، اما لو اتفقوا فاتفقواهم حجة على من عداهم ، ولا يضر فيه ولا يساويه انهم كانوا من سواهم ، الا ان يكون ضاربا معهم في عرق ، وقرينا لهم في ربق ، بحيث يعد من تلك العدة . وتجمعه واياهم تلك الوحدة ، وان كان جامعا معها سواها ، وداخلها فيما عداها وهذا اصل مطرد ساري ، وقول في المقامات كلها جاري ، ونرجع الى استيفاء ما كنا فيه ونعيد النظر فيما نقلناه من تلك الكلمات والنقر التي هي من بعض ما ورد عن النبي واهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم = والجميع وان كان الغاية من البلاغة ، واصابة شاكلة الفصاحة . ولكنها لا تنتظم في صف فصاحة القرآن وبلاغته . ومعجز نظمه وبديع اسلوبه . وان حامت حول تلك الانوار . واقتبست من تلك الاشعة . نعم هي ادل آية على اعجاز تلك الايات . فان ذلك الكلام واشباهه من جوامع الكلام النبوية الذي هو من النمط الأعلى . والطراز الاول في البلاغة والبراعة . اذا قرنته اوضمته الى كلام الله تعالى شأنه اظلم ذلك الشعاع في نوره ، واندك ذلك اليفاع في طوره ، ولمع كلام الله بينها لمعان الذهب بين شذوره

يحسن هنا نقل كلام سيدنا الشريف الرضي الموسوي ساق الله نجيب الرضوان اليه . بل سلام الله على آبائه وعليه . قال في تفسيره المسمى بحقايق التأويل . ودقايق التنزيل . لدى تحقيق ان القرآن غير مشتمل

على الحروف الزائدة . وان جميع ما يتوهم من ذلك فلا يخلو المعنى به من فائده . غير ما يقولون من التقوي والتأكيد وامثالها مما لا يرجع الى كثير طائيل . ومعنى فاضل . قال رضوان الله عليه من كلام اقتطعنا منه ما به الغرض والشاهد لما كنا فيه : فامّا اذا كان الكلام محلّول العقال . مخلوع العذار . ممكناً من الجري في مضماره . غير محجور بينه وبين غاياته . فان شاء صاحبه ارسل عنانه فخرج جامحاً . وان شاء قدع لجأه فوقف جانحاً لا يحصره امد دون امد . ولا يقف به حدّ دون حد . فلا تكون الزيادات الواقعة فيه الا عيأ واستراحه . وتموّثاً وإلاحه . وهذه منزلة يترفع عنها كلام الله سبحانه الذي هو المتعذر المموز . والممتنع المعجز . وكلّ كلام انما هو مصلّ خلف سبقه وقاصر عن ادنى بلوغ غاياته . بل قد يرتفع عن بلوغ هذه المنزلة كلام الفصحاء المقدّمين والبلغاء المحذّقين . فضلاً عما هو اعلى طبقات الكلام . وابعد عن مقدورات الانام . واني لا قول ابداً انه لو كان كلامٌ يلحق بمضماره . او يجري في مضماره . بعد كلام رسول الله (ص) لكان ذلك كلام امير المؤمنين (ع) اذ كان منفرداً بطريقة الفصاحه لا تراحمه عليها المناكب . ولا يلحق بمعقوه فيها الكادح الجاهد . ومن اراد ان يعلم برهان ما اشرنا اليه من ذلك فلينعم النظر في كتابنا الذي ألفناه ووسمناه بنهج البلاغه وجمالناه يشتمل على مختار جميع الوقائع الينا من كلام امير المؤمنين (ع) في جميع الانحاء والاغراض والاجناس والانواع من خطب وكتب ومواعظ وحكم وبوَبناه ابواباً ثلاثة تشتمل على هذه الاقسام مميّزة مفصّله وقد عظم الانتفاع به وكثر الطالبون له لعظيم قدر ما ضمنه من عجائب الفصاحه وبدايعها . وشراف الكلم ونفايسها وجواهر الفقر وفرايدها . وكلامه (ع) مع ما ذكرنا من علو طبقته . وخلو طريقته

وانفراد طريقته . فانه اذا حوّل ليلحق غاية من ادنى غايات القرآن وجد
ناكصاً متقاعساً . ومقهقراً راجعاً . وواقعا بليداً . وواقعا بعيداً . على انه الكلام
الذي وصفناه بسبق المجازين . والعلو على المسامين . فما ظنك بدون ذلك
من كلام الفصحاء . وبلاغات البلغاء . الذي يكون بالقياس اليه هباء منثورا
وسرابا غرورا . وهذا الذي ذكرناه ايضا من معجزات القرآن اذا تأمله
المتأمل . وفكر فيه المفكر . اذ كان الكلام المتناهي الفصاحة . العالي
الذروه . البعيد المرمى والغاية . اذا قيس اليه . وقرن به شال في ميزانه
وقصر عن رهانه . وصار بالاضافة اليه قالصا بعد السبوغ . وقاصرا بعد
البلوغ . ليصدق فيه قول اصدق القايلين سبحانه اذ يقول ﴿وانه لكتاب
عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾
انتهى ما اردنا نقله من هذا الديباج الحسرواني . والنسج البديع فما النسج
اليمني . ولئن كان تغير ابناء الوحي من البشر حظ من معرفة عظيم شان
القرآن والوقوف على اعجازه ورصفه . ومساغ نعمته ووصفه . فهو حق مثل
هو لا . من مهرة العربيه وسحرة البيان . واعيان الرجال ورجال الاعيان
الفحول المتظلمين . والجهابذة البارئين . من النمرقة العليا والطراز الاول

﴿ ما هي الفصاحة والبلاغة . وما الطريق لمعرفة الاعجاز بهما ﴾
الفصاحة والبلاغة بلغك الله مراقبها انما هي من الصفات المنويه التي تحس
وتدرك . ولا تمس ولا تمسك . وتعرفها الطبائع السليمه بغرايزها
واذواقها . لا انها مما تشهدا العميون باحداقها . وذاك الذوق وتلك الغريزه
اماً منحة في الجبله . وموهبة في الذات بحسب الفطره . كما هي في العرب
الاولين المتفاوتين في ملكاتها وكالاتها بتفاوت ذواتهم المشرقة المضيئه .
بمقتضى ما سبق لهم من العناية والمشيئه . واما حصوله كسبيه ومهنة

تعليميه . يزرعها التعلم والتعليم . في باحة الطبع المستقيم ، فلا تشمر إلا بعد
الجد والتعب ، والكدي والطاب ، كما في سائر اساطين هذه الصناعة ، من
ذوي التقدم والبراعه . من الشعراء وغيرهم فالناس حرسك الله اذا صنفان
لا ثالث لهما اما ذو حظ وتميز من معرفة العربية قليل امرها او كثيره
جليله او حقيره . بالطبع والمنحه . وعلى اصل الاستقامة والصحة او بالكسب
والتحصيل . او بالتعلم بعد الجهد الطويل . كما في سائر الناس منذ الازمنة
المتأخره من سائر طبقات الامم . لا اخص العرب والعجم . فان الناس من
اية امة تفرض واي قوم . منذ زمان متقادماً الى اليوم . قد تلاشت عنهم تلك
الصفة . وانسلخت عن سنتهم واذواقهم تلك المعرفة ونسخت من طباعهم تلك
الغريزه . وصار الرجل لا ينال من العربية ومعرفة البلاغة حظاً . لا معنى ولا لفظاً
إلا بالكسب والطاب . وبمد التعب والنصب . عري الجلدة كان او غيرها على
اختلاف في صموبة الامر ولينه . وسهولته وحزونه . بين الامم واحادها
وكل امة وافرادها . فمن ساعده استعداده . ولطف قريحته ، وصفاء
جوهره . بمرافدة كده وكدحه . وطابه وسميه . دخل في زمرة اهلها على
اختلاف طبقاتهم . وتفاوت منازلهم . من مبتدئ تالي . او متوسط او متعالى
والا كان من الصنف الثاني وهو الاملس الجلده . العاري البشريه . العادم
التميز ، الفاقد المعرفة ، الصفر الوطاب ، الخالي العياب ، من قليل هذا
الامر وكثيره ، ويسره وخطيره . فالقسمة الحاصره هنا بين النفي والاثبات
ان الناس في معرفة البلاغه ، اما عارف مجتهد ، او جاهل مقلد ، ذاك من
لم يحمل الله له هذه الحاسة ، ولا اكتسب تلك القوة ، ولا مارس هذه
الصنعه ، ولا ذاق طعم تلك الجرعه ، فهو عند الغاية اجارك الله وعافاك
كلاكه والاصم الذي ليس له حاسة ادراك الصور الممجبه ، وسماع النغمات

المطربة ، وحيث استبان لديك ان الناس في معرفة هذا الامر لا تعدو هذين الصنفين فنحن بفضل الله تعالى نُسَجِّلُ الحجة على كلٍ منهما ، ونُعبِّنُ له سبيل الوصول الى هذه الغاية ، ونُذِلُّه على اسباب حصول اليقين والدراية ، حتى ننتهي به الى منتهى الطمأنينة والثبات ، ومنقطع الشكوك والشبهات ، ان كان ممن نزع روح المصيبة من جسمانه ، ووضع في يد الانصاف وطلب الفضيلة فضل عنائه ، امّا من تقمّص بالتعصّب وتردّى ، ولو هوى وتردّى ، وجدّ في ان لا يفارق ما وجد عليه قومه اباً وجدّاً ، فذلك ليس هو المعنيُّ بكتابنا ، ولا المقصود بخطابنا ، ونحن لسنا معه في هذه المعركة ، وامرنا واياه على المُهادنة اليوم والمشاركة ، حتى يُبعث لنا او له سائق التوفيق . ويجمعنا على الحق في سواء الطريق . والا فالموعِدُ بيننا وبينه يومٌ آخر تجتمع فيه الخلايق . وتمحص به الحقائق . وليرَ منا الساعة بما اراد من حسنة او فحشاء . فهو اليوم وما شاء . ولنتراجع الى الغرض قبل فوته فنقول لمن هو من الصنف الاول الذي عرف للبلاغة معنى ووقف على ذلك المعنى وحصلت له تلك الحاسة . وقامت فيه تلك القوة . ونال حظّاً منها ولو يسيراً وصاب من انصبائها قليلاً او كثيراً وصار يحسُّ بها اذا وجدها احساساً وجدانياً . ويعلم بها في مظانها ومواضعها علماً يقينياً . يا هذا الله ثم الله عليك فانك بين يديه وهذا القرآن بين يديك . اجمع جمعمك . واسع وسعك واجهد جهدك . واحشد حشدك . واعقد عندك محتفلاً ولجناً . واجمع فيه من تراه من المورة في البلاغة وذوي المهنة . فانهم بين عينيك . وما كان ليخفى مقامهم عليك . فان الصناعة الواحد داعية التعارف . وواسطة التواصل والتكائف . ثم اجمع امرك . وخذ معهم حذرک . واستقبلوا من القرآن آية خطبة شتم . واي مقام اردتم . مقام الدعوة الى التوحيد . مقام الوعد

والوعيد . مقام التشويق الى الجنان . مقام التحذير من النيران . مقام القصص والانباء . . . مقام دعوة الانبياء . . . مقام تهذيب النفس الانسانية . مقام نشورها وغوثها من الجماديه الى الحيوانيه . الى غير ذلك من الموجودات السماوية والارضيه . مما يتعاق بالعلوم الطبيعيه او الرياضيه . كالسحاب والمطر والرعد والبرق والبرد والهوا ع والزلازل وغيرها من كائنات الجو . اعطيك نموذجاً في القول . وعنواناً من البيان . تقيس عليه ما شئت من غيره . خذ من او ابدل سورة القصص الى عشرين او ثلاثين آيه مثلاً وانظر فيما اقتص جل شأنه من نبي موسى وتفاصيل احواله وما جرى له من حين ارتضاعه وايام صباه . الى الوقت الذي كلمه الله فيه واجتباه مفتتحاً بقوله جل من قابل ﴿ نتلو عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يومنون ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين ﴾ الى قوله تعالى بعد ما اقتص من زواج كلمه بنات شعيب بثاني حجج قال سبحانه ﴿ ولما قضى موسى الأجل وسار باهله آنس من جانب الطورِ ناداً قال لأهله أمكثوا اني آنست نارا لملي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نُودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين ﴾ ثم اقتص جل شأنه خبر ارساله الى فرعون وتفرغه بقوله ﴿ يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فاوقدني يا هامان على الطين فأجعل لي صرحاً لملي أطلع الى إله موسى واني لا ظنُّه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا أنهم اليانا لا يرجعون

فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴿ الى منتهى القصة وهو قوله تعالى ﴿ ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا الترون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلمهم يذكرون ﴾ هذه قصة من قصصه . وخبر من اخباره . ولمعة من انواره . لا اخصها لك بمينها . ولا اعينها عليك بخصوصها . بل اشرت لك بها الى الغرض وصيرتها منهجاً . وذكرتها مثالا ونموذجا . خذ ايأشئت من نبا آدم وابليس و ابراهيم ونمروده ولوط وقومه وصالح وثموده وهود وعاده ويوسف واخوته وشعيب ومدينه وداود وجالوته وسليمان وباقيسه وزكريا وائمة ويحيى ورهبانيته وعيسى وروحانيته ومحمد (ص) ونبوته . خذ مما عددناه وما استوفيناه ولا احصيناه اى قصص شئت . وعلى اى باب وقفت ثم تدبره جيدا . ورجع النظرة والفكرة مرّدا ثم اجمع اهل ثقك وطمانينتك ممن تعترف لهم بالفصاحة . وتذعن لهم بشأوالبلاغه . وقل يا هؤلاء انا نريد ان نسبك هذه القصة على غير ما جاء بها هذا الكتاب من سبكها . ونبدل هذه الدرر بامثالها وننظمها في غير ما وجدناه هناك من سلكها . فاعينوني بقوة . واسمدوني بسطوه . ثم اضم اليهم حواسك . وثقف معهم جرة ترك وحماسك . واحبس عليك افكارك . واقض في الخوض معهم ليملك ونهارك . بل ايامك بل اعوامك . بل عمرك بل دهرك ثم خذ لك منى وعد صدق وعلى الله انجازه . ان ستعرف هناك حقيقة العجز ويستين لك ما بلاغة القرآن وما اعجازه . هناك لا تجد الافكار الراجعة متقهرة . والالباب الآ واقفة متحيرة . هناك يهزك الفرع . ويأخذك الملح هناك تنصدع صفاتك . وتخف حصاتك . وتطيش اناتك . هناك ينقطع احتجاجك . هناك يخضع لجأجك . هناك يمتدل اعوجاجك . هناك

يبدو لك عذر من كان قبلك في ترك المعارضه ممن هواشد منك في البلاغة
باساً . واقوى منك معاناة لها ومراساً . ممن بُمد فيها فوته . وارتفع بها صيته
وصوته . هناك تحسُّ وجدانا . وتجذُّ عيانا . وتعود مضطلعا خيرا . بصحة
قوله تعالى ﴿ قل لو اجتمعت الجنُّ والناسُ على ان يأتيوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ ثم لو غلبت عليك القحَّة .
وسلبت المصيبة من طبعك الاعتدال والصحَّة ، فجُمِّتَ وفُرِّقَت ، وزوِّقَت
ونمَّتْ ، وجئت بما زينه لك الجهل واللجاج ، فحسبت انه بذلك السبيل
وعلى ذلك المنهاج ، وظنيت وانا به ضمين ، وما هو الظن بل اليقين ، ان
الامر لا يبلغ الى هذه المنزلة ، والحال لا يكاد يشتهه عليك بحيث يصل
الى تلك المجهله ، ان كنت ممن له في العربية ادنى مساس ، وقيست لك
معرفة البلاغة ولو باقصر مقياس ، ولكن على الفرض والتقدير ، وتنزل
المحال الى عالم التصوير ، لو تحمَّلت وتمتَّحت ، وحسبت وتخيَّلت ، وسوَّلت
لك نفسك ، وخانك حسُّك وحدسك ، فالحكم بعد عدل الانصاف
وشاهد الوجدان ان كان ، من يقع التسالم بيننا وبينك على انهم من مهرة
العربية واهل اللسان ، من اي ملة كانوا ، وفي اي صقع وجدوا ، وزبدة
المخض ، والحقُّ المحض ، ان اقامة الحجَّة والبيان في اثبات اعجاز القرآن
على خصوص هذا الصنف انما هي بالمراجعة والامتحان ، وعند الامتحان
يُكرم الرجل اويهان ، لا وايمُ الله وعظمة جلاله ، ان طاب لنا هذه منهم
معاينة لهم ، وجور عليهم ، وما ذاك من المجاملة ، ولا هو من السيرة
الفاضله ، فنحن الساعة منهم نتساهل ، ونجاملهم ونتنازل ، ولا نجملهم على
الشقَّة ، ولا نكليفهم المشقَّة ، ولا نطالب بمعارضة قصة او سورة ، بل ولا
بمقابلة آية من آياته الشهيرة ، ونرضى منهم بمثل كلمة مفردة من كلماته ،

وجملة واحدة من 'جملة' مثل قوله تعالى شأنه ﴿ فلما استياسوا منه خلصوا نجياً ﴾ وقوله عز من قائل ﴿ ولکم فی القصاص حياة ﴾ وقوله عظم سلطانه ﴿ فلما رأیہ اكبڑنہ ﴾ وقوله بهر برہانہ ﴿ وہم یحسبون انہم یحسنون صنعا ﴾ وقوله صدع تیانہ ﴿ یوم تقوم الساعة یقسم المجرمون ما لبثوا غیر ساعة ﴾ وقوله تقدست آیاتہ ﴿ کل حزب بما لیدیہم فرحون ﴾ وقوله تعالت کلماتہ ﴿ ربّ انی وھن العظم منی واشتعل الرأس شیباً ﴾ وقوله جلت عظمته ﴿ اذفت الآزفہ لیس لہا من دون اللہ کاشفہ ﴾ وقوله عز فرقانہ ﴿ ان یتبعون الا الظن وان الظن لا یغنی عن الحق شیئاً ﴾ وقوله جل قرآنہ ﴿ وعرضوا علی ربک صفاً لقد جئتمونا فرادی کما خلقناکم اول مرة ﴾ وقولہ ﴿ وحشرناہم فلم تغادر منہم احدا ﴾ وقولہ عز سلطانہ ﴿ ما اغنی عنی مالہ ہا ک عنی سلطانیہ ﴾ وقولہ احاط بكل شیء علمہ ﴿ ام یحسبون اننا لا نسمع سرّہم ونجواہم بلی ورسلنا لیدیہم یکتبون ﴾ اعاذک اللہ من البلاء تدبر موضع هذا الاضراب وبلغ موقعہ وانظر ما اشرفہ واعلاہ ' وما اشع نوره وسناہ ' وما ذا حوی من جلیل المعنی ' وما ذا طوی من لطیف الاشارة والمعزی ' واعظم منہ واسنی ' ویساویہ او یرجح فی الشرف وزنا ' قوله تعالى فی دعاء الملائکة ﴿ ربنا وسمت کل شیء رحمةً وعلماً ﴾ انظر حسن مناسبة سعة الرحمة لما بعدہا وهي قوله ﴿ فاغفر للذین تابوا واتبعوا سبیلک وقہم عذاب الجحیم ﴾ وقولہ عزت عظمة قوله ﴿ ولا یحیی المکر السیء الا باہلہ ﴾ وقولہ تعالى فی طولہ ﴿ انما امرنا لشیء اذا اردناہ ان نقول لہ کن فیکون ﴾ ہا ک فنخذ ما اتلوه علیک ﴿ واحسن کما احسن اللہ الیک ﴾ ﴿ واقض ما انت قاض ﴾ ﴿ ولا تمس فی الارض مرحاً انک لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ﴾

(كَانَ لَمْ تَفْنَ بِالْأَمْسِ) (فَاصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ) (نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ) (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) (مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) (فَذَلِكَ الَّذِي لَمْتَنِّي فِيهِ) (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مَنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (فَقُطِعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إِلَى كَثِيرٍ مِنْ أَمْثَالِهَا ، وَغَزِيرٍ مِنَ الْمَنْسُوجِ عَلَى مَنَوَالِهَا ، وَمَا قَصَدْتُ الْحَصْرَ وَالْأَحْصَاءَ ، وَلَا تَعَمَّدْتُ السَّبْرَ وَالِاسْتِقْصَاءَ ، وَلَا فَتَحْتُ الْقُرْآنَ فَانْتَقَدْتُ مَا رَدَّتْ ، وَلَا رَدَّدْتُ النِّظَرَ فِيمَا أوردت ، بَلْ أوردتْ بَعْضَ مَا كَانَ عَلَى حِفْظِي ، وَسَرَدْتُ مَا جَرَى بِهِ قَلَمِي عَلَى قَدَرِ نَصِيحِي مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَحِظِي ، مِنْ دُونِ أَعْدَادٍ وَاسْتَعْدَادٍ ، وَلَا اخْتِيَارٍ وَانْتِقَادٍ ، وَلَا سَبْقَ فِكْرَةٍ وَرَوِيَةٍ ، وَلَا عَظِيمَ دَرَبَةٍ وَدَرِيَةٍ ، هَذَا مَا حَضَرَنِي مِنَ الْفَرَائِدِ مِنْ كُلِّ فَرِيدَةٍ هِيَ جَامِعَةُ الْمُحَامِدِ ، لَا بَلْ وَاسِطَةُ الْقَلَائِدِ ، لَا بَلْ زِينَةُ الْخَرَائِدِ مِمَّا بَلَفَتْ مِنَ الْبَلَاغَةِ الْغَايَةِ ، عَلَى أَنَّهَا مَا بَلَفَتْ قَدْرَ آيَةٍ ، كُلِّ وَاحِدَةٍ لَوْ رَأَاهَا الْإِنْسَانُ فِي رِسَالَةٍ كَانَتْ عَيْنُهَا ، أَوْ فِي خُطْبَةٍ كَانَتْ وَجْهُهَا ، أَوْ قَصِيدَةٍ كَانَتْ قَلَادَةً جِيدُهَا ، لَا بَلْ بَيْتٌ قَصِيدُهَا ، لَا بَلْ شَمْسٌ سَعُودُهَا ، إِذَا وَقَعَتْ فِي كَلَامٍ وَشَحْتُهُ ، وَإِذَا ضُمِّنَتْ فِي نِظَامٍ زَيْنَتُهُ ، وَإِذَا اعْتَرَضَتْ فِي خُطَابٍ اِمْتَأَزَتْ عَنْهُ ، وَانْحَازَتْ بِجَمَالِهَا مِنْهُ ، وَهَنَّاكَ جَمْلٌ وَفَرَائِدُ ، إِنْ أَفْرَدْتَهَا بَهَرَتْ ، وَإِنْ ضَمَمْتَهَا فِي عَقْدِهَا اعْجَزَتْ وَقَهَرَتْ ، فَهِيَ عَلَى شِدَّةِ الْفُهَا بِأَخْوَاتِهَا ، وَارْتِبَاطِهَا بِلِدَاتِهَا ، تَامَةٌ بِنَفْسِهَا قَائِمَةٌ بِذَاتِهَا ، هَاكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي تَهْوِيلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَتَشْدِيدِهَا لَامْرٍ فِيهِ حَيْثُ يَقُولُ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَنْ أََرْضِهَا وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا . وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنْ عَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ) . اشتملت هذه الكريمة على

ثلاثة عقود او اربعة كل واحد منها اعز من الكبريت الأحمر . واسطع
من اشراق الشمس على معادن الجوهر ، وكل واحدة من الجمل لو انفردت
قامت بنفسها ودأبت على عظيم هول الامر بذاتها ، واذا نظمت مع امثالها ،
وُضمت الى اشكالها ، صوّرت ذلك اليوم على حقيقته وجاءت به على
واقعه وشاكلته ، وانت اصلحك الله تعلم ان البيان والقول اثماً هو ضرب من
التصوير ، يصور في الخارج ما يقع في الضمير ، حكمة من لدن حكيم خبير ، وقد
ذكروا ان الحاذق الماهر في صناعة الرسم والتصوير ، هو الذي يصور الضاحك
والباكي والحزين والشاكي . يصور الضاحك المتبكي على حاله ، والباكي المتضاحك
على هيئته والباكي الحزين على مقدار حزنه ، والفرح الجذلان على قدر جذله وسروره
وهكذا بحيث لا يفوتك في الصورة شيء من المصور ، حتى كأنك
تشاهده بعينه وبحقيقته لا اقل ولا اكثر ، وتصوير الكلام للمعاني ينبغي
ان يكون على هذا القياس ، وفي هذه الجهة تتفاوت طبقات الكلام
ودرجاته تفاوتاً اذق من الشعر ، واخفى من السحر ، وتعالى مقاماته
الى منتهى الدرجات واسمى المقامات ، كما في تلك الآية فانك اذا صرفت
اليها التأمل وجبت عليها الفكر ، هوّلت عليك الامر ، وصوّرت لك
الحال ، بحيث كأنك تشاهده عياناً فترى هذا يسحب بالسلاسل ، وذاك
يضرب بالمقامع والمعاول ، وذاك يصب على رأسه الحميم ، وذاك يُقاد الى
الجحيم ، والصحف تتناشر ، والكتب تتطير ، والموازين منصوبة ، والمذاب
نازل ، والحال هائل ، والضجة عظيمة والناس في شغل شاغل ، كل ينتظر
ما يجري عليه ، ويرتقب اي حين يصل البلاء اليه ، الى امثال ذلك من
طلايع الفزع ، وهول المطلع ، فان مثل هذه الاحوال والاهوال هي التي
تذهل المرضعة عن رضيعها ، وتقضي لذات الحمل ان تضع حملها ، وتميد

الناس من الدهشة حيارى ، ومن الذهول سكارى وما هم بسكارى
ومن العجب ان لولانا امير المؤمنين على صلوات الله عليه مقامات
حافله ، ومقالات طائله . ومكلمات وخطب ، تفوت حد العجب في
النهج وغيره . وقد اتى فيها سلام الله عليه على جميع احوال يوم القيامة
وصور فيها عامة احوال تلك الطامة ، من زفيرها وسعيرها ، واغلاها
وسلاسلها ، ولهب نيرانها ، ومقامع خزائنها ، وسائر ما يذهل العقول ،
ويصور فزع ذلك اليوم المهول ، من كل غريبة الشكل ، مذهلة العقل ،
تذر الولدان شيبا ، وتجري لها القلوب دما صيبا ، ولم يأت احد بما اتى
به صلوات الله عليه في هذا المقام ككثر مقاماته ، ولكن على ان كلامه فيها
على الحال التي وصفنا والمقام الذي ذكرنا لا يبلغ جميعه شأ هذه الآية وحدها
فانك تجد فيها من التهويل والتفطيع وعظيم الفزع والاخافه ما يحيط بجميع
ما ذكره كل واعظ ، وما اجهد فكره فيه كل متقن حافظ ، مع ما في
كل واحدة من كلماته من السلاسة والمتانة ، والنفاسة والرصانة ، بحيث
لا ترى فيها لفظة ركيكه ، ولا كلمة مبذولة ، ولا وحشية غريبة ، ولا
متنافرة كريهه ، أترى ان احدا من الناس بل جميع البشر ، تقدر على هذه
القوة او تقوى على هذا القدر ، تعالى الله عما يقول الظالمون ، وسبحان ربك
رب العزة عما يصفون ، وقد عرفناك مرة بعد اخرى ان ليس هذا الذي
ذكرناه يختص بآية دون آية او حديث دون حديث او باب دون آخر او
قصة دون اختها او خطة دون ما سواها فقد انبأتك اني اورد ما يفاجي
قلمي ، وينادو على الفور ذهني ، وما يسبح على خاطري وفكري ، هاك قوله
جل شانه (فالتقوا اصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك
تقدير العزيز العليم) هذان الموتان اشد الانتلاف وهي اربع كلمات

كلُّ واحدة بنفسها درّه ، وفي جبين البلاغة عُمره ، ان ضمنتها الى اخواتها سطعت ، وان افردتها لذاتها ابرعت . فاذا ألفت زادت حسنا واحسانا ، واذا أفردت شئت بنفسها اشراقا ولعانا ، في اسلوب يُريك انه يصدر عن علو الامر ، ونفاذ القهر ، ومتاهي الفخر ، متجل بهجة القدره ، متحل بخالص الغزه ، يجمع السلاسة الى الرصانه ، والسلامة الى المتانه ، والرونق الصافي ، والبهاء الضافي ، لا اريد انه شمل الطباق المديح ، والايجاز الصحيح والتعديل والتثيل ، والتقريب والتشكيل ، فانه وان جمع ذلك واكثر لكن العجب ما ذكرنا من انفراد كل كلمة بنفسها ، وتعاليتها في اوج سماء قدسها ، حتى حسن ان تكون عين رسالة او خطبه . وصدر مناجات او نديه وعنوان رسالة او كتاب ، وفاتحة مقالة او خطاب ، ، انحسب انها في القرآن آيات معدوده ، وكلمات محدوده ، خذ الحواميم والطواسيم والمسبحات ويس وما شئت من السور الطوال والقصار وتصفّحها سورة سورة ، وتدبرها آية آية ، واستقصها فصلا فصلا ، وتوّاها كلمة كلمة ، هناك ما خطر الساعة على فكري ، وحضر هجوماً على ذكري ، وذلك قوله عزت آياته وعلت كلماته (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير) انت الى غايتك هذه ويومك هذا كم حفظت من اسماء الله تعالى ووعيت ، وكم سمعت من تعدادها ورايت ، أفهل وجدت لاحد من البشر نظم مثل هذه الكلمات الفرر ، وهل وقت لبارع من اوائل البلغاء والثواني ، على ما يجمع شيئاً مما جمعت هذه الآية الشريفة من منيف الالفاظ وشريف المعاني ، وكلما تجد شيئاً من هذه الفقرات النيرات في ديباجة او خطبه او دعاء او نديه او مناجات او غير ذلك فاربأ بها لا يعدون ان يكونوا منها اقتبسوا ،

واليها انسوا، ولها بعدُ سابقة الاختراع، وفضيلة الابداع، وانت من كثير تكرار هذه الفقر، اعني غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب وتواليها على سمعك في كلام آخذها من معدنها، ومنهزها من مأمنها، صرت لا تلتفت الى غور معناها، ورفع شأوها وبلغ اعجازها، وهذا هو الشأن في اكثر فرايد القرآن وآياته، وباهر اعجازه ومعجزاته، ولكن الداخل في هذا الصنف الواجد لهذا الانس. الذائق شيئاً من طعموم البلاغة واساليب العريبه لم يكن ليفوته كلما تلى عليه او تلاه. بهجته وبهاه وروعه ورواه، ورونقه ورثيقه، وان غفل عن تفاصيل دقايقه، وتماثيل حقايقه، وما ادري ما اصف من معجزاته وماذا اقول، وماذا اعد من آياته التي اشرق بها شرق الارض وغربها وتطاوت حتى اخذت في العرض والطول، اتحسب ان تلك البلاغه، والاعجاز والبراعه، في باب دون باب، او مقام دون مقام او جهة دون جهة، لاومشيّة منشيّه، لاوملاة مملية، لا وعزة من اعزّه وعزّزه، لا وصوله من صانه من كل وصمة وحرزه، لا وحراسه من حفظه وحرسه، لا وقداسته من كرمه وقُدّسه، لا وعظمه من شرفه وعظّمه، لا ورفعة من رفعه على كل كتاب وقدمه، ما هو من طور كلام البشر، الذي تختلف احواله في مقام دون مقام او اثر دون اثر، ولا هو بالذي تقوى على تبديل جملة واحدة من جمله القوى والقُدر ها انت رعاك الله ترى من شاع من الشعراء ذكره، وتعرف من عُرف بالبلاغة امره، من الجاهلية والمخضرمين، والمولدين والمتقدمين، تجدها يحيد في المدح دون النسب، وذلك يحسن الغزل والتشبيب، دون العتاب والتأنيب، كلُّه شأو عُرف به ومقام نسب اليه، وميدان انفرديته، ورهان سبق اليه وحازه، واخذ في مزايده البلاء امتيازّه، فبعض في

المدح والثناء ، وآخر في الهجاء او الرثاء ، وواحد في افانين النسيب ، وغيره في التأيين والتأنيب ، احوالهم في البلاغة تختلف ، ومقاماتهم بحسب الشؤون لا تأتلف ، فامر ، القيس اذا ركب ، والنابعة اذا رهب ، والاعشى اذا طرب ، وزهير اذا رغب ، ولولا خوف الخروج عن الحطة كثيرا ، لسردت لك من ذلك مبلغا خطيرا ، ولجسمت الامر بيانا ، حتى تراه عيانا لكن حديث هذا القديم ، والفرقان العظيم ، كله على نهج واحد ، متقارب في نفسه ، وعن غيره متباعد ، حديثا متشابها ، وقولا متعاليا ، واسلوبا متساويا بلاغته في القصص والاخبار ، مثلها في الاعذار والانذار ، ومقامه في الاحتجاج على نفي الشريك وتسجيل التوحيد ، مقامه في الترغيب والترهيب والوعد والوعيد ، وحاله في سائر اساليب الكلام ، حاله في بيان الشرايع والاحكام ، وتفاصيل الحلال والحرام ، التي هي مظنة لانحلال الكلام وفوت مزاياه ، وانحطاط رتبته وحاشاه ، انظر احكام نظامه في احكامه ، وبيان حلاله وحرامه . مثل قوله نفذ امره ، وعلا قهره ، ﴿ يسألونك ما اذا أحلّ لهم قل أحلّ لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلّين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب ﴾ بعد ان فصل المحرمات من اللحوم والذبايح بقوله تعالى ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع ﴾ الى قوله ﴿ فمن اضطرّ في مخمصة غير متجانف لأثم فان الله غفور رحيم ﴾ وقوله عز طوله (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر) الى قوله (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشّر

المحسنين) الى كثير من امثال ذلك في تحليله وتحريه ، وتقديسه وتعظيمه وارشاده وتعليمه ، وتقريعه وتأنيبه . وجججه وبراهينه ، وقد طال ويطول علينا التعداد ، علي اننا ما استوفينا الغرض ولا بلغنا المراد ، صميم البغية ولب القصد ان نوقفك على معرفة تفاضل الكلام وتميز مزاياه حتى ترى ذلك عيانا ، وتمتلي به عرفانا ، وجه الوقوف على شرف الكلام وعلاه ، واعجازه ونهاه ، ورونقه ورواه ، وميمه وبهاه ، ان تقدم على مثل قوله تعالى (وقد منّا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) ثم تنظر هل تجد فيها حشوا ، او ترى بها حرفا لغوا ، او تحس في صوغها تكلفا يقلق به الكلام ولا يكون بحجي . الكلمات به عفوا ، ثم انظر في كل كلمة منها وسر في طلب اخواتها ، وسبر مرادفاتها ، وتوخ مبلغ جهدك في ان تعثر على كلمة تساوي رديفتها التي اشتملت عليها تلك الآية ، فضلا عن ان تفضل عليها او تفوقها في جزالة اللفظ والدلالة على الغرض صراحة او كناية ، تصفحها كلمة كلمة ولنظا لفظا وحرفا وحرفا واجعل نظرك عليها وقفا ، وانقدها نقدًا واصرفها صرفا ، اترى ماذا تقدم على مثل قوله (وقد منّا) مما يساوقها في جوهر المعنى ، ويساويها في اصل الغرض ، وان فاتت بعض المزايا التي يحسها الذوق والوجدان ، ويقصر عنها البيان ، أتقدم مثل اتينا ام نحونا او قصدنا او توجهنا وانظر انت فأحص باقيها ، واحصر ما يساويها على قدر سعة باعك ، وعيار تنبئك في اللغة واصطلاحك ، وانظر أتعذر لفظة تقوم مقامها ، وتحل محلها ، وتؤدي تمام مزاياها ، على كثرة ما تحسب انه يرادفها ويساوي معناها ، اترى وانت من ذوي الفطنة والنباهة ، يخفى عليك ما يدخل من الركاكة والفهاهه ، لو قلت واتينا الى ما عملوا من عمل فجعلناه (كذا) او يذهب عليك مع حسن مذهبك في العريه ما في

(قدمنا) من علو المأخذ وشدة الشكيمه ، وفخامة الكلام ، والأشعار بما للمتكلم من العظمة وسمو المقام ، كذلك فاعتبر رصانته وخلوه عن الحشو الزايد ، والفضلة التي ليست صلات الفضل بها عوائد ، تجد اقرب ما فيها للأسقاط والحذف ، ما وقع في وسط الآية من الظرف . وهو قوله (من عمل) ومع ذلك فلو حذفته (وقات وقدمنا الى ما عملوا فجعلناه هباء منثورا) كيف تجد الكلام معه قلق الوضيين . مبتور الظهر مقطوع الوتين ، لا يتلاقى طرفاه . ولا يتساند ركناء

وجه الوقوف على شرف الكلام وفضله ان تأخذ بمثل قوله ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادُلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ ﴾ موضع الدلالة ان تتأمل في قوله (ليأخذوه) وتنظر هل تقع موقعها كالمه . وهل تقوم مقامها لفظه . وهل تسد مسدّها في الجزالة نكته . وهل تغني عنها في جزالة المعنى وجلالة اللفظ جملة . أترى او وضع موضعها (اي رجموه) او (ليقتلوه) او (ليهلكوه) او (ليملكوه) او (لينفوه) او (ليطردوه) وامثالها مما لا يبعد عليك . ولا ينأى عنك . هل تجد ذلك الا بعيدا . وهل تراد الا سمجا مردودا . وكان تلك الفريده . قد وفّت وضمنت لك بماني جميع هذه الكلمات العديده . مع منتهى الجلالة والفخامة . ومنيع العزة والكرامه ومن حسن موقعها وجميل اثرها وصنعماتها كثر التعبير بها في ذلك الكتاب الكريم وهي من فرائده ومبتكراته . من ذلك قوله ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُي ظَالِمَةٌ أَنْ أَخْذَهُ لَا إِلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ راجع ايام العرب وتواريخهم وانظر هل تجد استعمال هذه اللفظه بهذا المعنى البارع . القريب الشاسع اما بعد الاسلام وانتشار انواره . فقد شاع اخذها . كساير ما اقتبسها البلغاء

من فرايد كلماته . وشاع وشع من انوار بركاته . فانتقد موضع هذه الكلمة واغتنمها . وتعرف بهاما تذهب اليه وترومه من نخب الكلام وجميل الالفاظ . وجليل المعاني . ومعجز القول . وبلغ المنطق . فان فطنت فذاك . وان كان ما عددناه لك . وتلواناه عليك . مما لا يقف بك على الغرض . ولا تهدي به السيل الى القصد . فافزع الى التقليد . واكف نفسك مؤنة هذا العمل الجهد . وانتظر فسيجي . معك الكلام في الصنف الثاني ان شاء الله اذ لست يامدعي البراءة . والزاعم اذك من اهل هذه الصناعة . مع قصورك بعد هذا كله الأذخيل النسب فيها . هجين الاصل منها . نسبتك اليها نسبة بنات الماء . الى خشفان الظباء . لا من صميمها ولا عواليها ، ولا احلافها ولا مواليها ، فان كنت ترى أنك منها على شيء ، وتزعم ان ما قد مناه من الآيات ومعجز الفقرات ، كلام بشري ، وقول انسي ، غير طالع من المطالع الالهيه ، ولا ساطع من الانوار القدسيه ، وترى انه مما تقدر عليه القوى البشريه ، وتحوم حوله الأفكار الأنسيه ، ويدخل مثله تحت الطاقة والقدرة ، وتنفع فيه المساعدة والنصره ، فارجع الى اهل ثقتك وطمأنيتك ، وهدوك وسكينتك ، وجئنا منهم بآيه او بدل لنا من القرآن جملة ، او عوَضنا عن مكان كلمة منه كلمة ، وعمرُ الله وعمرُ الله قسمٌ عظيم ، وانا بما اقول لك زعيم ، أنك لو رمت ذلك لرايت عيانا على التحقيق ، أنك لو تخرُ من السماء فتخطفك الطير او تهوي بك الريح في مكان سحيق ، اهون عليك من وضع قدم واحد في ذلك الطريق ، يا هذا . القوم الذين عاياهم القرآن وعاداهم ، وحادهم وتحداهم ، وعاصروا نزواه ، وادركوا ظهوره ، وشاهدوا نوره ، وعاب آلهتهم وسفاه احلامهم ، ونكس اعلامهم ، وكسر اصنامهم ، وفعل بهم الافاعيل وجاههم بالاهاويل ، ورماهم بالصلادم ،

والشجى في الحلاقم . كانوا اسعد منك في البلاغة جداً ، واورى في العربية زندا ، واشد لها معاناة ومراسا ، وامتن اسبابا واقوى امراسا ، وهم اصلها الاصيل ولهم مجدها الاثيل ، ثم لما صعد به بينهم على البفاع ، وصدع به منهم الاسماع ، وناداهم فاسمع ، وبلغهم اجمع ، طاشت البابهم ، وتقطعت اسبابهم ، ورأوا ان معلقاتهم التي عجبا بها ممخرقات ، فزقوا تلك المملقات ولشدة مهارتهم ومعرفتهم بمقامات البلاغة ومبالغ حدود البشر فيها ، ومنتهى قوى الرجال منها ، ايسوا من حينهم عن المعارضة ، واذعنوا اول ما سمعوه بالعجز عن المراجعة والمفاوضة ، الكتب والتواريخ ضبطت لك خبرهم ودفعت اليك سيرهم ، واحصت قليل امرهم والكثير ، والفتيل والنقير فهل روي لك عنهم ، او بلغك ان واحدا منهم ، او جماعة من ذوي شرفهم وعلاهم ، وهم كما تعلم ما هم ، جاء الى ذلك المتحدى به ، والناهض بعينه ، فقال له يا فتى نحن كبراء قومك ، واشياخ عشيرتك ، وفصحاء عصرك ، وقد اكرث علينا التبجح ، واطلت التحدي بقرآنك والتبذخ ، فاكفف فهذه كلمات من جنس ما جئت به واتيته ، ومن سنخ ما قرأته وابديته ، وقد عارضنا بها قرآنك ، وابطلنا بجمعها معاذ الله فرقانك . لا وعزة جلال الله كأن ذلك ما خطر لهم على خيال ، ولا اتسع لأحدهم فيه مجال بل ظلوا في الحيرة صرعى سبات ، يتعلمون بالباطيل والترهات ، يقولون له تارة انك لمجنون ولو تدبر اللبيب في امرهم لايقن انهم كانوا هم المجانين ، ويقولون انك لساحر والحق ما هو الا ان مارد العصية قد جعلهم من المسحورين ، حتى تطامنوا للحروب المبيده ، والمواقف المهلكة ، وتجاروا على مماناة المنايا ، ومعاناة الرزايا ، زمان عشرين سنه او اكثر كانت المعارضة ممكنة لهم وتركوها ، او فعلوها ولم يبلغها اليها ناقلوها .

قل لنا باي الامر ين يحكم عقلك ، أيهما يرتضيه وجدانك ، أيهما يقضي به انصافك ، اتقضي الحقيقة بصحة شيء منها كلاً ما هو الا انهم وجدوه امرا مستحيلاً ، وابصروه ممتنعاً منيعاً ، الخوف اطيب منه مطعماً ، وحدث السيوف الين منه مركباً ، فاختاروا اهون الامرين عليهم ، والين الحاليين لديهم ، هذا والقرآن ملء اسماعهم وافكارهم ، ونصب عيونهم وابصارهم يرونه بعيداً القصة الشارده ، والقضية الواحدة ، بافانين من البيان ، واساليب من الكلام ، وبدايع من القول ، وروايع من الطول ، من دون ان ينحط شأوه في البلاغه ، او يختلف حاله في البراعه ، على اختلاف الاساليب وشتات التراكيب ، انظر مثلاً ما اقتض من امر فرعون وعتوه واستكباره وما اخذه الله به من النكال ، ورماه به من البوار والوبال ، حيث اغرقه وجنوده ، واستنقذ منه عبيده ، هذه القصة ذكرها هذا الكتاب الكريم في اغلب سورده من الطوال والمثاني ، والمئين والثواني ، والمفصل طواله وقصاره ، واوساطه وصغاره ، هالك مثلاً من ذالك ونموجاً مما هنالك ، قال في سورة يونس من السور الطوال ﴿ وقال موسى ربنا انك آتيت موسى وملاؤه زينة واموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ﴾ الى قوله ﴿ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبهم فرعون وجنوده بغيا وعدواً حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا إله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ﴾ وقال في سورة القصص من الثواني ﴿ وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من آله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي اطلع الى إله موسى واني لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا أنهم اليينا

لا يرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴿
وفي سورة المؤمن من طوال المفصل ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لي
صرحاً لعلني ابلغ الأسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واتي
لاظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد
فرعون الا في تباب ﴿ وفي الزخرف منها ايضاً ﴿ ونادى فرعون في قومه
قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي افلا تبصرون
ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ﴿ الى قوله ﴿ فلما
آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفاً ومثالاً للآخرين)
وفي النازعات من قصار المفصل يقول جل شأنه مجملاتك التفاصيل ،
مختصراتك الواقعة على ما فيها من الشؤون والتهاويل ﴿ هل اتاك حديث
موسى اذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى
فقل له هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فاراه الآية
الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسرى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى
فاخذ الله نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ﴿ هذه
قصة من قصصه ونبأ من انبائه ، انظر كيف جاء بها في طرق مختلفة ،
وانحاء متفاوتة ، واساليب متباينة ، وتراكيب متشعبة ، كل واحد اذا رأته
قلت هو الغاية ، واذا انتهيت اليه حسبته النهاية ، وعلى مثل ذلك سائر
احاديثه واقاصيصه ، وحججه وبراهينه ، وشرايعه واحكامه ، وحلاله
وحرامه ، كل هذا اظهارا للعظيم القدرة ، وتبياناً للمعجز القوة ، وباهر السطوة
وانه مرتبة الهية ، ومنزلة الهامية ، تعجز عنها البشر ، وتضعف دونها القوى
والقدر ، ومنه تعرف وجه هذا التكرار ، وسر ذلك الاستمرار ، وهذا
باب عظيم من معجزاته ، وسر جليل من اسرار بلاغاته ، قد بره بعون الله

وفضله ، واغتنمه ان كنت من اهله ، وقف على مثل سورة يوسف ويونس
وابراهيم وترجمته احياة عيسى ويحيى وموسى واقض العجب هنالك ،
وعلى الأخص في قصة يوسف واخوته على طولها فانك تجدها وحدها
قرآنا معجزا ، وحديثا عجبا ، وجهات اعجازه وابواب بلاغته ككثيره
واسعة يضيق وسعنا عن احصائها ، وتفصيل انبائها ، والقدر الذي ذكرناه
انها جاء على عفو الطبع ، وترسل الخاطر ، وسماحة القلم . فلذلك لم يأت
مبوبا ، ولا محررا ولا مرتبا ، ولو جئنا ذلك تواترا ، وقصدناه بدوا ، لاحتجنا
الى افراد بالتأليف ، وانعقاد ابواب تستقل بالتصنيف ، ان من ابواب
اعجازه وبلاغته ، وبلوغ اسرار براعته ، الذي يوقفك على ماتتوخاه من
هذه البغية ، وترومه من هذه المنية ، الذي يريك الأعجاز شهودا ، الذي
يشهدك منتهى حد البلاغة معينا محدودا ، الذي يحقق لك الحقيقة ، الذي
يسلك بك في واضح الطريقه ، ذاك ان تنظر في تشبيهاته البديعه ، وتمثيلاته
المنيعه ، وتضرب اقصى مبالغ الفكره ، وتدأب في مراجعة النظره ، وترى
هل تجد مساغا ، وتذكر بلاغا . الى ابلغ منه تمثيلا ، واحسن تشبيها ، واسمى
مقاما ، واسنى محلا ، وهل تقدر على ان تزيد فيه ، او تعلو على معاليه ،
او تنظمه في اقوى من سلكه ، او ترفعه الى ما هو اعلى من سمكه ، خذ
مستقصيا في النظر من اول تشبيهاته ، مستوقف الفكر على كل واحد من
تمثيلاته ، ذاك مثل قوله في وصف حال المنافقين وتجسيم حقيقتهم في العيان ،
وتحديد ملكاتهم الخبيثه في حيث تشدها الأذهان ، يقول جل شأنه
﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات لا يبصرون او كصيب من السماء فيه رعد وبرق ﴾ الآية
الى نهاية المثل في قوله ﴿ يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا

فيه واذا اظلم عليهم قاموا ﴿ ولو ذهبنا الى بيان دقائق هذا المثل واسرارہ وتطبيقه على خواص الممثل لطال المقام وفات الغرض وكتب التفسير قد وفّت بشرط من ذلك وان لم تستوفه ، وتكفلت به وان لم تبلغ الفلسفة فيه ولم تستقصه ، ما الغرض هنا سوى الاشارة والتنبية ، لا تمام الخوض فيه ، ثم سر حتى تنتهي الى قوله تعالى في بني اسرائيل (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) « الآية » وهلم جرا . جاريا على هذا المجرى ، حتى تصل الى قوله في الكشف عن حال الدنيا وغرور متاعها وزوال زينتها وسوء عاقبتها وذلك حيث يقول جل شأنه (انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما تأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاهها امرنا ليلاً او نهارة فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) وفي هذه الآية من اسرار العلوم ودقائق الفلسفة الطبيعية ما لا يذهب بعضه او كله ، عن هواهله . ثم انظر تفتته وضروبه . وانحاده واساليبه . في تشبيهه للشيء الواحد بتشبيهات مختلفة في مقامات متعدّدة من ذلك قوله عزّ طوله في ضرب المثل لغاية عمل الكافر وسوء عاقبته (مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرّون ممّا كسبوا على شيء ، ذلك هو الضلال البعيد) ثم بسط المقال وفصل الاجمال ومثل واقع الامر في المثال بقوله تعالى في سورة النور التي هي بعمد سورة ابراهيم بكثير قال متعالى المز والجلال . عن النّد والمثال . (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه

موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحبٌ ظلماتٌ بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكدرها وامن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) انار الله سيرتك واحسن في خطة المعارف سيرتك . وصفي في درك اللطائف بصرك وبصيرتك اتجد للزيادة في هذا المثل من موضع . او تهدي الى تشبيه يقع ابلغ من هذا الموقع . او ترى ولو اجهدت افكارك . وجمعت اعوانك وانصارك انك تحسن ان تأتي باحسن منه صياغه . واغوى مبالغة وبلاغه . وهو من المبالغة في الكشف عن الحق وتصوير الواقع لا من المبالغات الشعرية والمعاني الخيالية . وبعد فماذا يبلغ من معجز بلاغتها بياني . وما ذا يسمعه من احصاء خواصها قلبي او لساني . وهل بعد هذا الا ان اقول .

توهمتُها في قدسها فكأنما توهمتُ شيئاً ليس يدركه العقل
فما يرتقي التكيف فيها الى مدى تحدُّ به الآ ومن قبله قبلُ

وتعرف النكته في عدم الاقتناع بتمثيل اعمالهم بالسراب حتى اردفه بالتشبيه بالبحر اللجج على ذلك الوجه المخصوص نظرا الى اختلاف اعمال الكافر وان منها ما يتكل عليه . ويعتد به . ويتخذ سبباً لنجاته . وزادا لمعاده . وهذا هو السراب الذي اذا جاءه لم يحده شيئا وهذا النوع من العمل هو المصرح به في قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ومنها الاعمال الممجيه . العادية المدوانيه . التي هي لا عن قانون شرع . ولا نظام عقل . ولا مرآة مروءة . ولا فتوى فتوة . وعليه فيجتمع عنده ظلام الكفر وظلام الظلم وظلمات الجهل فتتراكم عليه الظلمات . وترتبك عليه الجهالات بمضما فوق بعض . وهذا دون الواقع بكثير . فان الجهل معاذ الله مثار الظلمات . ومدار الظلامات . وهو طبقات فوق طبقات . ودركات تحت دركات . هناك اجارك الله يعمى بصر البصيره . ويرخي الباطل على الحق

ستوره . وتنكسف شمس العقل المستيره . بحيث اذا اخرج يده لم يكده
يراها . واذا اشرفت شمس الهداية لم يستضي . بسناها . فمن اين يرجى
له النظر في العاقبه . ودرك الامور المغيبه . ومعرفة مبدئه ومعاده . وما يلزم
عليه من اعداد راحلته وزاده . وهل الايمان الا ذلك . وهل الكفر سوى
جحودها وهو الظلم بل الظلام الخالك . وعلى مثل هذا فليتدبر في امثال
الله جل شانہ . وبمثله فليعتبر كلامه . وفهم آياته . وتُنظر بيناته . وتعرف
زواجر امثاله . واسرار حكمه واقواله . ومن هذا المجاز . فليتوصل
السالك الى معرفة حقيقة الاعجاز . وبديع الایجاز . وهذا مقام شاسع .
وباب واسع . وما هو من البطون وخلاف الظاهر . كما لا يخفى على الفطن
الماهر . واني لأرّز . لاكثر التفاسير حيث صفت عياها عن قرضه .
واعجب كيف استطابت الجماهير وطاها دون مخضه . بيد انك ان اردت
التوسع في العرفان . والتوصل الى عجائب رموز هذا الفرقان . فخذ مثلاً
من اوّل مفتتح الكلام . ومبدأ الفصل في هذا المقام . لترى العجائب ترى
والبيان سحراً . والمعاني منيمه . والالفاظ بديعه . تجد المعجزة باهره . والقدرة
قاهره والامثال سايره . هناك سواطع انوار جلاله . هناك مواقع حكمه
وامثاله . هناك لوامع آياته . وجوامع ضرب المثل الاعلى لذاته وصفاته . (ولقد
انزلنا اليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خالوا من قبلكم وموعظة
للمتقين . الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
المصباح في زجاجة . الزجاجة كأنها كوكب دري . يوقد من شجرة مباركة
زيتونه . لا شرقية ولا غربية . يكاد زيتها يضي . ولو لم تمسسه نار . نور
على نور . يهدي الله لنوره من يشاء . ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل
شيء عليم . ﴿١٣﴾ ان من يقول في بعض كلمات نهج البلاغه معانيه للبلاغ عن

معارضتها (ملماً يا ظالم والآ فالتخويه) ما ادري ماذا يقول لهم في هذه الآية
أما هذا الضعيف الضارع . والعبد الخاشع . فلا جدني أحسن فيها إلا أن أقول

ليغتدي كل بليغ على	موطى نعليه لها ساجدا
عزائم الله وانوارها	تحرق من جاء لها جاحدا
فأي حر الفكر من بعدها	لم يعن كالعبد لها عابدا
بلاغة اعجازها قد غدا	على تعالي شأنها شاهدا
والعقل أتى يرتقي شاعها	لم يلف إلا شأوها شاردا
يرتد عن اصغرها صاغرا	وان تسامى في النهى صاعدا
فليخس عن ادراكها دون ان	توتيه من انوارها قائدا

انت أيها المعارف بلطائف اساليب الكلام ، والناقد لما في تصاريف
التراكيب من بديع السبك ومعجز النظام ، انت يامدعي البراءة ، في هذه
الصناعة ، انت أيها الزاعم حمل الوبة الفضل فيها والزماعة ، بجرمة نصيحتي
لك وخدمتي اليك ، وجهادي في ذات الله لك لا عليك ، لا بل قسمي
عليك بجلال الله العظيم ، إلا ما اخذت هذا الكتاب الكريم ، فان وقفت
فرتل هذه الآية وما بعدها ترتيبا ، وميزها عند القراءة جملة وفصلها
تفصيلا ، وامعن ففكرك فيها على حسب مايتها لك عند التلاوة ولو قايلا ،
ثم انظر كيف وقع هذا النور من آيته في قلبك ، وكيف استيلانه على شراشر
لبك وكيف سريانه في حسك ، ونفوذه في عروقك ، وامتلائك بهجته ،
وانتماشك برونقه ، ام هل تجد الرعب كيف يأخذ منك مأخذه من وجه ،
والهزة كيف تعمل في جوانبك من لون ، والأريحية كيف تستولي عليك
من باب ، وهل تجد الطرب كيف يستفزك للطيف ما احسنه ، والسرور
كيف يهزك لعجيب ما فطنت له وادركته ، ألا تجد في نفسك من المعرفة

التي احدثت لك عزه ، ألا تحس في اعطافك من سحر ذلك البيان ارتياحاً
وهزه ، ألا ترى لك في الفضل تقدماً وتبريزاً ، وفي اليقين سبقاً وتحقيقاً ،
أو لست ترى مطارح الجهال تحت اقدام الغفلة ، ومهاويهم في متاهة المهانة
والذلة . واقدارهم بالعين التي يجب ان تلحظ بها مراتبهم من الازدراء
والقلّة . أو لست تجد ما يأخذك عند تلاوتها من الوجد والشفغ . وما
يصيدك في تدبرها والتعلّي بها من الامتلاء بالمجد والشرف . ألا يهزك
الطرب . الا يستفزك العجب . ألا تتمايل اعطافك . الا تتمايد اطرافك .
(كلاً) بل أخشى ان تكون عصابة المصيبة قد غطت على عينيك ودا
الجهل ران على قلبك وقبض على يديك . فنظرت بعين السخط وهي العمياء
وفكرت بمدركة الحقد وهي الموجاء . فقلبك كالحجارة او اشد ، وعينك
عين ذي العاير الارمد ، فمن اين تنالك يا هذا تلك الفزّه ، او توتر فيك
تلك اللطائف والمعارف شيئاً من الهزه . وانت من هوللحق كيف كان
معاند . لا بل الرجل الجاحد . لا بل الحجر الجامد . والتوفيق ليس الي
ولا اليك . فهو نأ ايها العارف المتقّد من الاسف فما على ولا عليك

هذا كله في شأن حسن الكلام وبديع نظامه . في عجيب رصفه وإحكامه
في نضده وسبكه ، في نظامه بساكه ، في شأنه وشأوه ، في زهره وزهوه
في حظّه بلفظه ، في سلاسته ونفاسته ، في شرفه وبسالته ، أمّا لوجئت الى
ما انبسط في العالم من بركات معانيه واسراره . وما شيع في الافاق من
لمعات انواره ، وما انطوى فيه من اصول المعارف الالهيه ، وما استطرد
في ذلك المثل من التعاليم العمليه ، والفنون الصناعيه ، ودقائق العلوم الطبيعيه
ورموزها الخفيه ، حيث اشار الى خاصّة تأثير الزجاج في تلطيف النور
وصفائه ، وتلاّ أضوائه ، ورمز الى ما استخرجه في مناهز اعصارنا

الفلاسفة الصناعيون ، وما اغرب وادبى باستكشافه الغربيون الأوربانيون ، من القوة الكهربائية ، التي وصلوا اليها بعد الجهد الجهد ، والسمي الشديد والزمان المتطول ، والمعاونة والمعامل ، كما هو الشأن في سائر مكتشفاتهم ، وجميع مخترعاتهم ، وهذا المعجز المحمدي اشار اليها قبل ما ينيف على ثلاثة عشر قرن ولكن باوجز عبارته ، والطف اشارته ، مستطردا ذلك بقوله (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) كما رمز الى اكثر تلك المخترعات بخفي الرموز والاشارات . والسِرُّ في توحيه هذا النحو من البيان على وجه الرمز والحفاء انما هو عدة اشياء ، منها المحافظة على رصانة الكلام ورصافته . واعجازه وبلاغته . ومنها قصور مخاطبين به عن درك تفاصيل تلك الامور وعدم رغبتهم فيها واجفال طباعهم عنها فقضت العناية العاطفة . والحكمة المتقنة . إتماماً للحجة واظهاراً لعظيم قدره ، لمن سبق في علمه انه من اهل تلك اللطائف ، وانه ممن يرغب الى المعاني ولا تتم الحجة عليه الا بالمعارف . فاستودعت تلك العلوم والحقايق إستيداع البذور المستكنة في الاراضي الطيبة المطمئنة . لتُعرس في امثالها من العقول المستقيمة . والنفوس السليمة . التي دأب الفكر والتأمل في حرثها . وبحجتها . هنالك تستعد لأن تُسقى بماء الرحمة المتقاطر ، ويصيبها منه بقدر استعدادها وما يسر وقدّر لها المبدع الفاطر ، فتنبو اصول هاتيك العلوم والمعارف نماءً بيننا ، وتنبت بذورها باذن الله نباتاً حسناً ، ويكون ذلك شاهداً وشارحاً ، ومفسراً وموضحاً ، لقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) الى امثالها من الكرايم والآهية ، والعلايم الربانية (انزل من السماء ماء فسالأت اوديةً بقدرها) فارجع اليها في سورة الرعد فانها من امثاله الباهره ، وآياته القايره ، وليس الغرض المهم هنا اثبات هذا الشأن ، وان جميع العلوم

والمعارف مودعة في القرآن ، وانما استطردها في الذكر كما هو في الآية على تقديره كذلك * ما جوهر الفرض في عرض هذا البحث وطوله ، وجرجرته وتطويله ، الا ان ندلك على حقيقة الأعجاز وجوهر البلاغة ، بحيث ترى ذلك رأي العين ، ويحصل لك من اليقين به ما لا يبقى لك معه شك ولا مين ، وجه الدلالة على ذلك من هذه الآية كما اسلفناه لك في غيرها ان تعمد الى اي جملة شئت من مفردات جملها مثل قوله تعالى (مثل نوره كشكاة فيها مصباح) وقوله (المصباح في زجاجة) وقوله (الزجاجة كأنها كوكب دري) وهكذا الى حيث اردت منها وانظر في مفردات كل واحدة من هذه الجمل هل تجد لفظة تقوم مقامها ، او فريدة تحمل محلها ، او تسد مسدها ، خذ المشكاة او المصباح واستضي بالف واحد منه وانظر هل تهتدي الى احسن منها مما يرادفها ، قل مثل نوره ككوة او كروزنة او كزاوية وامثال ذلك مما يوافقه بالصراحة او الالتزام وكذا فانقل المصباح الى مثله وقل كشكاة فيها سراج او مشعل او قنديل او نبراس او مقباس هل تجد شيئا منها يقرب من هاتيك الفرايد او يشق غبارها او يوازن عيارها فان المشعل وان كان اكبر من المصباح السراج الذي هو الضخم الثاقب وهو اكبر من النبراس والقنديل ونحوها ولكن في لفظ المشعل من الفجاجة والفهاهه والعامية المرذولة ما لا يخفى على من له ادنى ذوق ثم انظر الى حسن خاتمة المثل وجميل عاقبته بقوله (نور على نور بهدي الله لنوره من يشاء) اشار جل شأنه بالفقرة الاولى الى كون ذلك النور المضروب مثلاً لجلاله متضاءف الأضائه والاشراق بتناصر المشكاة فيه والمصباح والزجاجة والزيت حتى لم يبق بقية مما يقوي النور ويزيده اشراقاً الا وهي فيه فكان هذه الكلمة هي فذلكة المقام وخلاصة المثل وهي بنفسها درة فريدة تلتلأ نوراً .

وتشعُّ اشراقاً وتعالى بهجة وسناء . وتتسامى رفعة وعلاء . سارت مسير
الامثال . وعزّت عن الانداد والامثال . ووقفت في المقام الذي لا يدرك
ولا ينال . واستغنت بشهامتها عن اخواتها . واستقامت عن ذواتها بذاتها
فهي ان اتّصلت بمقامها عزّت فيه وجلّت . وان انفصلت اشرقت وحدها
وتجلّت . وهي من الفرايد التي ابتكرها هذا الكتاب . ومنه سرّت مثلاً
في السنة العوام فضلاً عن الخطباء والكتّاب . كثير من فرايد مخترعاته
وابكار بلاغاته ممّا مرّ عليك كثير منه وما قصرنا عنه اكثر

اني لا ارتاب في معرفتك بشأن الكلام من خطبه وشعره ونثره واراجيزه وسائر
انواعه ترى ان الخطبة الوحيدة . او القصيدة الفريدة . او المقامة السامية في
شأن البلاغة اذا كرّرتها على السمع ثلاثاً او اربعاً امجّها . واذا اُمليت على
الطبع ملّها واستسجها . حتى قيل ان الطبع مُوَكَّل بمُعَادَاتِ الْمُعَادَاتِ .
واستكراه المكرّرات . وهذا الفرقان الحميد . والقرآن المجيد . كلّما
كرّره تعالى وتماظم . وتفاخر وتفاخم . يُتلى على جميع الالسنّة في غضون
هذه القرون المتطاولة . في عموم الامم المتداولة . وكلّما تلوته وجدته
غضّاً جديداً . ومهما بلوته لم تبُل الا حميداً . واذا وازنت به كلاماً شال في
ميزانه . وعنى لمنوانه . وخفّ في عياده . ونجس لديه قدره وان غالت بمقداره .
وللعلماء في آية النور ولا سيما علماء الامامية عناية عظيمة . ولها عندهم مقام
كريم . ولهم عليها تعاليق ورسايل . وتحقيقات دلّيل . وتقاسير شجون
من ظهور وبطون . ولكنهم اغفلوا جهة فصاحتها ومعجز بلاغتها . كما
هو الشأن في اكثر المفسرين والمؤاخذة بذلك آيةٌ على جلّ المبرزين من
اساطين العلماء الاسلاميين الا افراد تنزر في العدد . واحاد يمدّها كل واحد
ممن عنى بهذا الشأن فوقف على حواشيه . وحام حول الغرض ولم يقع

فيه . ولكنه جدّ فاجاد . وكذّ فكداد . والحقّ ما يقال من ان القرآن . ما فُسِّر الى الآن . وعلى الملات فمذرهم واضح لدينا . والانصاف فريضة علينا . فان الخطر خطير . والمورد ليجّ غزير . متلاطم الامواج . متسع الفجاج متشعب المنهاج . يخر عبابه الزاخر . ويخور به الخريت الماهر وانى تدرك هذه الحواس المادية . حقايق الاشياء المجردة كما هي . وكيف تحيط هذه العقول المتناهيه بكلام ذلك الكمال الغير المتناهي . وكيف يبلغ المخلوق الى معاني كلام الخلايق وتنام . مظهر قدرته فيه وكلامه وجهة صفاته . وصفاته مرآة ذاته . والعقول القادسه دون ادنى ذلك معقوله . وارواح الروحانيين على الباب طائشة مذهولة . (فسبحان ربك رب العزة عما يصفون) اما بعض الضمفاء من عباده فاذا هم نجّـاله . او خطر على باله . التصدي لتفسير سورة من متوسطاته . فضلا عن مطولاته . او التعرض لتام فصل من فصوله او عدة من آياته وشهـير مقاماته . على خطاة الخوض في جميع شؤنها . وجم آفائنها . واستيفاء جميع جهاتها ، ممّا يتعاق بمعانيها وعباراتها ، فلا اجدني عند ارادة ذلك والفكرة فيه الا كالحم على وضم او كالرمي به من حالق الى حيث لا مقرّ لقدم ، نعم نحن بفضل الله لا نبخس الناس حقّهم ، ولا ننكر عرفهم ، ولا نخفي فضلهم ، ولا نجحد اياديهم ولا نطمس مساعيهم ، فان جملة من اساطين العربية الاوائل البارعين فيها وفي غيرها من الفضائل ، قد كانت لهم النهضة والنايره ، والصولة الثايره ، والحماس الشديد والمثايره ، في الدلالة على اعجاز القرآن ، والعناء بهذا الشأن واقامة الحجة البالغة عليه والبرهان ، الا وهم السيدان الشريفان الرضي والمرتضى والشيخان الجليلان الشيخ الجرجاني والقاضي الباقلاني والفاضلان النيقدان الزمخشري والسكّاكي وتلاههم في ذلك جملة ممن تأخر عنهم ،

واخذ منهم ، واجتدى جدواهم ، وما اغنى غناهم ، ولا بلغ مداهم ، ولعل
هناك فيمن تقدم او تأخر من نجل الزمان علينا بأنفه ، ولم يسعنا بتصفح
صفحه ، فيما أكثر ما أخذ من ايدينا ، من تصانيف آبائنا واهلينا ، وكتب
اعلامنا ، وماثر اسلامنا ، ما لو هلك كل امرء مسلم من الحسرة عليها
مألوما ، لما كان عندي ملوما ، ولكن عناية من الله بدينه ، وإتماما لحجته ،
وحفظا لنواميسه ، قد ابقى منها ما يفي بالغرض ، وينهج به القصد ، وينقطع
به العذر ، وتقوم فيه على العبد لله الحجة ، انت يا ذا الذي تزعم ان لك في
العربية رتبة ، وفي مطالعة الكتب والصحف دربه . وانك من اهل ذلك
اللحن واللسان ، ولك معرفة بأساليب الخطابة والبيان ، راجع تفاريق
كتب اولئك الاعلام ، وما ابقيت بايدينا من تصانيفهم غواير الأيام ، تجد فيها
من تلك البغية شيئا شافيا ، ومن اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز واعجاز
القرآن (١) شرحا وافيا ، أما الاستيعاب والاستقصاء ، والحصر والاحصاء ،
فذلك مقام في كتاب الله لا يُنال ، وامرٌ عاد او كاد ان يكون من المحال
وجميع ما ذكرناه وفصلناه على طيات وطوله ، وما حرّروه وحرّوه على
تفاصيله ، مما لهم فيه الهمة القعساء ، والعزيمة الملساء ، ولكن ما كل ذلك
بالقياس الى ما حصروا عنه واقصروا ، وانخطوا دونه وتأخروا . الا كنسبة
القبس من الشمس ، والقدم من الرأس ، والبل من الوبل ، والفرع من
الاصل ، يدلك على بعض ما نقول ان أكثر ما قدّمناه ودلّلنا عليه من
تلك الآيات الباهرات ، والمعجزات القاهرات ، التي اشرنا بذرو من
القول ، وبرو من الكلام ، وحثالة من البيان ، الى وجوه اعجازها ،
وعيون بلاغتها . هي من الآيات التي لم يتعرضوا لها ، ولا خاضوا فيها ،

(١) اشارة الى الكتب الثلاثة الجليله في هذا الموضوع الاولان للجرجاني والثالث الباقلائي

ولا اشاروا اليها كآية النور وكثير مما تقدمها وهذا مما يدلك على عظيم الشأن لهذا القرآن ، وانه بحر عجّاج ، متلاطم الامواج ، لا يدرك لجه ، ولا يقطع فجّة ، ولا يسلك نهجّة ، ولا تنفذ لثاليه ، ولا تمدّ معاليه ، ولا تجمع غرره ، ولا تحصى درره ، ولا تنقضي عجايبه ، ولا ترال تشرق لك ولا تغرب عنك غرايبه ، أنى وردت وردت حياضاً ، وأنى اردت ردت رياضاً ، وحيث توجهت وجدت للبلاغة ربيما ، وأنى استقبلت بلوت من الاعجاز امرا بديما ، فانت عن الانتقاد في غنيه ، وعن الارتياح في فسحه ومن الاختيار في خيار ، أخذ منه ما وقع عليه بغتة نظرك ، وما اصابته وهلة يدك ، وهذا واد فسيح ، ومنزل وسيع ، يأتي علينا ولا نأتي عليه ، ولا يسمننا ان نثبت عنده او نقف لديه ، وحيث قد انجر بنا الكلام ، الى ذكر اولئك الاعلام ، من زعماء العربية بل زعماء الاسلام ، فلنكتف من الاطالة بالحواله ، ومن استيفاء الادلة بالارشاد اليهم والدلاله ، فانك تجد من الحجة في كلماتهم مقنعا ، ومن باج الحق لسدفة الباطل مدفعا ، ولتدبر ما به الباقية الى بلاغة القرآن واعجازه مجالا متسعا

ثم بعد هذا كله لا اجد اوسع لي . وارى لي . من الاعتراف والاصحاح بالحقبة التي ينتهي اليها في هذه المباحث كل . وجزر . ومذهب . ومقصر . ومطلب . تلك هي الاذعان بالتصور والعجز عن ضبط انواع اعجازه واحصاء ابواب فصاحته . وحصر عناوين بلاغته . دون ان يسمح على الخطور استيفاء خواص كل آية . ونكات كل كلمة . نعم قد عقد القاضي في « الشفا » فصلا للبحث عن وجوه اعجاز القرآن وجمل تحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه ونحن نستخلص لك صفوة ما ذكر ومصاص . اسطر . بتسوية وتشذيب . وانتخاب وتلطيف . وقد عثرت عليه بعد الفراغ من هذا الجزء . فرأيت يربط كثيرا بكلامنا الآنف فنقلنا منه ما يلي والحناء بهذا المقام قال : (اولها) حسن تأليفه والتزام كالمه وفصاحته وإيجازه وبلاغته الحارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم .

الم يخص به غيرهم من الامم . واوتوا من ذرابة اللسان . مالم يوت انسان .
ومن فصل الخطاب . ما يتيد الالباب . جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقه . وفيهم
غريزة وقوة . منهم البدوي ذو اللفظ الجزل . والقول الفصل . والكلام الفخم .
والطبع الجوهري . والمترع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة . والافاظ
الناصعة . والكلمات الجامعة . والطبع السهل . والتصرف في القول القليل الكلفة .
الكثير الرونق . الرقيق الحاشية . ولكليهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة
والقدح الفالج والمهيج الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك
قيادهم . قدحوا فنونها . واستنبطوا عيونها . فقالوا في الخطير والمهين . وتفننوا
في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر . وتساجلوا في النظم والنثر . فما راعهم
الارسول كريم بكتاب غريز لا ياتي به الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد . احكمت آياته . وفصلت كلماته . تبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه
وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا . واشهر في
الخطابة رجالا . واكثر في السجع والشعر سجالا . واوسع في الغريب واللغة مقالا .
بلغتهم التي بها يتجاوزون ومنازعهم التي عنها يتناضلون . صارخا بهم في كل حين
ومقرعا لهم على رؤوس الملاجمين : ام يقولون افتراء قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من
استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين : وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا
بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا فلم يزل يقرعهم اشد القرع ويوتجهم غاية
التوبيخ ويسفهم احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم .
وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته يخادعون انفسهم بالكذب والتشبيب
والاغراء بالافتراء . وقولهم ان هذا الاسحر يوشر . وسحر مستمر . وافك
افتراء . واساطير الاولين . والمباهة والرضا بالدينه كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة
ما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب . ولا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلمكم تغلبون . وبالادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا .
وقد قال لهم الله (ولن تفعلوا) فما فعلوا ولا قدروا . ومن تعاطى ذلك من
سخفانهم كمسيلمه كشف عواره لجميعهم وسلبه الله ما القوه من فصيح كلامهم وآلا
فلم يخف على اهل الميز انه ليس من نط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل وآوا عنه
مدبرين واتوا مذعنين . من بين مهتد وبين مقتون . وهذا لا سمع الوليد بن المغيرة

من النبي صلوات الله عليه (ان الله يامر بالعدل والاحسان) قال والله ان له حلاوة
وان عليه نطلاوة . وان اسفله لمغدق . وان اعلاه لمشر . وانه ليعلو ولا يعلى عليه .
ولا يقول هذا بشر . وذكر ابو عبيده ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ (فاصدع بها
تومر) فسجد وقال سجدت لفصاحته . وسمع آخر رجلا يقرأ (فلما استياسوا منه
خلصوا نجياً) قال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام . وحكى الاصمعي
انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت اويعد هذا فصاحه بعد
قول الله تعالى (واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه) (الآية) فجمع في آية واحدة
بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين . فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته . غير
مضاف الى غيره . واذت اذا تأملت قوله تعالى (وانكم في القصص حياة) وقوله
(ولو ترى اذ فرغوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب) وقوله (ادفع بالتي هي
احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) وقوله (وقيل يا ارض ابلمي
ماذك وباسم اقلعي) وقوله (فكلاً اخذنا بذنبه) واشباهها من الآي بل اكثر
القرآن . حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف
حروفها . وتلاوهم كلمها . وان تحت كل لفظة منها جملاً كثيراً وفصولاً جمة .
وعلوماً زواجر ملأت الدواوين من بعض ما استفيد منها . وكثرت المقالات في
المستنطبات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف
في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لتأمله من ربط الكلام ببعضه
ببعض والتنام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها . ثم اذا ترددت
قصصه اختلفت العبارات عنها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبها وتناصف
في الحسن وجه مقاباتها . ولا نفور للنفوس من ترديدها . ولا مادة لمعادها

الوجه الثاني

من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب
ومناهج نظمها ونثرها ولم يوجد قبله ولا بعده نظير ولا استطاع احد مماثلة شيء منه
بل حارت فيه عقولهم وتدلّدت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم
من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر وأسمع الوايد بن المغيرة القرآن رق جفاً . ابو جهل
منكراً عليه فقال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول

شيئا من الشعر . واجتمعت قريش قبل حضور الموسم وقالت ان وفود العرب سوف ترد فاجمعوا رايكم في ما تقولون عن محمد ولا يكذب فيه بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن فقال الوليد والله ما هو بكاهن . ما هو بزمنه ولا سيجعه قالوا فنقول مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ووسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه ومبسوطه ومقبوضه قالوا فساخر قال ما هو بساخر ولا نغته ولا عقده قالوا فما نقول قال ما تقولون شيئا من هذا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق به بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه فتفرقوا وجاسوا على السبل يجذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد (ذرني ومن خلقت وحيدا) الى قوله تعالى (انه فكر وقدر) وعلى اي فجز العرب عنه ثابت . واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون مقدورهم وتحديهم بان يأتوا بمثل قاطع . وهو اباع في التعجيز واحرى بالتقريع فما اتوا في ذلك يقال بل صبروا على الجلاء والقتل والصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباء الذنيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا وما منهم الا من جهد جهده واستنفذ ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جاوا في ذلك خبيثة من بنات شفاهم ولا اتوا بنطفة من معين مياهم . مع طول الامد وكثرة العدد . وتظاهر الوالد وما ولد . بل ابلسوا فانبسوا ومنعوا فانه قطعوا

الوجه الثالث ﴿

من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات مما لم يكن فكان كما قال . ووقع كما اخبر كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وقوله تعالى (وهم من بعد غلبهم سيفلون) وقوله (ليظهره على الدين كله) وقوله (وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) وقوله (اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله) فكان جميع هذا كما ذكره تعالى . غلبت الروم فارس في بضع سنين . ودخل الناس في الاسلام افواجا حتى لم يبق في جزيرة العرب موضع لم يدخله الاسلام في حياته صلوات الله عليه . واستخاف الله المؤمنون في الارض ومكن لهم دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال صلوات الله عليه زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك امتي ما زوي لي منها . وقوله تعالى (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وقوله (ان يضرؤكم الا اذى)

وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) فكان كل ذلك . هذامع ما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقاتلهم وكذبهم في حلفهم وتقريرهم على ذلك كقوله تعالى (يقولون في انفسهم اولا يعذبنا الله بما نقول) وقوله (يخفون في انفسهم ما لا يبذلون لك) وقوله (من الذين هادوا يجرئون الكلم عن مواضعه) ونظاير لهذا كثيرة في خصوص شأن اليهود . وابدى ما ودّه المسلمون يوم بدر بقوله تعالى (واذيعذبكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشراكة تكون لكم) وقوله تعالى (انا كفيناك المستهزئين) وهم نفر بمكة كانوا ينفرون عنه الناس ويؤذونه فاهلكهم الله جميعا وقوله (والله يعصمك من الناس) فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك صحيحة معروفة * يقول مؤلف هذه الدعوة . ان الكتاب الكريم والسنة النبوية قد اشتملا على شيء كثير من الاخبار بالغيب صراحة وتلويح او يحسن ان يفرد هذا العنوان بالتأليف ولا سيما اذا ضم الى ذلك الاخبار امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بالملاحم كما في النهج وغيره فانه يجبي . كاكبر كتاب واعظم آية ومعجزة للاسلام فعسى ان ينهض لهذه الصنيعة بعض افاضل المسلمين وربا نذكر كثيرا من ذلك في ثنايا دعوتنا هذه وابتلوا من اجزائها التابمه لهذا الجزء . ان شاء الله نعم وهذه الجهة اعني الاخبار بالغيب وان لم يكن من الاعجاز من جهة بلاغة البيان ولكن جهات الاعجاز لا تنحصر بذلك وان من اعظم ما يعجز البشر ويخرج عن طوق قدرهم الاخبار بوقائع مستقبلهم حيث يكون عن غير علوم . آلية ولا صناعات علمية من كهانة او فراسة او جفر او رمل او ما اشبه ذلك ومن المعلوم ان اخبارات القرآن بالغيب لم يكن شيء منها بهاتيك الصفة . ولا على واحد منها تلك السمة . فاين قواه (وهم من بعد غلبهم سيغلبون) من تسجيعات الكهنة وتهجساتهم وزمائمهم وكذلك الاخبارات الغيبية من الحضرة النبوية وسيتضح بعض ذلك فيما سيجي . ان شاء الله

﴿ الوجه الرابع ﴾

ما انبأ من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا القدماء اخبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلوات الله عليه على وجهه . ويأتي به على نضه . فيعترف العالم منهم بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم . وقد علموا انه صلى الله عليه وآله امي لا يقرأ

ولا يكتب ولا اشتغال بدارسه ولا مثاقبه . ولم يرغب عنهم . ولا جهل حاله احد منهم . وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسألونه صلوات الله عليه فينزل من القرآن ما يتناو عاينهم منه ذكرا كقصص الانبياء . مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانبياء . وبدء اخلق وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدرُوا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موثق آمن بما سيق له من خير ومن شقي حاسد ضل عن القصد ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريرهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سوء الهمم له (ص) وتعنتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار عاومهم ومضمرات كتبهم كسوء الهمم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام وغير ذلك من امورهم اجابهم صلوات الله عليه واله عن كل ذلك بوحى من القرآن وما انكره عليه احد منهم بل اكثرهم صرح بصحة نبوته واعترف بعناده وحسده كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت بعض المباهته قيل له (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فقرع ووبخ ودعا الى احضار امر ممكن فن معترف بما جحدته ومتوافق بياقي على كتابه يده ولم يرد ثرا واحدا منهم اظهر ما هو بخلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا او سقيا من صحفه . قال سبحانه (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تحفون من الكتاب ويعفو عن كثير (الآيتين) انتهى ما اردنا انتخابه الك من الشفاو في الحق انه قد وصف فاحسن . ووصف فائق . وهو وان اطال . ووجد مجال القول ذاسعة فقال . ولكنه دون الوصول الى مقام الحقيقة بكثير

نعم هنا امور ثلاثة يروق التنبيه عليها . ويجدر البحث فيها . ﴿الاول﴾ ان كل ذي نظرة في جمهرة احوال العرب وشؤونهم وار بال نظرة الطفيفة واللحظة الخفيفة يعرف توسعهم في اساليب البيان واستبحارهم في الفصاحة والبلاغة ويعلم ما لذلك عندهم من الشأن وعظيم المزية وعلو الرتبة . نعم قد باغ البيان وحسن المنطق منهم في نفوذ التأثير وامتلاك التبديل والتغيير وتحوير صفات المجتمع او افراده ما لم يبلغه عند امة من الامم ولا شعب من الشعوب . فكان الشعر وحسن البيان عندهم

كانه هو الذي يذل العزيز . ويعز الذليل . ويشجع الجبان . ويسخي البخيل . ويحلّم السفيه ويسفّه الحليم . ويثير رهج الحروب . ويطفئ لهب الخطوب . ويتصرف في انقلوب بها لاتتصرف فيه ابنة الكرم ولا رئيس الغرام . وشواهد ذلك اكثر من ان تحصى او يحيط بها الاستطراد ولو اردنا ان نجمع امثال قصة الاعشى مع المثلث (وبات على النار الندى والمثلث) وقول الآخر

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يساوي بانف الناقة الذنبا
فصاروا يفتخرون بهذا اللقب بعد ان كانوا يروونه سبة عليهم . وقول لبدي في مجلس
النعمان (مهلا ابنت الاعمى لا تاكل معه) في قصة مشهورة وكثير من نسق هذا ونظمه .
لو اردنا جمعه او الخوض فيه لاندفعنا الى اودية فيحاء متسمة الارحاء . لاننا في على
اطرافها ولا نقف على تحومها . وهذا امر لامرية فيه وشهرته تغني عن ذكره . فقد
قام في الجاهلية سوق للشعر كان يباع الرخيص منه باعلى الاثمان وينزل السافل فضلا
عن العالي منه اعز منزلة ومكان . ومن الجلي ان العمل ايا كان صنعة او مهنة او حرفة
او غير ذلك اذا انصرفت اليه الرغبات وتوجه نحوه الطامع وقامت له اسواق ومدت
اليه الاعناق وكثر انفاقه وقل اخفاقه . لاحالة اتسع نطاقه . وامتد رواقه واحكمت
اسبابه وتكاثر الداخلون فيه وتهاجمت الناس على طلبه والاستبجار في استحكامه
والتنوق فيه والتغالب في اشواطه باجادة العمل ولباقة الصنعة ومهارة التفنن فيه والتنوع
منه هذا ناموس من نواميس الخليقة . لا يختص بمصر دون عصر ولا بامة دون امة
ولا بصنعة دون اخرى كما تشهد وترى * اما الشعر فكانه في اخريات عصور الجاهلية
قد بلغ اوج سنامه ونزل في اقصى برج من ارتقائه وكانه وصل الى الغاية التي اوراها
مفسح . ولا لحائل بعدها مسرح وكان البلاغة فيه وقفت على حدودها المقدورة
للشعر . واشرفت على العبور الى ما وراء القوى والقدر . حتى اذا اشرقت في العالم لمعات
هذا القرآن الكريم والفرقان الحكيم سرت في الكون روح من البلاغة
وي كائنها غير تلك الروح . وهب في الوجود روح من البيان .
وي كانه ما كان في الحسبان ولا سنج على خاطر انسان * افصح لك عن طرف من
ذلك واحيل اليك تمام ما احاول من هذه المقايسة والموازنه . ان العرب الذين تعلم
انت احسن العلم بها للبيان والبلاغة عندهم من الشأو والشان والمكانة والرفعة
والزلفى والمنزلة . قد كانت آية فصاحتهم وعنوان بلاغتهم وطراز ديباجتهم وبيت

قصيدهم وقلادة جيدهم . واكبر ما عندهم لمن بعدهم . واحسن ما لديهم للمتطفل عليهم . هي تلك المعاني السبع . التي خرقت كل سمع . وطرقت كل جمع . فكانت كأنجيل بلاغة ذاك الجيل . ومعجز قرآن ذاك القليل . وحقاً انها قد اخذت حظاً من الفصاحة وتبوءت مقاماً من الابداع . تليق ان تعلق به على الواح الخواطر والاسماع . لاوسط البيوت المقدسه والهياكل الشريفة فقط . وانت اذا منحتها النظرة الاولى وجدت لاكثرها رونقاً من حسن . ومسحة من لطف . واكثرها اذا اتبعتها الثانية وامعنت بها تدبراً . ومحضتها اعتباراً . وجدت اسلاكاً وقلايد قد نظمت الدرة والبعره . والذهب والمخشب . والخصى والجنان والخصباء والمرجان . خذ اليك كلمة امرء القيس التي هي طليعة السبع وانظر فيها تجدك بينا تسير في رياض دمه وسهول ملبده وعيون ماء منفجره . واذا بك في حرة سوداء وحجارة خشناء . ووعور تحني بها النياق وتتقطع قبل قطعها اليناط . بينا يمرح في اوابها بامثال قوله

افاطم مهلاً بعض هذا التذلل وان كنت قد ازمنت صرماً فاجملي
اغرك مني ان حبك قاتلي وانك مهماً تأمري القلب يفعل
اذا هو يروح في اوساطها تحت اعباء قوله

فلما اجزنا ساحة الحي وانتهى بنا بطن خبت ذي حقاف عتقل
ثم بينا يقول بعد ذلك

مهففة بيضاء غير مغاضة ترثها مصقولة كالسججل
هصرت بفودي راسها فتايلت علي هضم الكشح رياء المياخل
واذا هو يقول في اواخرها

فاضحى يسح الماء حول كشيقة يكب على الاذقان روح الكنهل او قوله
كان السباع فيه غرقى عيشة بارجائه القصوى انابيش عنصل
ثم استطرف اذا شئت قصيدة (طرفه) وقف على قوله
وفي الحي آحوى ينفض المردشادن مظاهر سمطي لوداه وزبرجد
ثم اندفع في وصف ناقته بامثال قوله

امون كالواح الاران نصاتها على لاحب كانه ظهر درجد (١)

وسار عليها كأنها ينقلع من اوحال او ينحت من جبال . نعم واسرعهم بديده

(١) الاران الثابت العظيم ونصاتها زجرتها والبرجد كساء مخطط

وارقهم ديباجه واملكهم لاعنة الترسل والجري اتنى شام من اودية الكلام وشعاب
القول هو عمرو بن كلثوم الذي يقول في نتاج فكرته وابنة ساعته

وثديا مثل حق العاج رخصا حصانا من اكف اللامسينا

ويقول في حماسها

كان سيوفنا منا ومنهم مخاريق بايدي لاعبيننا

كان ثيابنا منا ومنهم خضبن بارجوان او طلينا

بشبان يرون القتل مجدا وشيب في الحروب مجرينا

برأس من بني جشم بن بكر ندق به السهولة والخرونا

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهليننا

وكُلُّها واكثرها على هذا النمط والاسلوب من القوة والسهولة ورقة الحاشيه وقوة السرد
والنسيج والسلامة من الوحشية والغرابه ولكنه مع كل ذلك ما سلم من ان يقول يصف قناته
اذا عض الثفاف بها اشبأت وولته عشوزنة زبونا (١)

ويقول في حماسها

ونحن الجالسون بذى اراطى تسف الجلة الحور الدرينا (٢)

فان فيه من التعقيد وعدم وفاء اللفظ باداء المعنى مع الغرابه وقلق الالفاظ
مالا يخفى على المراجع • واذا كان هذا حال غرة بلاغة العرب وصحيفة فصاحتهم واقصى
ما عندهم ان بعدهم • فما ظنك بساير اشعارهم ومنشئاتهم من خطب ورسايل وارجيز
وغيرها وما زالوا والبيان الذي هم ارقى الامم به واعرقهم فضلا فيه لا يحول عن تلك
الحال والصفة من السهولة تارة والوعورة اخرى والتعممة مرة والحشونة اخرى فتاتيكم
القطعة الواحدة كانها من عصرين متباعدين او لشاعرين مختلفين في التربة والتربية والترعة
* حتى اذا اسطعت انوار هذا الفرقان الحميد وصدت بالحق كلماته واشرقت على العالم
شموس آياته • نهج الناس منهجا من الفصاحة ما كانوا ليهتدوا اليه ولا ليصيروه ولو
اجهدوا انفسهم دهورا واحقابا • عرف هذا الكتاب الكريم كيف يثبني ان يصاغ
القول وتُسبك الالفاظ وكيف تجعل قوا البا للمعاني لا يزيد شي • منها على الآخر ولا

(١) الثفاف الحديد التي يتقف ويدل بها الرمح والعشوزنة الصلبة والزبون الدافعه ومنه زبانية جهنم

(٢) السف الاكل والجلة الحور الابل الكثيرة الالبان والدرينا النبات الاسود القديم يريد اتنا
حبسنا بذى الاراطى لاعانة قومنا حتى اكلت الابل النبات الاسود القديم

ينقص او يتقلص عنه . القرآن هو الذي علم الناس كيف يبلاغ البيان من التعرّف في
العقول، والتمكن من النفوس والتمالك على الخواطر . القرآن هو الذي علم عبد الحميد .
كيف ينبغي ان يكتب فيجيد . ودفع ابن المقفع الى الطريق المبيع . وصير الجاحظ
اقدركاتب ولا فظ . القرآن هو الذي علم ابن الرومي والحسن بن هاني والي تمام والبحري
ونظرانهم - ان ياتوك بالقصيد والمقاطع - كل واحدة كانها ماوية صقيلة . او
صفيحة عاج . او قطعة ديباج . قد حيكت على نول واحد . او صبّت في قالب
سواء . فلا تجد فيها لفظة عن اخواتها نائية . ولا كلمة عن صفها نافرة . ولا جملة
في موضعها غير جمياه . فكأنها العصب اليابس . او الديباج الحسرواني . متناسب
الحسن . متناسق الصنعة . متوازن العيار . متوازي النجار . ولو سردت لك شيئا
من قصيدهم او مقاطيعهم . لأدلك على باهر الصنعة . وجوهر البلاغة . لحشيت ان
اخرج عن البحث في صناعة معرفة الاعجاز الى صناعة معرفة الشعر - الذي ليس هو من
دعوتنا هذه في شيء - نعم قد عودتك ان أدلك على الطريق . وانهج لك الدرب
وافتح امامك الباب . وادع السلوك لك . والسير بجسب وسعمك اليك . - ينظر
على ذهني الساعة - الابيات الشهيرة التي اعجب بها الشريف المرتضى في اماليه وهي
من حسنات الحسن بن هاني . وقال انها لم تباع العشرين . وقد نسب في اولها
ثم وصف الناقة احسن وصف ثم مدح واقتضى حاجته . كل ذلك بطبع يتدفق .
ورونق يتفرق . وسهولة وجزالة (وكلمتي) غب كلام الشريف : ان كل واحد من
ذوي العلاقات قد نسب وشبّب . ووصف وامدح . وجاء بما يناهز المائة او اكثر
ولكن ضع هذه الاشلاخ الضخمة . والاسناخ الفضة . الى جنب تلك القطعة الصغرى
والجمانة الغراء . وانظر آيةها اقوى على تجريك اريحيتك . وامل في اثاره عواطفك وانارة
مشاعرك . وآيةها اقدر على هزتك ونشاطك . وفرحك وانبساطك . آمن يأتيك بمثل قوله
يادار علة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي الى ان يقول

ماراعني الا حمولة اهلها وسط الديار تسفح الحميم

ام من 'مجتيك' بمثل قوله

يامنة امتهن السكر ما ينقضي مني لها السكر

يشني اليك بها سوائفه رشأ صناعة عينه السحر

فلسفة ادبيه يظهر بها فضل القرآن وحسن صنيعه الى اللغة العربية واقتباس البلاغة منه ١١

ظلت حيا الكاس تبسطنا حتى تهتك بيننا السر

في مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر

الى ان يقول في الناقه

واقعد تجوب بي الفلاة اذا صام النهار وقات العفر

شدنية رعت الحمى فأتت ملء الحبال كلنا قصر

استوقفني هذا التشبيه البديع ، والتمثيل البارع ، والسبك الانيق والمعنى الجزل واللفظ الفحل ، فقلت لله دره ، ألى اهتدى له ومن اين أوحى اليه ، ومن اقتبسه وعن اخذه فان العبسي وان قال في أول معلقته

فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدن لا قضي حاجة المتلوم

ولكن هيهات اين هذا من ذاك ، اين (الفدن) من (القصر) واين (ناقتي) من (شدنية) اين (ملء الحبال) واين (رعت الحمى) وكل هذه مما زاد المعنى فخامه واللفظ حلاوه فصارت كل كلمة تعتق اختيارها وكل جملة ترتبط أشد الربط بما بعدها وكل ترى من التفاوت بين (رعت الحمى فأتت ملء الحبال) وبين قوله (وقفت فيها ناقتي وكأنها فدن) ما أشد الربط بين تينك الجملتين ، وما أشد البتل والقلق بين هاتين وهب ان ابن هاني اخذ تشبيه الناقه بالفدن اي (القصر) من العبسي ولكن من اين اخذ حسن السبك وانتخاب تلك الالفاظ التي على ما فيها من الجزالة والنفاس اخذت بأعنة السهولة والسلاسه ، نعم وبيننا الفكرة في فسحة هذه السامحة ، غادية ورايحه .

اذ بها جس خلف الشفاف . يهتف بي من وراء سجاف تاليان من الوحي الكريم والفرقان العظيم . قوله جل شأنه (وله الجواري المنشآت في البحر كالأعلام) فهذه بالي وانقطع تعجبي وسوء الي . وعلمت انها هي تلك الروح من البلاغة التي بعثها قداسة الانفاس المجدي في الامة العربية . واستأنتها من شرف المذاب الى ريف الوهاد واخرجتها من اشواك القتاد وحسك الغيلان . الى نضرة السرير ونفحة العليان . اذا فللفرقان (أبد الله احكامه) اليد البيضاء والمنة العظمى والصنعة الكبرى على كل ناطق بالاضاد من عربي ومتعرب وهجين وهيجان وحسيه ودخيل ولولاه لكننا الى يومنا هذا كاعجم طمطم . او كالبهم نرعى وسط البلاد حب الخم . بادين نتشقى رأيا القرنفل . بين الدخول والخمول — هذا ما اردنا بيانه من حسن اثر البلاغة القرآنيه وعظيم فضلها وجميل صنيعها على اهل هذا اللسان بما لا ينكره إلا مكابر ، او جاهل

قاصر ، والله المستعان على كليهما وهو ولي التوفيق لها ان شاء الله

❖ الامر الثاني ❖ اننا اثبتنا المتكرم بالنظر الى دعوتنا هذه . قد اكثرتنا عليك من كلمات - اعجاز - فصاحة - بلاغة واحسبك تقول جبدا لو ابدلتنا عن تكرير الفاظها بتفسير معانيها . وشرح حقايقها وملاكاتهما . وانا اريد في موقفي هذا ان الملع الى ذلك ولكني لا اريد ان اسرد عليك مصطلحات اهل المعاني والبيان ومجاذلات التفتازاني وشريف جرجان . ولا اقول لك قال (السكاكي) في مفتاحه والشيرازي في شرحه وفلان في ايضاحه والاخر في تلخيصه (كلا) وان كنت (والفضل لله) اعرف لحنهم واعلم فتنهم وصرفت لجين ما ذهب من ايامي فيه وانا احاول ان نعود في فهم هذه الحروف الى اول عهودها وقبل طرود . هذه الاصطلاحات عليها ومجاذبات الافكار فيها . نريد ان نفهمها كما كان يفهمها اباؤنا العرب الاولون يوم كان العلم غريزة فيهم . وطبعا في صدورهم لا في سطورهم . ككتبهم الفكر ومدرستهم الذكر . واعلم اني ان سلكت من هذا الطريق كان احدي فوايد ذلك اني انتهي بك الى الغايه من اقرب الطرق واسهل المسالك وان تجاوزتها الى غيرها كنت قد اجهدتك ولا اعلم بعد الجهد هل ظفرت بشي . طليل ام لا - اما الاعجاز فلا احسبك بعد الوقوف على جميع ما قدمناه الامتيليا منه مضطلعا بعرفانه واقفا على كنه حقيقته . فاذا اردت الايجاز عن حقيقة الاعجاز . فقل هو الكلام الذي يعجز عامة اهل اللسان عن الاتيان بمثله او الاتيان بما هو من سنخه وعلى طرزه واسلوبه . كهذا الاعجاز المحمدي فانه وراء اعجازه اهل اللسان عن مباراته - ادعهم واعجزهم عن معرفة نزعته وجنسيته فلم يعرفوا (والى الآن) انه من قبيل الشعرا والخطب او الرسايل او الرجز او الهزج او غير ذلك من انواع الكلام وامهات ابوابه نعم ما عرفوا سوى انه خارج عن كل تلك الانواع غير داخل في شي . من هاتيك الابواب . ما اصابوا من حقيقته سوى انهم ما اصابوها . وما عرفوا غير انها غريبة ما عرفوها - فهذا ايجاز الكلام عن الاعجاز . اما الفصاحة فهي سواء في الكلمة او الكلام او المتكلم لا تعدو ان تكون وجها واحدا ومعنى فذا . تلتقي وتجتمع عنده بعد القاء خصوصيات المحال المختلفه والظروف المتغايره ثم اذا رجعنا الى معاجم اللغويين لم نجد الفصاحة اكثر من الابانة والايضاح والكشف وماقارب ذلك من الالفاظ المتفقه المداليل الواضحة المفاهيم التي تعرف الاشياء بمجامعها العام وقدرها المشترك فتحكي الحقيقه من وجه وقغم عنها من وجوه اما كلمات الفصحاء

والبلاغاء عنها فكلُّ يشير الى وجهة . وينظر الى ناحيته . وقلَّ من اصاب الثغرة ودل على النقطة المركزية وانبا عن الحقيقة التي هي حجر الاساس وزيت النباس - والكلام فيها كالكلام في رديفتها وشقيقتها (البلاغة) التي تتحد معها في الجوهر ويقع الميز بينهما ببعض الملاحظات ومما يشجيني ويجزني اني احسُّ لكل من البلاغة والفصاحة معنى احسبه هو تمام حقيقتها وجوهر معناها ولكن لا ابلغ الى قول يكشف بايجاز تمام الكشف عنه ويحكي تمام الحقيقة منه . اريد الفاظ تجسسه للعيان . وتبرزه مشاهدا الى الحس . حتى يهيم السامع ان يمسكه بيده ويقبض عليه بكفه ويحسب آن سماعه باذنه . انه قد نظر اليه بعينه وراه بشخصه . اريد مثل هذه الدوال . والتمس ما يكون بتلك الصفة من الاقوال . نعم وبالاسف اريدها . ولا اجدها . والتمسها ولا احسها . وذلك لاني لم اوهب تلك المنحة . ولم اُدفع الى تلك الفسحة . ولا اوتيت من البلاغة ما استطيع الكشف عنها على تلك الصفة . ولكن نظرا لما قيل (لا تمتنع من بذل القليل فان العدم اقل منه) نبدي كلمتنا الوجيزة في ذلك بلمات ذلك المبلغ الذي زومه من تصوير البلاغة ام لا . كشفت عن تمام الحقيقة ام لا : وانت فتح لك الله كنوز العلم . تعلم انه ليس كل من كشف عن مراده . وابن عما في ضميمه ، ووضح عن كمين مقاصده ، يعد في الناس من ذوي الفصاحة واولي البيان ، ولا كل من بلغ السامع كلاما يشتمل على معنى من المعاني يليق ان ينظم في صف البلاغاء وارباب اللسان ، كاتعلم احسن العلم ان البلاغة والفصاحة ليست من الصفات التي اختصها الله باللسان العربي وحجرتها على ساير الامم ، وخولها لابناء اسماعيل وحرما على ساير ولد آدم (كلا) فانها من المواهب لنوع الانسان ولجميع الامم وان توهم الاختصاص ببعض القاصرين ، ومن ذا يحجل ان لكل امة ولسان نوع من البلاغة والبيان هو في الحقيقة واللّب عين ذلك النوع العام ونفس تلك الصفة السارية وان تعددت الطرق والسبل واختافت الكيفيات والبواعث والمقتضيات ، - الفصاحة والبلاغة بلفك الله امانيك اذا حللتها بما يسخى اليوم بالتحليل الكيماوي لم تجدها سوا ، في فصاحة الكلمة او بلاغة الكلام او التكلم الا تلك الحروف والمقاطع المفوظه او المرسومة التي اذا سمعها اهل ذلك اللسان كشفت لهم عن المراد كشفا يتصرف بناصره المعنى واللفظ معا تصرفا جانيا في البابهم ومشاعرهم بل في كل كيانهم لا اقول تصرف ابنة الراح في الارواح التي تحتجب عندها العقول او تزول

كلّا بل يحدث فيهم سماع تلك الانفاظ هزة وإرجيّة ونشاطاً في العقول ، وخفّة في
الارواح ، وإطفاً في الضمير ، كما يحدث مثل ذلك عند استماع نغمات الاوتار وتناسب
وقع الحان الموسيقى ورنات الثالث والثاني لإرجمي الطبع الخفيف الروح اللطيف
الجوهر (واجلي بياناً) ان الكلام البليغ هو الذي يحدث في ارباب العرفان من اهل
اللسان حالة هي كالتي تحدث فيك عند الفرح والسرور والطرب والنشاط والجدل
والانبساط الكلام البليغ هو الذي يتصرف في الارواح والاجسام تصرفاً روحياً طبيعياً
اريد انه يعمل في الروح وفي الطبيعه وفي العقل والماده كل على حسبه ومن سنخ
ما يليق به ولذلك تجده عند كل امة وفي كل لسان ولكنه ذو عرض عريض ومقامات
اعلمها لا تتناهي كعدم تناهي مراتب تأثيره في النفوس وتصرفه في الالباب والعقول
شدة وضعفاً على حسب حظه من البلاغه وميزاته من معارجها المترافيه وابعادها الساميه وحظّ
المستمع من عرفان ذلك ، ثم لم يبق عندي بعد لزيادة الايضاح عن هذا المعنى ولا استعين
عليه الا بضرب الامثال له وسرد شي من الشواهد عليه ، اي ارجمي الطبع طاهر الذوق
طيب الجوهر صافي اديم النفس صقيل مرآة الفكر يستمع لقوله تعالى (وعباد الرحمن
الذين يمشون على الارض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) شرف سمعك
وبصرك بتلاوة هذه الآيات الى اخر السوره ، اقرأها بتدبر وتدبرها بتفهم وانظر
هل تجد لها اوعه في قلبك ، وروعه في لبك ، وهزة في سوادك ، وفرة في فؤادك
انظر هل تنتفض اعضائك وتحتاج عروقك وتتكهرب بالانتعاش شرايينك ومفاصلك
ثم خذ صعداً في القرآن او صيباً ، وعيناً منه او شملاً ، فرتل شيئاً من سورة يوسف
فان وقع بصرك على قوله تعالى (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب
وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي اكرم مشواي انه لا يفلح الظالمون) او قوله
عز طواه (وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقلن حاش الله ما هذا بشراً ان هذا
الا ملك كريم) او اي آية شئت منها فاستوقف عندها فكرك ، واحضرها قلبك
وليك عساك تبليغ ما اريد بيانه واقصر عنه من معنى البلاغه ثم اذا اردت التوسع
ففتح الكريمتين منك - سمعك وبصرك - جعلها الله الارشين منك - تبعها بالخواصم
اي واحدة شئت منها فاذا جئت الى سورة الاحقاف فقف عند قوله تعالى ﴿ واذا ذكر
اخا عاثر اذا انذر قومهم بالاحقاف وقد خات النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا
الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ حتى تنتهي الى آخر السورة من قوله تعالى

(فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار . بلاغ فهل يُهلك الا القوم الفاسقون) — قف في قراءتها وتريث ولا تستعجل في تلاوتها . وانا واثق لك ببلوغ الغاية ونيل البلغة والظفر بنهايات مبالغ البلاغة هناك تحس ان القول البليغ هو ما يبلغ بك الى الحالة التي تتصرف في كيانك تصرفا طبيعيا وتسري في كل مشاعرك سيرا كهربائيا . الحالة التي تهزك من الارتياح هزة الافراح . وتعمل بك على سلامة من عقلك فعل الراح بالارواح وهذا التصرف والتأثير قد يشتد ويقوى حسب القوابل والقواغل حتى تظهر آثاره على الهيكل المحسوس والاعضاء الظاهرة والبنية المشهودة وهي التي سجد منها ذلك الاعرابي حين سمع قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر واعرض عن الجاهلين) وقال سجدت لفصاحته . نعم بلاغة القرآن هي التي حمت جماعة من جبابرة قريش على السجود له او ما هو بمنزلة من الخضوع كما تواتر عن الوليد بن المغيرة مما تقدم وسيأتي وكما وقع لجبير بن مطعم قال سمعت النبي يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ قوله تعالى (ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون) الى قوله (ام عندهم خزائن ربك ام هم المحيطون) كاد قلبي يطير الى الاسلام وكما يروى عن عتبة بن ربيعة حين جاء النبي ليحاجه فقتل عليه النبي (ص) حم فضلت فلما بلغ قوله تعالى (فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أمسك عتبة بيده على فم النبي (ص) وناشده بالرحم ان يكف . ومثل هذا كثير وليس بغريب ولا عزيز الظاهر . فان كلام البشر قد يحظى بنصيب من البلاغة فيكون له شبه ذلك التأثير وهو الكلام الذي يتلاشى اذا قيس الى كلام الله العظيم تلاشي الذر في اتى الشمس ويتعرق ترق الدخان في عواصف النكباء . لا احسب انه يغيب عن ذاكرتك سجود بعض العرب من عليّة الشعراء عند سماعه قول عدي بن رفاع العاملي

ترجي اغنّ كأن ابرة روقه قلم احاب من الدواة مدادها

وقال للملا الحضور بعد سجوده نجن نعرف عزائم الشعرو مواضع السجود منه معرفتكم امكنة السجود من القرآن ومواضع العزائم منه * هذا النفوذ والتأثير من البلاغة هو الذي منح الشعراء والأدبيين الدالة على الملوك والخلفاء حتى صاروا يجاسون معهم على اسرة ملكهم وينادونهم في اخس مجالسهم ويجاورونهم محاوراة الانسان صديقه والشقيق شقيقه ثم يمجونهم روابي الذهب من القناطير ويرضخون لهم البدر من

الدراهم والدنانير ، ولو ان الملوك انما تصطنع الشعراء وتبلغ بهم تلك المنزلة من
الأكرام والحفاوة لصرف مدحهم والثناء عليهم (وان حب الثناء سجية الانسان)
وبالاخص الملوك . لو كان الشأن هو هذا ليس ألا لكان على الناس نيل تلك الرتب
وبلوغ هاتيك المنزلة ، بأن يجي . المادح ايأ كان فيقول للملك انت شجاع كريم باسل
ملك عظيم عادل ثم لا يدع شيئا من نعوت الثناء والاطراء الا ويتاوها عليه ليحتقب
الأنوف ويحتمر الصروف . كلا . ليس الشأن بذلك وانما بلغ البالغون تلك المراقي
والمراتب بما حووه من البلاغة وحسن البيان وبديع الخطاب ولطائف الأساليب فكانت
المدائح بحسن البيان تهز الملوك هز الكهنة عوالي المران . ويبعثونهم بحسن الاساليب الى الجود
والندى . فينتفضون للعطاء كما انتفض العصفور بلله الندى . ويستلبون منهم اعز الاشياء
عليهم واحبها اليهم قل لي بابيك اي عربي ولو كانت يده من صخر وقلبه من حجر
يسمع فيه قول القايل

من البيض الوجوه بني سنان لو أنك تستضي بهم اضاءوا
هم حلوا من الشرف المعلي ومن شرف العشيرة حيث شاءوا
فلو أن السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء

من ذا يسمعهافي مدحه ولا تتدفق يده ويتشقق للعطاء قلبه وتتفجر بالجلود انامله
بل من ذا ينظر الى تالين الي تمام احمد بن حميد الطوسي بقوله

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة تقوم مقام النصر ان فاته النصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتل عليه القنا السمر
وقد كان فوت الموت سهلا فرده اليه الحفاظ المر والحلق الوعر
فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من دون انخصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج ردائه فلم ينصرف الا واكفائه الاجر
تردى ثياب الموت حمرا فما اتى له الليل الا وهي من سندس خضر

من ذا الذي ينظر الى هذا الشعر ولا يتأثر شعوره ، وتلبض حواسه وتحتلج اسلاك
فؤاده ونياط قلبه ، وفي الحق قول من قال ملامات من رئي بهذا الشعر * اي ذي
ذوق من معين الادآب والعربيه يسمع بعض العرب الاولين اذ يقول

ومما شجاني انها يوم اعرضت تولت ودمع العين في الجفن حابر
فلما اعددت من بعيد بنظرة الي التفات اسلمته المحاجر

او قول البحتري بما يقرب منه

وقفنا والعيون مشغولات يغالب دمعها نظر كليل
نهته ربة الواشين حتى تحير لا يغيض ولا يسهل
او قول القايل من الشعر الخيالي

وقفنا صفوفا في الديار كأنها صحايف ملقاة ونحن سطورها
يقول خليلي والطباء سوانح اهذي التي تهوى فقلت نظيرها
وقد قلت لي ليس في الارض جنة أما هذه فوق الركائب حورها
اراك الحمي قل لي باي وسيلة توسلت حتى قبلتك ثغورها
على رسلكم في الهجر أنا عصابة إذا ظفرت بالحب عف ضميرها

هذه الفرائد وما لا يحصى من امثالها التي هي مجسمة الانسجام والرقه واللاقي تكافأت بها المعاني والالفاظ في السلاسة والسلامة فاتحدت وحدة الارواح مع الاجسام والراح بآء الغمام الذي ينفذ تأثيرها في اعماق القلب ويحرق شغاف الفؤاد - من ذا يسمعها فلا يضع يده على جنبه . يتلسمه هل زال عن موضعه وزحف من مكانه ، من ذا ذاق جرعة من الآداب ولا يرق قلبه او يذوب اذا اصغى لقول العامري

ألست وعدتني ياقلب اني اذا ماتبت عن ليلي تتوب
فها انا تألب عن حب ليلي فالك كلما ذكرت تذوب

هذا هو الشعر الذي تهفو له الضلوع ، ويرف عليه ريحان القلوب كما قال الطائي وكيف ولم يزل المشعروا .

اتعجب من بشار وهو عند المهدي حين انشده اسمايل المعروف (باني العتاهيه) في مدحه

اتته الخلافة منقادة اليه تجرر اذيالها
فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
ولولم تطعمه بنات القلوب لما قبل الله اعمالها

فقال بشار لقائده ويحك انظر هل طار امير المؤمنين من سريره ام لا . هكذا تبلغ البلاغة من النفوس وتعمل في الالباب وتتصرف في العقول والاجسام .

وهذه البلاغة هي التي يستغني بها الكلام عن كل حلية وزينه ، وتنسيق وزخرفته ، فيعود حسنه بذاته ، وصفاءه بجوهره ، ورونقه ببائه ، وبهجته بحقيقته ، ونفاسته بنفسه ، لا بتصنعات البديع ، وتكلف الترصيع والتوشيع ، والجناس والاستخدام

والتورية ومراعاة النظير وتشابه الاطراف وضرايبها من الانواع المصطاح عليها في ذلك الفن التي هي على الاكثر داعية الخطاط الكلام ، وذهاب رونقه وتكدير صفائه وتعكير مائه ، وتشعيت ديباجته ، واقتقاده لتلك الروعة والبهاء ، والاخذ بمجامع القلوب ، نعم (والحق يقال) لا انكر ان من القريض وسائر انواع الكلام ما يحظى بكلام الحسنين ، ويجمع كلتا المزيتين ، فيتضاعف حسنه وتزداد بديعته ، فيكون له حسن القلادة على جيد الحسناء . (وفي عنق الحسناء يستحسن العقد) وهل ينكر اللطاف والبراعة في مثل قول القائل

قلت للاهيف الذي فضح الـ غصن كلام الوشاة لا ينبغي لك

قال قول الوشاة عندي ربح قلت اخشى يا غصن ان تستيلاك

او قول الآخر * وقالوا به من عين الناس نظرة نعم صدقوا عين الحبيب ونظرتي

او قول * قالوا وجسمك يوم البين صفة عسى نعوذ قلت يا اهل الوفا عود (وا)

او مثل * اترك بالهجران حين فتكت في قلبي علمت بما يحزن فتكتني

او نظير * اترى وجودنا ولو بسلامه من لم يزل للحرب لابس لامة

الى ما لا احصيه من امثالها وليس هذا المقام موضع الاكثار منه - ولكن كل ما هو من ذلك القليل فليس حظه من الحسن الا قدر حظه من قلة التكلف وسلامة السبك وقوة السرد وصحة النسيج ، وليس ملاك حسنه لو فتشت عليه واعلمت الدقة فيه وامعنت النظر به هو اشتماله على تلك الزكوة البديعه لاننا نجد لها كثيرا في غير هذا السبك وليس لها هذا الحسن وقد نجد الحسن اعلى منها بكثير في كلام خلى منها ومن كل اخواتها والدوران كما قيل (يقتضي العليّه) ثم . مهما بلغ ذاك النوع من الشعر البديعي مبالغ الحسن ومواقع الاعجاب فاين هو من الشعر الجاري جري ماء السحاب . المسبوك سبك التبر المذاب . على صرافة الطبع وحركة الشعور وتصوير سذاجة الاحساس والوجدان الذي يعمل في النفس تلك الحال التي وصفناها وما كشفناها بتمام حقيقتها

اين ذاك الشعر من مثل قول الحماسي

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا سوى ان يقولوا انني لك عاشق

نعم صدق الواشون انت حبيبة اليّ وان لم تصف منك الخلائق

او مثل قوله واذكر ايام الحمى ثم انشني على كبدي من خشية ان تصدعا

الى تمام الابيات ، اي ضارب من العربية بسهم ، او ذي حظوة منها بنصيب ، يقيس هذا النمط بذاك ، ويساوي في الحكم بينها ، واين التطبع من المطبوع

واللؤلؤ الجمان من المصنوع ٥ اللبيب يجد أن ذاك لا يتجاوز السطوح والاطراف وهذا ينفذ الى اعماق القاب من الشفاف (والغرض الاقصى) والكلمة الاخيره ٥ ان ليس مدار الحسن في الكلام الأعلى البلاغه وليس ملاك البلاغة والبيان الا التناسب والتناسق الذي هو جوهر الحسن والملاحه والجمال في جميع الموجودات في الصور او الاصوات وفي النغمات والايقاعات وفي كل شيء ٥ أما البديع فان انضم الى التناسب ظهر له حسن ليس هو اكثر من التناسب نفسه والا فيزيد الكلام فهاهه وفجاجة وردة وبروده ٥ اذا فالبديع ساقط بآله وليس بالبديع شرف الكلام ٥ وسرطباته وتمايز انواعه ٥ فانه وان كان له حظ ولكننا الملاك والجوهر في غيره ٥ كيف وهذا شيخ الصنائه ابو تمام تراه اذا التزم ان يتنوع في كلامه وينحو الى صنعة البديع انحط في الاكثر وذهب رونق شعره كما تراه في قوله

ايام تدمي عينه تلك الدمى فيها وتقر لبه الاقار

اذ لا صدوق ولا كنود اسماءها كالمعنين ولا نوار نوار

دون ما اذا رفض ذلك وارسل نفسه على سجيته وفكها من اغلال الصنائه وقبورها

كما تراه في قوله ان عهدا لوتعلمان ذميا ان تناما عن ليالي او تنما

كنت ارعى البدور حتى اذا ما فارقتني امسيت ارعى النجوم

الى تمام الابيات بل تمام القصيده التي هي من جوهرات قصائده فراجع نعم وليس كل مصنوع خيره من مطبوع ولا كل بنات الطبيعه ابهج من منشئات الصنائه ٥ بل لكل مقام محتاج تميزه الى ذهن ثاقب وفكرة نافذه وسبر ناقد وعمل طويل ليس بالسهل ولا بالقليل وكان بودي ان استوسع البحث في هذا الموضوع حتى اوقيه حقه بحيث اعيده اجلى من القلق ٥ ولكن الاستطراد لا يفسح لنا باكثر من هذا كيف والقصد المهم بالاصالة غيره

نعم وحسبك تلك الشذرة الصغرى من القول عن البيان والبلاغة ٥ فاننا وان لم نوافها حقهما من التوسعة في الشرح والايضاح والاستبحار في نقل الشواهد والامثال واكتنا لانك اننا على قلة ما استطرده قد خرجنا عن الموضوع وانحرفنا عن الخطه وان هي الا رشحة شط بها القلم وشطح ٥ حين طفي ابح البيان وطفح ٥ ونعود الى سياقه الكلام

الامر الثالث ٥ أما وعزة جلال الله لولا ان هذا المعجز الحمدي والفرقان الأحدي كل معجزاته معجبه وجميع آياته باهره وكل كراماته كبره وعامة عباراته عبر ٥ تحسب كل آية اكبر من اختها وكل معجزة منه اجلى من غيرها ٥ لولا ذلك

لقلت ان اكبر آية وبرهان واعظم معجزة لهذا القرآن المعجزه التي لو تأملها المكابر
لخرس عندها . ولم يستطع انكارها وجحدها . ألا - وهي قوله تعالى ﴿ انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون ﴾ تدبر ايها القارى الكريم ولطف فكرك وانظر في فلسفه
اعمار الأمم وافاتا وحياتها ومماتها ، ونشوها ونموها ثم انقراضها واعطف الفكرة على
اديانها وكتبها المقدسه أنظر كيف اضمحات أسسها وزالت اصولها ، وتلاشت او ايلها بالترجمة
والتبديل والتغيير والتحويل من العبرانيه الى السريانيه الى اليونانيه وهكذا حتى
صارت العوبة للبشر ، وكاد ان لا يبقى من حقايقها الالهية عين ولا اثر ، وصارت كل
امة تصور رها على ما تريد وتطبعها على ما تشاء وتنتشرها على ما تشتهي فتوراة اليهود
غير توراة النصارى والاناجيل قبل قرون غير اناجيل هذه العصور ، ولو اردنا شرح
ذاك على التفصيل لطال بنا الكلام واتسعت معنا الخطه ، ولكن هو على اجماله
مما لا ريب فيه ولا ينكره الا مكابر او قاصر ، اما هذا القرآن فقد وعد الله بحفظه
وكلانته ونصره (والله لا يخلف الميعاد) قد وفى بما وعد وصدق بما ضمن ، حفظ
الله هذا الدين بحفظ القرآن الكريم وحفظ القرآن الكريم بحفظ اللغة العربيه - وانت
اذا امعنت النظر والسبر في تاريخ اللغات لاتجد لغة دامت حياتها وطال عمرها على
اصولها الاولى كطول حياة هذه اللغة لاتجد لغة من اللغات دامت موادها وهياكلها
وتراكيبها اكثر من عشرين قرنا لا يزال في كل عصر وبرهة ملايين من البشر معنيين
بها باحثين فيها ، يرتاحون اليها قايمين بنشر المولى لغات الطائيله والمعاجم الخافله فيها فلم
تعدم انصارا واعوانا حتى من الامم البعيدة اشد البعد عنها المنفصلة بكل الفواصل
منها من الديالة والأتراك والساجوقيه والقرنوية والسامانيه والغولية وغير هؤلاء . من
عناصر شتى وشعوب متباعده كل هؤلاء الدول والملوك ما عتصموا ان عادوا من اكبر
المساعدين والمجاهدين في توطيد دعائم العربيه ومدى رواقها وتوسعة نطاقها وبسط اديها ،
وحفظ قديمها ، وهم على ما كان لهم من بسطة الملك وسعة السلطان ونفوذ الامر
والنهي يرتاحون اليها طبعاء ، ويحملون الناس ونفسهم عليها اختيارا من دون دافع قاهر
ولاشافع قاسر ، اذ بايدىهم ازمة القسر والقهر ، واليههم يرجع النهي والامر . فلم
تعمل فيهم نوايس العصية والجنسية ، ولم تنبض فيهم الثوابض بالميل الى اللغة القومية ،
فصاروا يعافون لغتهم ويهجرون سنتهم ، وينصبغون بصبغة هذه اللغة الكريمة ،
واللهجة القويمه . وعندها تسارى العربي والمستعرب ، والدخيل والاصيل ، والحليف

والصميم . والحديث والقديم . والكل سواء . في المغايرة عليها والحماية لها ، والذنب والدفاع عنها ، وبذل النفس والنفس في نشرها ونصرها وعزتها ومنعتها .
 اترقب في ذلك وانت ترى اكبر الاموالفين والاختصاصيين في نشر العلوم والآداب العربية من صدر الاسلام الى عدة قرون كلهم كأمثال ابي معاذ لهروي وابي حاتم السجستاني وابي علي الفارسي واحمد بن فارس القرويني والصاحب بن عباد الطائفي والخوازمي والهمداني ثم الجوهري والرحمشري والجرجاني والفيروزبادي وخلق كثير لا احصي عدتهم الا بعداً . دع ذوي الموسوعات كالفارابي وابن سينا والغزالي والتغذاني والبيضاوي واما بين ذلك تفوت العد ويقصرونها الحد . قل لي بابيك والشرف . اي لغة صنعت لها العناية هذا الصنع . ولطفت بها هذا اللطف . ومنحتها هذه المنح . وسخرت مستعمراتها لخدمتها هذا التسخير . هذه الامم العادية القدماي اما مك ككها . واللغات نصب سمعك وبصرك جميعها . هذه اليونانية والفارسية التي كانتا مهد العلوم في الغرب والشرق . هذه الهندية والصينية هذه الرومانية والآرامية والقازانية والطورانية والارياية . انظر هل تجد في شي منها المحنة من هذه العظمة والفخامة والعزة والكرامة هل تجد امة اخرى سمت هذا السعي لترويج لغة غيرها . وبذل تلك العناية الباهرة فيها . افليس هذه الجلية الباهرة والقضية الظاهرة . والقصة القاهرة . من معجزات هذا القرآن الكريم والفرقان العظيم اليس هي احدى اعلام نبوته واخباره عن الغيب . اليس هي من اسرار كريمة قوله تعالى ﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا نحن حافظون ﴾ اليس هي الدعوى التي ما انفك صك الليالي والايام وسجل الكون على الملوك دلائل صدقها وشواهد صحتها ويجعلها من اجلى الحقايق الراهنة فتري الغريب والغريب والجنيب والاجنبي يسعى في نشر موضوعاتها ويحتفل بموافاتها فهو عسيف العربية من حيث يدري ولا يدري ، والعالمين عليها من حيث يعلم ولا يعلم ، وكان ذلك من اعظم عنايات الله في دينه واكبر نعمه على عباده . فقد كانت هذه اللغة من اقوى العرى والروابط لحفظ الجامعة الاسلامية بين تلك الامم المختلفة والشعوب المتفرقة والعناصر الشتى وبحفظ تلك الجامعة بلغ الاسلام اوج عزه ونزل في برج ارتقائه . وحل في سماء علانه واعلى سبله . فكانت تجمعهم على تباعد ما بينهم جامعة اللغة والدين وهاتان الجامعتان هما الداعيتان لكل جامعة ووحدة من الاخلاق والآداب والعادات والعبادات وسائر النواميس ادبية ومادية . وبذلك تصبح تلك الاعضاء المتفرقة والاشلاء المتشتته

كجسد واحد يحافظ على كيانه وصحته وسلامته وكل يودي وظيفته على المنفعة المتبادله كاجتماع اللحم والشحم والدم والعظم والعروق والشرابين والغضاريف وصيرورتها شيئا واحدا وانسانا كاملا يحفظ بعنه بعضا ويحامي بعضه عن بعض وينفع بعضه الآخر ويتألم سايره لالم عضو منه . نعم بذلك تصير المتغيرات . مرتبطات والتفرقات مجتمعات فهذا عين وتلك اذن وهذا يد وتلك رجل تحف بقلب واحد اهواؤهم امتقته وآراؤهم اجتمعته تحسبهم شتى وهم جميع . وتحالهم اوزاع وهم سواء على العكس مما هم به اليوم (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) وتظنهم احياء وهم موتى كاعضاء مقطعة واشلاء . موزعة لا رابطة تجمعهم ولا جامعة تربطهم . حتى حل بالمسلمين ما تراه . حل بهم البلاء الذي عيانه اكبر من وصفه ونعيه اكثر من نعته . ولذلك علل واسباب شتى لا اغالي لو قلت اكبرها ساخ اللغة العربية عن جسم الممالك الاسلاميه ونبذها وراءهم ظهريا . حتى انحلت تلك الجامعة . ووهت تلك العقده واصبح ذلك الجسم الواحد مقطوع الاعضاء متبثر العلايق . تركوا اللغة العربية تصرخ الى الله من هجرها وقهرها وتستغيث بالاغيار والاجانب في استجيا . رمقها واستبقاء لمظة من حياتها . وهذه هي النقطة الاساسيه والجوهرة السياسيه التي كان يازم الاهتمام في المحافظة عليها قبل كل شيء . ومن تضييعها تلاشت الممالك الاسلاميه في شرق الارض وغربها . وسرى الداء الى قلبها . نعم اقول ضاع ملك الاسلام . ودانت دوله . بذلك ولا اقول ضاع الاسلام (لا سمح الله) فان الله قد تكفل بحفظه وتعهده بنصره ومها نسيه من شيء . فلا انسى هجوم المغول والتتار على ممالك الاسلام يوم نسفوها نسفا وتركوها قاعا صفصفا ومحقروا آية الدوله العربيه والخلافة الاسلاميه من صحيفه الوجود . ثم ما عتموا واثلك انفسهم ان قامت منهم دول واسعه فيها الخاقان والقهرمان من (سعيد) وخدا (بنده) و (تيمور) وامثال اولئك الثفر من اساطين السلاطين واراكين الملوك ما عتموا ان اصبحوا من اكبر الحماة والسعاة لمد باع الاسلام وتاثيل دوحته وحمايه سرحته فالاسلام دين الله . والله اولى واعلم بحفظ دينه وانما اللوعه والتمعي على المسلمين مخافه ان يهملوا العربيه فيفقد كتاب الله من ايديهم ويتقلص ظل الاسلام عن رؤوسهم ويمد الله سبحانه على بلاد من يشاء من عباده ثم يعود هو لا . المسلمون خولا وممالك ان يسوءهم سوء الخسف ويجرهم مصبرة الحنف . يعود بنو اسماعيل كبني اسرائيل في سلطه من يقتل ابناؤهم ويستحي نساءهم ويملك ارضهم وديارهم ذلك بما كسبت ايديهم وماربك بظلام للعيد

فالى العربية الى العربية ايها المسلمون جميعا . لحفظ العربية حفظ القرآن . وحفظ القرآن حفظ الاسلام . وحفظ الاسلام هو حفظ عزكم ودوام ملككم وبقاء كبرانكم وصورن جامعتكم وحصون منعتكم وسياج شرف استقلالكم . واطار قلاع حياتكم هذه دعوتي لـكم ونصيحتي اليكم ، هذا هو القول . وعلى العزائم بعد الله التوفيق للعمل ان شاء الله (١)

وحيث بلغنا من امر البلاغة والعربية واعجاز القرآن الكريم الى هذا الحد ، فلنختم المقام بشكر من لا ينبغي لغيره الشكر والحمد ، والظن وظن الالمعي قين ، وما هو الظن بل اليقين ، اني قد نخضت لك الزبد ، وخرجت اليك من العهده ، ونصحت لك ما استطعت ، ووصات الرحم من عواطف الاخوة البشريه وما قطعت ولا انقطعت ، وصيرت لك المقول عيانا ، حتى صرت تحسه وجدانا ، ومن يهتدي فانما يهتدي لنفسه ومن اساء فعليها *

نعم هناك نزعات بل نزغات ، ومشتبهات في زي شبهات ، يهتأ بل يازمنا سردها ونقلها ، وعقدها وحلها ، وهي شبهات تجممت من تفاريق كلمات الزنادقه والملحدن ، في كل دين ، المتجمعين من كل شوب واوب قد تلقاها بعض اغبياء باقي الملل بل اغويانهم ووسعوا لها صدرا رحيبا ، وعددوها على الاسلام ولسانه مطاعن وذنوبا ، وتلك الشبهات على انها في ذاتها او هن من نسج العناكب ، واكذب من نار الجباب ، تصدى زعماء الاسلام وعلماء وهم فنشروها هباء . وجعلوها على العدو عفاء ، وافرخوا لها كتباً بالتصنيف ، وحشدوا فيها كل رزين وطفيف ، وايمتنا الاطهار

وانافي هذا الموضوع مقالات طائله ومشتتات . مقمه في الدعوة الى العربية والحث عليها ويان مزاياها ونفعها للمسلمين عامه ماده وادبا ودينا وسياسة . ما كانت الظروف السالفه والاحوال الآلفه تسمح بنشرها على صفحات الصحف واستجلانها على بحالي الكتب والمجلات وعسى الله سبحانه ان يبيها لها وقتا في الحال او المستقبل تستطيع ان تباع الاسماع وتبلى على الابصار وتؤدي خدمتها لابناء جارتها وملتها ان شاء الله

سلام الله عليهم ما بقوا حاجة الى قول قائل ، او طول متناول ، ان لهم في الذب عن الاسلام ، بكل قاطعة الخصام ، اليد البيضاء ، والنعمة العظمى ، والمنة الكبرى التي يعظم ذكرها ، ويجب شكرها ، بلى هم حجج الله في ارضه وسدنة دينه ، ودعائم يقينه ، وحملة براهينه ، وحرسه اسلامه وحفظة نواമيه . هم الحجة والخصام . هم الدين والاسلام ، هم المشاعر العظام ، هم البر ، لكل سقام ، فيامتيقظ الهمة ، وثاقب العزمه ، في نيل المعارف ، ودرك الحقائق ، يا مشتمل الفطنة ، ومتشمع الفطره ، الذي لا يرضى من الكمال بالوقف على حال ، والمكث على مثال ، ماضرك يا هذالو نقدت ولو يسيرا من عمرك ، وانفذت بالسعي ولو قليلا من سويحات دهرك ، في مراجعة ما صحح من اخبارهم ، ومطالعة ما شع من اضواء انوارهم ، اشهد لو فعلت لتشهدن مشهدا عظيما ، ولتقفن منهم (ولهم الكرامه) موقفا كريما ، يغنيك بالشمس عن الشمع ، وبالبحر عن السمك ، فلا تحتاج بعده الى سواه ، واذا ظفرت باهل البيت فباالك بالتعريض على الاطلال ان تلك الشبهات ما هي الا من تشبث الغريق بالحشيش ، والاستبدال عن ظل العرش ضلالا بالعريش ، ان من اقواها مقيسا اليها وان كان في ذاته اوهى واوهن ، واجلى وابين ، هو ما ذكروه من تعداد جملة آيات زعموا تناقض بعضها مع بعض (معاذ الله) وانت هداك الله تعرف على الجملة قبل الخوض فيها وفي جواباتها ضعف هذا القول وخوره ووضوح فساده . انت الرجل المتضلع في البلاغه المرتوي من منهل الفضل حيث صفى ورده واساغه ، مهما شككت في شي ، أفشك في ان جملة من الآيات بل جلها مما ذكرناه وفصلناه او قصرنا عنه ووقفنا دونه لارغبة عنه بل عجزا مما لا مجال فيه حتى لذلك التوهم الفاسد ، والزعم الكاسد ، وانه بالمقام

الذي عرفته ورأيته من الإعجاز في البلاغة . وظهور الآية ، وقيام الحجج
وثبوت المعجزة ، وقطع المأزق ، ثم ليس ذلك كله بكافٍ لك في صحة
النبوة ، والكشف عن الواقع ، وتجلى نفس الأمر ، وبعد ثبوت هذا
الغرض اعني نبوة هذا المتحدثي بهذا الكلام . المعجز النظام ، ووجوب
تصديقه فيما يدعيه من أنه رسول من الله الى خلقه لمكان تلك المعجزة
المفروضة التي وقف العقل عندها ، ولم يجد بداً من الالتزام بلازمها ،
وهو تصديق ربها في دعوى نبوته بل في كل ما يدعيه مما هو دون
الربوبية - لضرورة العقل ببطالانها من الضعيف العاجز المخوق الحادث
الموجود بعد المدم وبمعد هذا فاي مجال لتلك الاعتراضات وزعم التناقضات
ممن ثبتت نبوته ، وفلجت حجته ، وقامت آيته ، وهل لورود ما يوهم
ذلك من سبيل للعقل الا الى الحكم بان المراد به خلاف ظاهره ، ودون
متبادره ، لحكمة معلومة او مجهولة ، وما اكثر ما نجعل ، واقل ما نعمام ،
فلا بد من ان يو، ول احد الكلامين او كلاهما حتى يو، ولا الى التصالح
والتسالم ، ويرتفع ما يظهر بينهما من التضاد والتزام ، وما عجزنا عن تأويله
لو فرض . نرد امره الى الله ونبقية على اجماله ، ونقول عتانا معجز عن حل
عقاله ، ونعتقد على الجملة ان لا تنافي وتهاافت في واقعه وان كنا لانعلم
بتفصيل امره كل ذلك التزاما بما لا يسمنا دفعه من نبوة ذلك النبي الثابت
النبوة بالمعجزة التي لا اجمال فيها ولا اختلال . ولا توهم تناقض ولا تعارض
وانما تلك امور حدثت بعد النبوة ، وقامت بعد قيام المعجزة ، وسببها
ما عرفت فتدبر يا هذا واعتنم فضل الله وفوضه ، هذا كله لو ترك العقل
وحاله ، وخلى وسيلة وبقي ونفسه ، وأرسل وحكمه ، فكيف وقد ساعده
على ذلك رفيقه ، ووافقه شقيقه . وصرح صاحب تلك المعجزة اليه في كلام

نفسه وكلام مرسله ، وملاً الملا مناديا في قوميه ، يا قومي ان في كلامي وكلام مرسلي محكمات فخذوا بها واتبعوها - وفيه متشابهات فلا تتعرضوا لها فلستم المكلفين بها والمعنيين منها ، بل لها اهل من خاصة عباد الله هم اعرف برموزها واسرارها (١) ومما في عباراتها ، فلا تتكلفوها فتضأوا وقد اشرب هذا المعنى واعلن به حتى لا تبقى لاحد حجة ، ولا تقوم له في الضلالة معذره ، وقد اثبت ذلك في قانون شريعته ولسان معجزته منه قوله تعالى طوله (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ . وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ . وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) على الاوجه من العطف لا الاستئناف وتكون الجملة على الحال مثلها في قوله (ولقد امر على اللّهم يسبني) - انظر لطف ما عقب به هذه الآية ايمازا بالغرض ورمزا الى القصد على الوجه الذي شرحناه فيما يازم على المؤمنين من التسليم والتفويض الى الله في المتشابه وان التعرض له والخوض فيه قبل الوصول الى مقام الراسخين مظنة للزيغ والضلالة ، والشك والجهالة . حيث قال جل شأنه عن عباده الراسخين . تمريضا بالجاهلين . (رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) وقد بالغ في بيان ذلك حجة الله البالغة على (ع) في الخطبة المعروفة بخطبة الاشباح حيث يقول في اوائلها . فانظر أيها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفته فانتم به واستضى بنور هدايته وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي (ص) واثمة الهدى اثره فكل علمه الى الله

(١) وهي من قبيل ما كان يسمى به بالشفرة من الاصطلاح الخاص بين الملك وخاصة وزرائه

سبحانه فان ذلك منتهى حق الله عليك واعلم . ان الراسخين في العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام السُّدود المضروبة دون الغيوب الاقرارُ بِجَمَلَةِ ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالمعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً ، انتهى الغرض منها وهي وان كانت ظاهرة في قراءة الوقف ولكن ليس المقصود هنا تحقيق هذه الجهة وانما الغرض ان الشارع وامناه قد اشاروا الى تلك التشابهات ونهوا عن الخوض فيها والتعرض لها وابانوا ان الشريعة بمحكّماتها لا بمتشابهاتها - اما الحكمة والفلسفة في انزال المتشابه وجعله من القرآن المقصود به الافهام والبيان ، فلا احسب ان وجهها الظاهر يستطيع ان يحتجب عنك او يخفى عليك وفيه مقنع لك وكفايه عن تطبُّب الوجوه الخفيه وتكلف الاسرار والرموز التي لست انا اوانت من اهلها ، اَلَسْتَ تعلم ان القرآن لو كان كله ظاهراً مكشوفاً بحيث يستوي في معرفته العالم والجاهل . والعالي والسافل . لبطل التفاضل بين الناس وسقطت المحنة . وماتت الخواطر . وذهب الاحتكاك وقد قيل ان مع الحاجة تقع الفكرة والحيلة . ومع الكفاية يقع المعجز والبلاغة . وقالوا عيب الغنى انه يورث البله وفضيلة الفقر انه يبعث الحيلة . وقال ابن صيفي ما يسرني انني مكفي كل امر الدنيا قيل ولم قال اكره عادة المعجز .

الم تعلمي ان الشواء هو التوى وان بيوت المعاجزين قبور
وما من علم من العلوم الا وفيه ما يتضح ويحل وفيه ما يدق ويشكل
لا يرتقي المتعلم فيها رتبة بعد رتبة حتى يبلغ منتهاه ويدرك اقصاه ولتكون للعالم
فضيلة النظر وحسن الاستخراج ولتقع المشوبة من الله جل شأنه على قدر
العناية ولو كان كل العلوم او كل القرآن شيئاً واحداً لم يكن عالم ولا

متعلم ولا خفي ولا جلي (والاشياء تعرف باضدادها) والخير يعرف بالشر والباطن بالظاهر ولولا ذلك لبطلت الحكمه وتمطت النواميس وكم في كلام الانبياء والحكماء والشعراء من العرب وغيرهم من لطيف معنى وضوء تحت مغلفات من الالفاظ ليجت عنه العالم المقدم . ويقصر عنه البعيد المقدم ويستخرجه النقاب المبرز ولولا ذلك لو قفنت حركة الافكار . وكنتا كالبهايم لانعرف سوى سواد الليل وبياض النهار . فالمتشابهات هي التي سنت لنا شريعة البحث وحركة الفكر حتى بلغت العلوم الى مبالغها اليوم ، ولعلها ما بلغت شيئاً . هذه احدى الحكم في المتشابهات فالتدبرها ، لتعرف ما اكبرها . وعساك تصل الى ما هو ادق منها حكمه واعظم نعمه ولكن الا بذمة الانصاف عندك . وحرمة الحق والحقيقة عليك هل التمسك بتلك الاعتراضات والتشبهات بتلك المزخرفات والخرافات هل الرجوع بعد ذلك كله الى هاتيك التي يُظن انها من المتعارضات وما هي منه وهيئات . الا محض زندقة والحاد . ومباهة وعناد . امّا تعيين المحكم من المتشابه وضابطة كل منهما وميزانه وموارده وآياته فما اكثر ما كتب فيه المسلمون في تفاريق الكتب ومختلفات العلوم من الاصول والكلام والتفسير والحديث والدراية والعربية وغير ذلك اصالة واستطراदा فصولا وابوابا ما قنعوا بجميع ذلك حتى افردوه بالتأليف ووحدوه بالتصنيف فمن جميل ما فيه لعلماء الامامية كتاب المحكم والمتشابه لابن شهر اشوب من علماء القرن الرابع من تلامذة سيدنا الشريف المرتضى كما ان لهذا السيد الشريف رسالة في ذلك ايضا والكثير من امثالهم من الاساطين الاعلام وزعماء الاسلام شكر الله مساعيهم الجميله واياديهم الجميله وبعد هذا فاي رد لك ايها المعارض بها او ايراد عليها واي وجه للاعراض فيها والاستناد

اليها وان انت يا هذا الرجل الذي لا تعرف ولا تعرف . وتعاود الحق ولا تنصف . بل
يايها المعارض المجادل الباطل المتحامل على شريعة الاسلام حملك الله عليها
وهذاك اليها انا قومك بحجتك واقومك عنك اوداء تراضك ومعارضتك واحرار دعواك
مع بيتك ان الذي يضر في جوهر ما نرومه ونحن بصدده من اثبات النبوة المحمدية .
والشريعة الاسلامية بعد تسكنا لها بكتاب الله الكريم واعجازه وبلاغته انما هو احد
امرين لا سواهما من اقوالك واضاليلك . اما انكار اعجازه وادعاء امكان معارضته
وهذا بحث قد فرغنا منه بعد ايضاح سبيله واقامة دلياله . واعطيناك النصفة فيه ودللك
على الحكم في خصومته وارشدناك الى الكتب الموءلفة لبيانه الكفلة ببرهانه وقد
املينا عليك منه حتى خشينا ملالك واشبعنا القول فيه حتى حذرنا استثقالك . فلا
تعد حديثه فاني اخشى ان ينفثق عليك في بيانه من السيل . وياخذك الحرب والويل .
وليس لك بعده الا الامر الثاني . وهو ان تقول نعم هو معجز ولا يمكن لاحد من
العرب فضلا عن غيرهم معارضته . ولكن لا يازم من ذاك صدق المتحدي به في
دعوى رساله زاعماً ان من الممكن ان يوجد شخص له قوة في البلاغه وملكة في
البيان يفوق بها اهل زمانه ومن بعدهم ممن يشاركه في اصل تلك الصنعة . ويساويه
في جوهر تلك الصفة . وان اخص هو . من بينهم لقوة حدسه وشدة فطائته باختراع
شيء . واختلاق امر من عند نفسه ثم ينسبه الى الخالق ترويحاً لامره . وتمهيداً لتنجيح
قصده . وتوصلاً لغرضه . وما اضر في نيته . وما اكثر ما اتفق في العالم من بدء الخلق
الى يومنا من اهتدى الى اختراع شيء . اخص به وامتاز باستكشافه من بين ابناء
جنسه . ومن تلقاء نفسه . علماً او صنعة او آلة او غير ذلك سوى انهم ما اتحدوا به
ولا صادوا اهل زمانهم فيسه ذلك لعدم سنوح غرض خاص لهم يجعلون مخترعهم
سليماً اليه وذريعة لثياله . وعليه فاني دليل في هذا المعجز باصطلاحكم على صحة النبوه
وصدق الدعوه . هذا اقصى ما يحتاج به لك ويذنب به عنك ويجعل سنداً لدعواك
الواهييه . ويوجه به حججك الواهيه . وظني انها وسيلة ما كنت بنفسك لتتهدي اليها
وحيلة ما تكاد بصرف قريحتك لتقف عليها . لفتها لك باقوى ما تحتاج به عن نفسك
ولفتك اليها على حين اقتراحها عن حدسك وان كنت ترمي اليها من بعد وترنو اليها
من وراء ستر وتروم التعبير عنها ولا تحسن وتعنيها ولا تعين . وقد قت عنك بجميع
ذلك لتعلم اني لا آلون لك جهدي . ولا اكتم عنك شيئاً من نصحي . ولا اتخير متوانياً

في التحريم ولا متراحياً في التوخي ولا تأخذني العصبية العمياء في التساوي الآ عن دين الأمهات والآباء ولا اغض الحق لي كان أم علي ولا افوت الانصاف من يدي والله جل شأنه وهو المالك يشهد مني على ذلك . وحيث عقدت لك العقده فاستمع هداك الله مقاتلي في حلها . ان هذا الذي تحملته عنك . وتكلفته لك . لباطل مزخرف وقول مسفسف . لا يلبث على أول هبة للحق أن يعود هباء . وتسي ارضه خلا . قد عقم شكلا . واندفع نقضاً وحلاً . ﴿ اما النقض ﴾ فاني كنت اخشى من ركونك الى شبه الرنادقه وتعويلك عليها . واحذر ان تستميلك وانت غير ثابت القدم فتميل اليها . يا هذا ان هذه المقالة البايده من اركان اصول الملاحده المنكرين لجميع المعجزات . ومطلق النبوات لا تختص بالمعجز الا وحده . من فرقان محمد . (ص) فانا نقض عليك . ونعيد مقاتلك تلك اليك . ونقول لك ان كنت يهوديا او نصرانياً ان من الممكن في حق موسى ان يكون قد اتفق عنده من السحر ما يبطل به سحر السحرة . وفاق واستعمل به على جميع اولئك الجهابذة المهره . فانه زمان شوكة السحر وايام دولته فلعل جميع ما جاء به من المعجزات انواع وضروب من السحر قد اهتدى هو بجمدة فطنته ولطف قريحته لاختراعها ثم حصل له مثل ذلك الغرض الخاص وعلم انهم يعجزون عنها اعدم معرفتهم بطرقها واسبابها فتحدثى بها على السحرة ونسبها الى خالقه ترويحاً لغرضه وتوصلاً لمقاصده ومثل ذلك نقول في عيسى وانه طيب حاذق كبقراط وجالينوس ونظرانهم من مناهزي عصره الذي هو مظهر دولة الطب وايام شوكته فمن الممكن ان يكون قد اهتدى لاختراع فذلك طيبه يبر بها الاكمه والأبرص ويعيد بها روح الحياة الى بدن الميت زمناً قليلاً ثم حصل له ذلك الغرض وقال اني طيب روحاني واب أو كما تزعم النصارى رب جسماني الى غير ذلك من معجزات الانبياء والوسل التي طبقت العالم اشتهاراً . ولم يتسع لأحد الا بالمباهته لها انكاراً . بل ستجدان الامر يتفاقم الى ما هو بالاحال الزم . وبالأعضاء اعظم . من الكفر الفظيع . والقول الشنيع . من انكار الصانع . ومباهته الواقع . اعاذنا الله واياك من كل ذلك ﴿ واما الحل ﴾ فهو اننا قد اشرنا لك فيما سبق من الفصول ورمزنا اليك في اثناء المباحث . ان الخصومة بيننا لا تكاد تقف على حد . ولا تنتهي الى فصل . ولا تصل الى غاية . ولا يبلغ مسرى القول فيها الى نهايه . وهذا هو الشأن في جميع المرافعات والمنازعات فانها لا تنفصل الا بالرجوع الى ثالث محكم .

أو حاكم مسلّم . كذلك الامر بيننا لا ينقضي . ما لم نرفع امر تلك الخصومة ، الى حاكم هو عندنا وعندك مرضي الحكومه . مأمون العثره معلوم النصفه . غير جابر في حكمه . ولا جاهل في علمه . ألا وهو العقل الذي جعله الله تعالى الفيصل الحاكم في اصول الدين والعيار والعيار لامثال تلك الموازين . ولو قلت نعم العقل كما ذكرت هو الفيصل الحاكم . والعالم الوحيد في هذه العوالم . الذي لا ترجع هذه الخصومات الا اليه . ولا تقف الا بين يديه . نعم ولا تصدر بعين اليقين الا عن رأيه . ولا تنقضي في شرعة الانصاف ولا تنفصل الا بفصل قضائه . ولكن كيف لنا واثني . ومن اين يتبها ويتسنى معرفة حكم العقل لنا ولك وكل يدعيه . ويؤمن انه هو الدليل له والمستند وعليه عول واعتمد . كما هو المشاهد المحسوس . في عامة النفوس . اذا جرت في عنان واستبقت في رهان . فقد سقط هذا الحاكم من البين . وظهر انكل راء ما في هذا الميزان من العين . قلنا ما احسن ما خلنت به من الحجة . وابين ما جئت به من النصفه . والطف ما اعتديت اليه من سلوك سبيل المجادلة . نعم يا هذا ان الامر لكما ذكرت . والحال على ما وصفت . ولكن نحسب ان من ابدع العقل قد جهله وابطله من حيث علمه وجعله . وهذه من حيث اعدده . واعدمه من حيث اوجده . وعزله ونكبه من حيث نصره ونصبه . كلا وهيئات . ان له ميزانا لا يحيف . ومعيارا ليس باللطيف . وعلمنا اوضح من ان يحيل . وباباً اوسع من ان يغلق دون احد وايقل . ان عيار حكم العقل ووزانه . وملاكه وكيانه . بمد مراجعة المرء نفسه ووجدانه اذا وقع في مضيق المجادلة . ودفع الى طريق الخصومة والمجاجبه . وغمط فضله . ورد عليه ما حكم به عقله . وذلك هو الانتصار والاستظهار . بما حكم به العقل . من لا يجحد الخصم فضله . ولا ينكر عقله . في امثال ما خاضوا فيه وتدافعوا عليه . فان الاشياء بنظايرها تعرف . وباواصرها تاحق وتوصف . وهل عصارة ما خرفناه عنك من واهن الشبهة وواهي الحجة . الا القول (بالصدفه) حيث تقول عسى ان يكون قد اتفق اوسى من معرفة اسباب للسحر ما لم يثر عليه سجرة عصره . والعيسى من الطب ما خفي على اطباء زمانه . ولمحمد (ص) من البلاغة ما عجز عنه بلغاء قومه . وهل هذا الا كقول من قال ان وجود العالم بالصدفة والبخت والاتفاق لا عن صنع صانع وتبدير واضع . واتقان حكمه . وحصافة حلم . وسعة علم . وهناك قوم على اوليات الدهر وأخرياتهم ممن نتسلم على صحة عقولهم ورجاحة حلولهم . قد انكروا على اولئك اشد الانكار

واستقارهم عن درجة الاعتبار ، وسموهم بالسوفسطائيين ، وامثال كلماتهم ، بالسفسطة
يعنون انهم ينكرون البدايه الاولى ، والعلوم الفطريه ، وانهم يجحدون ضرورة
عقولهم ، ويكايرون غرايز طباعهم ، وجايبات وجدانهم ، وحكم العقلاء ، في كل مقام
او مثله . هو ميزان الرمي في حكم عقله ، وسبيل حقيقته وسقمه ، ومقياس حقيقته على خصمه
وهذا ميزان عادل ، وحكم فاضل ، لا يعيل لسانه ، ولا يعين بيانه ، والخصم ان مال
عليه بالحيف ، فليس له سوى السكوت او السيف ، نعم لا ارتاب في قه من يهتدي
في المناظرات ، الى الاشبه والنظاير واسباب المناسبات ، والى معرفة حكم العقلاء
فيها ، سيما حيث لا تكون من البديهيات ، او ببعض مبادئها ، أما الخلال تلك الشبهه
ووضوح انتكاثها فار كان في الامكان شيء ، هو فوق البديهه بمكان ، كان اياه
ذاك بعد اقل التفات وادنى تأمل ، والا لبطأت الشرايع ، نعم ولا تسع اخرق على
الواقع ، وادنى الى انكار الصانع ، فعلى م تحضه بالشريعه الاسلاميه والملة الحمديه
اجل وهناك شيء آخر ، ان ما ذكرناه من كثرة المخترعين والمبدعين في العلوم والصناعات
لقياس ما ادحضه وقول ما ارفضه واخفضه ، انك لتعلم ما من مخترع من تشير اليه
الا وقد اهتدى الى ما اعجبك اختراعه بمد المثابرة والكفاح ، والغدير والروح ، الأبعد
ان دوخ الاساتيد والمدارس ، وبذل النفس والنفائس ، وتوخى العمال والمعامل ،
والجهاذة والافاضل ، في تلك الحطة التي اخترع فيها ، والجهة التي طال صوته منها
ثم بعد الاختراع عرف سبيله ، وانتضج للناس مأخذه ودليله ، واقتنى به من بعده فجاء
بمثله او زاد على ما عنده ، او صار مساعد له في بعض شؤونه ، وعمله او رفضه في تفاصيله
او جملة ، الى غير ذلك مما قضت لك العاده وشهدت عندك به السيرة ، اما من خصصناهم
بالنبوة ، وامنأبهم لكان المعجزه ، فهم بين ظهوراني امتهم ونصب عيون قومهم ،
وما كان ليخفى عليهم شيء من امرهم ، ولا ليتوارى عنهم خفي احوالهم ، من حين
ترعرعهم الى زمن اكتمالهم ، يجدون ويشهدون انهم ما مارسوا علما ، ولا درسوا
فنأ ، ولا اختلفوا الى معلم ، ولا وقفوا من البشر على موءذب ، سيما في سنخ تلك
المعجزة التي تحدوا اليها ، واعتمدوا في دعوى النبوة عليها ، وهم ما ابتدأوا بالدعوة
ألا قومهم ، ولا خصوا باظهار المعجزات الا بلادهم ، تثبيتا للحجة وقطعا للمماذير
ليكون الغير بتصديقهم املى ، والبعيد اليهم ادنى ، أفتراك سمعت بنبي صادق
الدعوة بدء بغير قومه وظهر في غير اهلهم وقام في غير ابناء جلدته ، من ابراهيم وموسى

ومحمد وعيسى • وغيرهم صلوات الله عليهم جميعا من اولي العزم وغيرهم • ثم ان تلك المعجزات ذهبت بذهابهم • وزالت بزوالهم • ما اثبتت بشأنهم من عامة البشر • ولا احاطت بها جميع القوى والقدر • على كثرة من جاء بعدهم من الخدقة البارعين • واصناف المخترعين ممن يضاد شريعتهم • ويجهدان يبطل دعوتهم • اتراك تجرد من يضرب بعصاه البحر منبجسا • فيشق للعبور فيه طريقا يبسا • الى امثال ذلك مما تغني الشهرة عن ذكره • بعد وضوح امره • فالانبياء حين جاءوا بالمنتفع العادي لن عادته ودأبه ذلك كالذي يشبه السحر وليس به — من القاء العصا للسحرة الاذكياء واحياء الموتى لخدآق الاطباء • وبلاغة القرآن اهرة البلغاء وعرف هو لاد لمكانهم من الصنعة • ومحلهم من اللباقة والفظنة ومزلتهم من المهارة في ممارسة تلك السلعة • ان ما جاء به اولئك النفر ما هو الا من الصنع الذي تعجز عنه قوى البشر ويخرج عن حد العلم الصناعي والتدرب الكسبي • وانه لا محالة مصبوب عن طابع الهي وقاب الهامي • وبعد كل ذلك لم يجدوا ملجأ الا الى التسليم والايمان • والسكون والايقان • او الاصرار على الانكار • من التعامي والخذلان • لا عن حجة ولا برهان • وعليه فلم تجد الانبياء لهم علاجا بسوى السيف فانه احق بالصلاح في الارض وانى للحيث • واحفظ للجامعة وادرك للشروع نعوذ بالله من مرديات الهوى • والعصية العمياء • ولا احسبك مع مساعدة التوفيق ومساعدة العناية • بعد جميع ما توخيناه لك من النصيح وجهدنا فيه لك من البيان • الا وقد وقفت على اعظم الصرفة • عن القول بالصدفة • كما اوضح من جميع ذلك منتهى فساد القول بان اعجاز القرآن ليس هو بحجوهه وذاته بل بالحجز عنه والصرفة دونه • ان ذلك الا راي عازب • وقول كاذب • قول من لم يجعل الله له من معرفة البلاغة حظا • ولا حصل من شرايف حقايقها ومعانيها الاحكامية وافظا فذ ضايقة العجز والجهالة • لجأ الى هذه المقالة • وضل يخبط في امثال هذه الضلالة • ولست ارى لهذه الشبهة صورة صدق ولباس حق • يدعو الى توفر العناية في شأنها وايضاح بطلانها • سيما وكل من غني بهذا الشأن • وتصدى لعلم بلاغة القرآن • قد شنع على هذا القول وبالع في بطلانه واحالته — على ان من نسب اليه ذلك لم ينقل عنه الاستناد الى حجة ولا ضعفه • والتعويل على شبهة ولا سخيطة • وانما هو راي رآه او احتمال ابداه • والسداد عزيز والصواب معوز • الا بتأييد من الله ولطف منه واليه نرغب في ذلك فانه منتهى الرغبة • ومحط نجاح كل حاجه • وهو ارحم الراحمين

فان اشتبه على متأدب قاصر او شاعر او متشاعر او غرّ ناشي او مرمد البصيرة متلاشي، فصاحة القرآن واعجازه وبراعته وإيجازه، وما اشتمل عليه من باهر الصنعة، وعظيم القدره، فما عليك منه انت أيها الفاضل المتدرب في طي هذه المراحل، انما يخبر عن نقصه، انما يدل على عجزه، انما يبين عن جهله، ويصرّح بسخافة فهمه، ويشير الى ركافة عقله، ويومي الى خبوت زنده ويرمي الى نبوت طبعه، وانما قدّمنا الذي قدّمناه لتعرف ان ما ادعينا من معرفة البليغ بعروض القرآن وعجيب نظمه، وبديع تاليفه، امر لا يجوز غيره، ولا يحتمل سواه، ولا يتعدى من دونه، ولا يشبهه على ذي بصيره ولا يخيل عند اخي معرفه، وان هذا امر وان دقّ فله قوم يقبلونه علما، واهل يحيطون به فهما، ويعترفونه اليك ان شئت، ويصورونه لديك ان اردت، والكل عمل رجال، ولكل صنعة ناس، وفي كل فرقة عالم وجاهل ومتوسط، وجميع ما ذكرناه في وجوه اعجازه وبلاغاته على أنه غيض من فيض، وقطرة من بحر، كله ليس من خطتنا، ولا بالذي رسيقت له وجيزتنا، وانما كان من حقنا ان نقول ان آية نبوة نبينا وامّ معجزاته التي بقيت بعده وفاق معجزات الأنبياء قبله، هي اعجاز هذا الكتاب الذي جاء به ثم نحيل تفاصيل وجوه الاعجاز وما تثبت به هذه الدعوى الى الكتب المعنيّة بهذا الشأن. المؤلف على ذلك العنوان. ولكن تدافع ما رايت من ذلك طبعاً فلم استطع له دفعا، وطفح على القلم رشح منه فجرى به وسال ولم املك له منعا، وختم الكلام معك يا ذا الذي ترى انك من الصنف الاول الذي نحن في ايضاح الحق له، واثبات الحجّة عليه بكل ما سردناه من الكلام انك ان كنت ممن هو بالصفة التي وصفناها من معرفة الفصاحات، والتحقق بمجاري البلاغات، فقد يكفيك التأمل، ويفنيك التصور، ويزعك عن

الجماح لجام التدبر ، وان كنت في الصنعة ضعيفا ، وفي المعرفة ناقصا ، ومن هذه الرتبة عاريا ، او مقصرا مقلّا . او زينا اشلا ، او موجعا مرهبا ، لا تفتح عينا ولا تمد رجلا ولا تبسط يدا ، فلا بد لك من التقيد . ولا غنى بك عن التسليم ، وقد قيل ان الناقص في هذه الصنعة كالخارج منها ، والشادي فيها كالباين عنها ، فهو من القصور بالمشابة التي يكون فيها من الصنف الثاني ونحن نريد ان نفتح له بعون الله بابا ، ونقرب عليه امرا ، ونفسح له طريقا كما جهدنا في مثل ذلك لتقسيمه من الصنف الاول ، ونسعى له حتى نأخذه به ونقربه منه بحيث لو تأمله حق تأمله ، وراعاه اتم مراعاته ، لا يمكن ان يستدل به استدلال العالم ، ويستدرك فيه من القول ما يشاء استدراك الناقد ، ان كان ممن يتطلب الحق بكل عزيمته ، ويسمى الى الصدق والصواب بكل جهده ويفر من مضيق العصبية الى فسحة الانصاف بصرافة طبعه ، وسداجة رائه ، والتوفيق والعناية من ورائنا وورائيه ، فاقول لكل من طرأت عليه دعوتي ، وطارت بجناح الخلوص اليه نصيحتي ، من كافة الخلق وعامة البشر ، وكلهم الصنف الثاني اذ الاول في غاية الندرة ، ومنتهى العزّة ، سيما في هذه الأعصار ، الذي هبّت فيه على هشيم العرب والعربية ريح ذات أعصار ، فتركت روضه يبابا ، وارضه خرابا ، وعسى ان يديل الله له بالنصره ، ويعيد له تلك الأسره . فلا تهج داني الدفين ، فقد تكفل الله بنصرة هذا الدين ، (١) ولسانه العربي المبين ، ولتعلمن نبأه بعد حين ،

(١) ينعشي وكل عربي صميم غير اصم ما نستشقه من اجواء (مصر) وارجائها التي تنفج اليوم ومن قبل بذلك التسميم الذي يبشر بانتعاش روح العربية وعود حياتها الى عظامها الرفات التي ازال منذ اكثر من قرن تسعى سعيها المشكور في هذا السبيل من تمهيد السبل ونشر الكتب وفتح المدارس حتى اصبحت اليوم واللسان العربي هو لسان

ان تسجيل الحجّة والبيان على تلك الزمره فيما به عناية العامه ، وكفاية الكافه ، ان نقول لكل واحد منهم صبا الى طلب الصواب ، وآب الى الوقوف على هذا الباب ، يا هذا انك مهما جهات ما الأشياء . فليست بجاهل ان العناية الازليه ، والحكمة الالهيه ، لم تقض بان تكون كل العلوم والصنائع والمعارف والحرف وامثال ذلك عند كل واحد من الناس بل العناية قضت ان يكون الكل عند الكل ولا يخلو الجميع من الجميع لان الجميع عند كل واحد من الجميع ، هذه سنة الله كما ترى في العباد والبلاد منذ بدء العالم ، ومن لدن عهد آدم ، والشرعة والمنهاج في ذلك ان يرجع كل فاقد علم او صنعة او حرفة الى اهل الخبرة فيها . وذوي المهارة بها . حتى يعود من الاختلاف اليهم ، والتمويل في التعلم عليهم ، واحدا منهم او زعيما في الفضل عنهم ، والآ فلا مندوحة له عن التسليم ، ولا مناص له عن التقليد ، فيجعل قولهم الى الواقع طريقا ، وبالاتباع حقيقا ، وان ابي عن هذا وقد فاتته ذاك فقد خرج عن قوانين الفطرة السليمه ، وموازين العقول المستقيمه ، وهذا ثالث الصنفين وهو الذي لا يهتد امره ، ولا يمتنعا عرفانه ونكره ، وليس قصد كلامنا اليه ، ولا تلهفنا عليه فانه قد اختار خطّة الجهل لنفسه ، وابى الامكابرة وجدانه وحسه ، وبعد فامرنا الى الله جل شأنه ، (فانك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء) اما انت يا طالب الحق ، وخاطب الصدق وصادق العزم ، العاجز عن معرفة الاعجاز بنفسك ، القاصر عن الاستطالة اليها بذاتك فلم يبق لك علينا في هذا الشأن من اثبات اعجاز القرآن ، الا ان ننبهك على ما هو بديهي

التعليم في اكثر مدارسها حقا الله مصر واهلها وحيّا العربية وقومها وللمصريين المنّة بذلك على كل ناطق بالاضاد من هذه العصور

عندك حاضر لديك، يعترف لك به كل عالم وجاهل، ودان وفاضل، ولا تجد فيه لك مخالفا، ولا ترى لك عنه صاددا ولا صاوغا، وهو ما اشرنا اليه غير مرة من عجز العرب عن معارضته، واذعان بلغائهم بتناهي بلاغته وانها فوق طوق البشر، واعلى من ان تنالها الفكر، او تدخل في منة احد، او مهنة عدد ذي عدد، وهذا اعني عدم معارضته العرب واعترافهم بالعجز واذعانهم بالقصور امر تشهد به الضرورة والبداهة، والخبر والعيان لم ينقل خلافة، ولم يختلف نقله، مع توفر دواعي العرب كما عرفت على معارضته ومباهته، لتوفر دواعيهم على اسقاطه وحطه، كتوفر دواعي النقلة لو كان على نقله وضبطه، سيما من الملل الخارجة التي لا تزال تتوخى مطاعن هذا الدين، وتتطلبه بالتعمير والتأفين، فانظر كيف باغ الحال في الوضوح والقوة في المقامين، الى حيث لم يبق مجال لأولئك البلغاء من مهرة الكلام وفرسان البيان، الذين هم شرعوا شرايع البلاغة، ورفعوا اعلام الفصاحة وسنوا للناس طرقها، واضاءوا افقها، وسهلوا سبلها، فانهم مع عظيم تلك القوّة، وفسيح هاتيك القدره لم يقتدروا على تعمية الحال، والتكاذب على انفسهم او غيرهم بتافيق ما يباهتون انه يقاربُه او يساويه، او يشبهه او يضاهيه، مع ما كانوا عليه من شدة الخلق والعصية التي هي السبب الوحيد غالبا في غمط الحق وجحوده، او احتجابه عن عين شهوده، كما لم يبق للنقلة، والحفاظ والحمله، مجال لنقل غير الواقع في امره او جعل فرية في شأنه، من مراجعة او مما نعه، او مناقضة او معارضه، بل اتفق النقل باطراف نسبته الثلاث على ما فيه جلاء الشك، وقلاع الشبهة، ووضوح الحجة، فكم في تضاعيف الاخبار، وتفاريق الانقال، ما يشهد لك به اقوى الشهاده ويهجم بك منه الى منتهى العاده، ولعلك سمعت ما عن جماهير

الجاهلية ، وجهابذة قريش ، حيث تألبوا غير مرة وتحزبوا ، وتعاهدوا على المعارضة وتعاقدوا ، حتى اذ ثلثت عليهم بعض آياته وصدعت آذانهم بالحق زبر بيناته ومعجز آياته ، خرُّوا بالافغان على الأذقان وسجدوا ، وعن القيام بوفاة المهد تعدوا ، فنفضوا اليهود ، وصزقوا البنود ، وعزموا على السجود وسجدوا للعزائم ، ولزموا الظعن والضرب ، ورأوا الاستبدال به عن المعارضة ضربة لازم ، وما اسلم منهم في مكة قبل الهجرة من اسلم ، الا باستماع تلك الآيات ، وبما اخذت منهم مأخذها تلك الكلمات ، استخبر الثواريخ والسير ، تخبرك عن مثل اسلام ليلى وعمر بن الخطاب (رض) وامثالهم من اكابر الصحابة قبل الهجرة ممن سمع كلام الله فآمن ، وعرف به الحق فطمأن ، ولقد كان الصادق به صلوات الله عليه يدهش البابهم ، ويذهل عقولهم فتحشو مشاعرهم وتعمى ابصارهم فتارة يزعمون انه شاعر واخرى يقولون كاهن او ساحر وما ذاك الا من تناهي الامر في العظمة وتعالى به الذرابة فهم بين فزعة مدهشة عجباء وروعة منعشة طرباء . او ما اثيرك النظر او ما اوقفتك السير في السير ، او ما تقدم لك ماشاع وانتشر من قول الوليد وهو من كبار قريش وفوحي الحصافة والفصاحة فيهم لقومه بني مخزوم وقد فاضت هذه القصص في كتب التواريخ واستفاضت بانحاء شتى وكيفيات مختلفة وقد اوردها شيخنا العلامة الطبرسي (قدس سره) في مجمع البيان . اجل تفسير للامامية بل لو قلت افضل ما باليد من تفاسير الاسلام لم اكن مبعدا يعرف فاك من نظر فيه واستقصى خبره وقد سردها هو على وجهها وتفاصيلها في ذلك الكتاب ولكن اخترت منها صاحب الكشف الثقة الثبت والجهد البحت قدرا فيه لمحل الحاجة كفايه حيث قال في قوله تعالى (انه فسر) وقد رقتل كيف قدر) الى قوله عز شأنه (ان هذا الا

سحرٌ يُوثِرُ إنَّ هذا الأَقولُ البشريَّ) روي أن الوليد قال لبني مخزوم أما والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الأنس ولا من كلام الجن إنَّ له لحلاوة. وإنَّ عليه لطلاوة. وإنَّ أعلاه لمشر. وإنَّ أسفله لمغدق وإنَّه ليعلو ولا يعلو عليه فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فقمعد إليه حزينا وكلمه بما أحياه فقام فأتاهم فقال ترعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق ويقولون أنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وترعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وترعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله إلا سحرٌ يؤثره عن مسيلمة وعن أهل بابل فارتج النادي فرحاً وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه انتهى . وما عجبني وتمعَّب كل ذي فطانة ونصف الآ من استقامته وأعوجاهه واحتجاجه ولجأه. انظر كيف أبصر الحق ثم تعامى وكيف خاض في الجهل وعاما. فقل له أيها الوليد النرّ. والعازب عن حصافة الفكر. لو كان ثمة شيء من السحر تعلَّمه محمد (ص) من أهل بابل فلم لا تطعمه منهم غيره. ولماذا لم ينكشف لسائر الناس سرُّه. ويظهر لهم كما ظهر لك أمره. وابن كان هذا المجلس السري. والمدرس السحري. الذي تردّد إليه محمد (ص) وحده. وصار فيه نسيج وحده. وهو النور الذي لا تواريه السجوف. والبدر الذي لا يسري إليه السرار والكسوف. قد ضبط كل قومه جميع تنقلاته وأطواره. منذ نعمت الدنيا بالظفر في نعومة أظفاره. ولم لا فرغت قريش إلى أهل بابل في حلّ سحره. وإبطال مكره. وليت شعري مسيلمة هذا هو مسيامة الكذاب النابغ في قومه بما يزعمه قرآنا من مثل قوله

ضفدع بنت ضفدعين نقي ما شئت ان تنقن اعلاك في الماء واسفلك في
 الطين ، وقولاه والطاحنات طحننا والعاجنات عجنا والخازنات خبزنا ، فان
 كان هذا هو الذي عناه فقد رضىنا بالوليد بل بالطفل حكما = وما الغرض
 في نقل كلامه ، بيان ضعف خصامه ، وضعة اوهامه ، واختلال ماتخله ،
 واحالة ماتخله ، بل الغرض بيان اندهاش ليه وانذهال عقله ، وارتباك
 في الخيره ، واشتباك في الشبهه فصار يحيل في كلامه ، ويتناقض في دعاويه
 واحكامه ، حيث وصف محمدا (ص) أولا بالصدق والصيانة ، ثم وصمه
 (معاذ الله) بأعظم الخيانة ، وهو في كل ذلك كقومه غير شاعر بسوء سومه ،
 وحيف حكمه ، وحز حزمه = نعم وكلما ازدادت المعرفة ، واشتدت في
 الشيء المهارة وتقوى الحذق واللباقة ، وجاء الشيء بأهرا في صنعته ،
 فالق في نظائره متعاليا في سموه ونموه ، وخصايصه وتميزه ، اشتد العجب
 به والتبهر ، والاستحسان له والتحير ، فحظ كل امرء من استحسان كل
 شيء ، وعدم استحسانه ، حظه من ادراكه فيه وعرفانه ، ولذا لا تجدد فينا
 عند سماع القرآن شيئا مما ينقل عن عرب الجاهلية اذا سمعوه - على ايماننا به
 وجحودهم له وما ذاك الا للتفاوت في معرفة الكلام وشؤون اساليب
 البلاغة فتفهم هذا الامر الجلي وتنبه له وقصوى الغرض من كلامه ، وشاهد
 آخر في قوله - اعترافه وهو ممن لا ترتاب في انه من اخبر اهل الخبره ، وادري
 ذوي المهارة والدربة ، مدعأبانه ليس من كلام الجن ولا الانس وانه
 ليعلم ولا يعلم عليه ، وهذا هو الحق الذي لا ياتيه الباطل من خلفه ولا
 من بين يديه ، وهو الاعجاز الذي نحن في صدد اثباته لك ايها العاجز عن
 نيله ، المتقاصر عن طوله ، الذي ذكرنا ان وظيفتك الرجوع فيه الى اهل
 الخبره ، والسؤال من ذوي المعرفة ، وحيث ان اقل مايكفيك من ذلك

البينة - وهي تحتاج الى التمدد - فليكن هذا احد الشاهدين عندك ،
والزم فيه حدك ، فان هذا الوليد شيخ من شيوخ هذه الصناعة ، وقد
جبل الله عليها ذوقه وطباعه ، وليس هو من المسلمين حتى تقدح بشهادته او
تتهمه في مقالاته ، كما انه ليس لك حق الجرح والتعديل ، ولا اليك التصديق
والتكذيب ، بل تعمل في ذلك ايضا على اهل الخبرة في الحديث وصياغة
الاخبار ، ونقد الآثار الذين افنوا في ضبطها اعمالهم وصرفوا في جمعها
ليالهم ونهارهم ، وايس من النصف والتكريم ، ولا من ادب الاستفادة والتعلم
ان تسارع الى تكذيبهم ، وانت ما صبت من الطلب والفضل الا صباية من
نصيبهم ، فالتسليم لهم اسلم ، والاستقامة على تصديقهم فيما قام عليه الاعتبار اقوم ،
ثم لم يزل الحال على هذا المنوال من حين نزوله وظهوره ، وانتشار اشعة
نوره ، الى يومك هذا - وابيك ما جاء متملك للبراعه ، متمكن من الصناعة
عين في العريه ، وجيه في الفنون الادبيه ، قايد لكتايب الكتاب ، وحيد
في النظم والنثر وسائر الآداب ، الا وجدته على حسب حظّه من تلك
الخطّة ، وكأله من تلك المنزلة ، مرتقيا في المعرفة باعجازه ، واليقين بمعجزته
واعوازه ، وان كان من الديانة ذو حظّ نزر ، ومن الحق عليه في نظر
شرره ، والكتاب اعزّه الله لا يشتد الا شرفا وظهورا ، ولا يزداد على
مريدي اطفاء نوره الا نورا ، قد امن من معارّة معارضيه ، وعلا على مقارّة
مقارضيه ، - انت لا تعد ولا تعتد من اعلام العربية ومشاهير الكتاب
وزعمائهم بأمثل من ابن المقفع وعبد الحميد وعمرو بن عثمان الجاحظ وامثالهم
من الطبقة الاولى = وكبديع الزمان واخوارزمي والصاحب والصائي
والمسنبي والمعري وامثالهم من الشعراء والادباء في الطبقة الثانية - والذي
يتطرق اليه احتمال المعارضه ، ويقبل الاعتبار ان يتهم على المقابلة افراد

من هو، لا قد قذفوا بالزندقة، واتهموا بسوء العقيدة، وإن كنت غير واثق بتحقيق ذلك فيهم، بل لا اودّ الا ان اثرهم من هذه الوصمة، وابرأهم من تلك التهمة، وقد بحثنا في ذلك على وجهه في كتابنا الموسوم (بمنهني النواني عن الاغاني) الذي هذبنا فيه كتاب ابي الفرج الاصبهاني وذلك عند ترجمة مطيع بن اياس الذي تنأكد في حقه هذه النسبة، وثلتصق به كل الصوق تلك المسبة، ولكن قد اشتهرت عن جملة من اولئك الاعلام كابن المقفع والجاحظ والمتنبى والمعري - اما ابن المقفع فقد ذكر الشيخ الحرّيت القاضي الباقلاني انه رمى بمعارضة القرآن ولم يوجد له شيء في الخارج منه فسئل عن ذلك فقال صنعت ثم قابلته مع القرآن فاستحييت من نفسي ومزقته قبل ان يراه احد (١) واما الجاحظ فكلماته في البيان والتبيين والحيوان تشرم بخلاف ذلك وانه اوجد الناس بمعرفة اعجاز القرآن وخواصه ومزاياه وانه ممن ليس له عن التوحيد بحيد، واما المتنبى الذي شاع واشتهر ادعائه للنبوّه وتحمّديه بمثل القرآن بزعمه من المعجزه، ولكن ذكر (السيف المنبى عن احوال المتنبى) انه لما سئل عن الكلمات المنسوبة اليه في ذلك من مثل قوله، والفلك الدوار، والكوكب السيار، والليل والنهار، الى آخر ما هو معروف عنه من هذه المزخرفات انكرها وقال انها مما قذفني بها اعدائي واني قد تنبأت على الشعراء في المعاني الشعرية لا بادعاء النبوة الالهية فاعتذر بهذا ومثله - نعم الزندقة وضعف

(١) وقال في الشفا حكى ان ابن المقفع وكان افصح وقته طلب ذلك ورامه وشرع فيه فرب بضبي يقرأ وقيل يارض ابلي مائك الآية فرجع وعفى ما عمل وقال ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر - وحكى نظير ذلك عن يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس وانه نظر في سورة الاخلاص فاعتزته خشية ورقه حملته على الانابة والتوبه

العقيدة، ليست منه على ما يظهر من أكثر شعره بعيدة، ولكن هو على
 علاته لم يكن ليخفى عليه وهو بتلك المنزلة من الفصاحة والبلاغة ما للقرآن
 من الشأو البعيد، والشأن المشيد، الذي لا يدرك ولا يلحق ولا يجاري
 ولا يُمارى، ولكن العجب والغرور، يغريان النفس بكل شر من الشرور،
 - وأما المعري وهو أقرب الجميع إلى هذه المعرة، وأكثر من لهجت
 الألسن بأنه لهج بهذه النعرة، وكلماته وأشعاره الصريحة والمشيئة إلى ذلك
 قد فانت حد الشهرة، وقد انصف البخارزي وتوسط في أمره عند ترجمته
 بقوله: ضربه ماله في أنواع الأدب ضريب، حتى قال وقد طال في ظلال
 الإسلام آناؤه، ولكن ربما ترشح بالألحاد آناؤه، وعندنا خبر بصره،
 والله أعلم ببصيرته، والمطلع على سريره، وأنما تحدثت الألسن بأساتبه
 لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن وعنوانه بالفصول والغايات، في
 مجارة السور والآيات، وظهر من نفسه تلك الهوسات كما تجد العير
 الصلابة (كذا) - أقول وقد شاع وتكرر ذكر كتابه هذا في كتب التاريخ
 والأدب ومما نقلوا منه قوله « أقسم بخالق الخيل، والريح الهابة بلبيل،
 بين الشرط ومطالع سهيل، أن الكافر لطويل الويل، وأن العمر لمكفوف
 الذيل، إناق مدارج السيل، وطالع التوبة من قيل، تنج وما أخالك
 بناج » وقد جعل مثل قوله بناج، هو الغاية وما قبله هو الفصل فيورد
 الفصل ثم يختمه بالغاية على روي سائر الحروف الهجائية، يستقبل أنت بهذا
 الكلام ما شئت من الكتاب الكريم من المقامات المشتملة منه على هذه
 المعاني التي أرادها من قسم أكيد، ووعد للكافر ووعد وفناء الدنيا وقصر
 الأعمار، ولزوم السبق والبدار، إلى التقوى والتوبة، قبل وصول النوبة، ثم أنظر
 هل تجد بينهما من النسبة والقياس ولو كنسبة بيت المناكب إلى شم الأهاضب،

أونار الجباحب الى النيرات الثواقب، ثم انظر كيف ضربت على تلك الفصول
 الفهاهة والفجاجة، وكيف اخذت بها البرودة والسياسة، وكيف اضطره
 الأعواز والحاجة الى هذه القوافي السخيفة، مثل قبيل ومكنوف الذيل،
 والريح الهابة بليل، مع ضعف التراكيب، وسوء الأساليب، واختلال
 المباني، واختلال المعاني، وقبح الاستعارة في مكفوف الذيل ومطالعة
 التوبة الى كثير من امثال ذلك، ولكن هذا الذي هو بتلك المثابة من
 الاتهام بضعف الديانة، وسوء البطانة، قد ثاب الى الحق وآب الى الصواب
 ونطق بالصدق وانكشفت عنه العمايه، واتضح له سبل الهدايه، وكفر
 سيئة كفرانه، وتعرض لمهاب عفوالله وغفرانه، فقال في رسالة الغفران
 عند كلامه على الزنادقة والملحدون وشنايعهم، منهم ابن الراوندي الزنديق
 الذي صنّف (التاج) وتعرض فيه للقرآن قال المعري فيه ما نصه: «واما ابن
 الراوندي، فلم يكن الى المصلحة مجهدا. واما تاجه فلا يصلح ان يكون
 نعلا. ولم يجد من عذاب وعلا (اي ملجأ) وهل تاجه الا كما قالت الكاهنة
 أف وتُف، وجورب وخف، ثم اطال في تفنيده الى ان قال: «بئس ما نسب
 الى راوند، فهل قدح في دباوند، انما هتك قميصه، وابان لناظر خيمصه،
 واجمع ملحد ومهتدي، وناكب عن الحجة ومقتدي، ان هذا الكتاب الذي
 جاء به محمد (ص) - كتاب بهر بالاعجاز، ولقي عدوه بالارجاز، ما حذي
 على مثال، ولا اشبه غريب الامثال، ما هو من التقصيد الموزون، ولا
 الرجز من سهل وحزون، ولا شاكل خطابة العرب، ولا سجع الكهانة
 ذوي الأرب، وجاء كالشمس الالامحة، نورا للمسرّة والبايحه، لو فهمه
 الهضّب الراكد لتصدّع، او الوعول المعصمة لراق الفادرة والصدّع (١)

(١) الفادرة: الوعل او الصخرة اعظمه شهته به والصدع حركة من الوعل الشاب القوي

(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) وان الآية او بعض
الآية لتعرض في افصح كلام يقدر عليه المخلوقون فيكون فيه كالمشاهد
المتلالي في جنح غسق ، والزهرة البادية في جدوب ذات نسق ، فتبارك
الله احسن الخالقين ، انتهى - ولو ذهبت الى ان اجري بك هذا المجري ،
واسري فيك على هذا المسرى ، واسرد لك امثال هذه الكلمات ، وانتهى
بك الى امثال هذه الغايات ، لحشيت ان تقول اني اسرفت في القول ،
واطلت بغير طایل ولا طول ، كيف والبيئة قد تمت ، والحجة قد زلت ،
نعم وان كنت للحق طالبا ، وللعناد مجانبا ، وللاحظت ما ذكرناه من كلمات
القوم وفول الرجال ، بضميمة الاعتبار وقرائن الاحوال ، لا جرم يحصل
لك الجزم واليقين ، باعجاز هذا الكتاب المبين ، وانه اعظم من معجزات
عامة النبيين ، كما سيتضح لك مزيد ذلك من كتب ان شاء الله
ولولم يكن من عالم الهي . ومصدر غيبي . لاخل وشيكا ، ولبطل امره سريعا
كما زال وبطل كتاب مسيلمة وغيره من مدعي النبوة ، وانا اعترف لك بان
هذه قرائن واحوال ، لابراهيم واستدلال ، ولكن اوردتها حيث ان
وجه الخطاب اليك ايها العاجز عن معرفة الاعجاز ، والواقف دون الحقيقة
على مجاز المجاز ، وما اكثر من يحصل له بالتقريب من العالم واليقين ،
مالا يحصل له من ترتيب الادلة والبراهين ، الا وان حجة الله جل شأنه
على عباده لا تحتاج الى اكثر من هذا البيان ، ولا تتوقف على ان يقف
المرء على حل جذر الأصم او معرفة العلم الطبيعي وسمع الكيان ، ونحن
نظن انا قد اقمنا الحجة بمعونة الله على كلا الصنفين ، ونصبنا اعلام الحق
للسايرين شاخصة لمرايا العقول برأى العين ، والتوفيق ليس من صنعنا ،
ولا في حيز قدرتنا ، وليكننا نسأل وليه الجواد ان يمن به على عامة العباد

انه الجواد الذي لا ييخل ، الكريم بما يُسأل وما لم يُسأل ، وحيث قد
محضتلك النصيحة ونحضت لك الزبده ، من كل روب وشوب ، وصفت لك
سجال البيان من كل صوب ، فقد صرت حقيقا بان اكف عنك اذيال المقال ،
والف ما نشرته عليك مما قصر منه وطال ، ولكن لا اجدي اقنع لك بهذا
المقدار او يتجلى الامر لديك تجلي الشمس في رابعة النهار ،

يا هذا ان اعظم الآيات وام المعجزات في القرآن الكريم شي . وراء ما ذكرناه من اعجازه
وبلاغته وبديع اسلوبه واشباه ذلك مما مر عليك اقل قليلا ، وبعض قبيله ، ان
اقوى البينات على شي . ان تكون البينة من سنخ الدعوى مثل ذلك انه لو جاء
رجل فادعى الحداقة والمهارة في الطب فطوب ببينة على دعواه ، وآية تدل على
صدق ما انتعله وانتجاه ، فعزم على اثبات صحة ما ادعى واطهار ما جمع ووعى
فتارة يقول ان آية ذلك اني امشي على الماء ، واصعد في الهواء ، وما اشبه ذلك
من خوارق العادات وعجائب الحادثات ثم فعل ذلك فانه لا يشك احد حسب العادة
بصدقه والتعويل على قوله وتسليم النفس الى علاجه واصلاح مزاجه قبل الاطلاع
على حداقته في دعوى طبابته على ان دليله لم يكن من سنخ دعواه ولا من جنس ما عرب
من نفسه وحكاه - وتارة يقول اني اعالج هذا الحيوان الذي قد اشنى . واعافيه
وقد عني من الحياة واستغنى ثم تعدد منه ما اعتده من ذلك ، لمن استدارت به هالة المهالك
وان تلك الآية وان كانت اعجب وارغب . ولكن مثل هذه بالدعوى الصق واليهما
اقرب . بل قد صارت الدعوى بنفسها دليلا على نفسها . وبرهاننا على صدقها وصحتها
ومعجزة نبينا (ص) في هذا الفرقان العزيز . والسجل الوجيز . قد فاق معجزات
جميع الانبياء بهذه الصفة وامتاز بتلك الخاصة . فان صاحب هذه الشريعة اعز الله
به دينه . واعمر بها ارضه . قد جاء الى هذه الامة الضالة التايهه في اودية الجهالة
وسوء الاخلاق ورفض العلوم والحرمان من المعارف فادعى انه صلوات الله عليه رسول
من الله اليهم لاصلاح فاسدهم . وتقويم معوجهم ومنادهم وقال ان معجزتي وآيتي
على صحة ما اقول وصدق ما انتحل هذا الكتاب الذي ارسله معي مرسلي اليكم
وقد اودع فيه قوانين صلاحكم . واسباب نجاحكم . ومواد فلاحكم . فانظروا

فيه تجدوه شاهد صدق على ما اقول . وبينة عادلة لا يسوغ عند العقل عنها العدول . فهل يعذر الانسان نفسه حيث يكون من ذوي الحصافة والرأي الرابع . دون ان ينظر في ذلك الكتاب نظر الفاحص الباحث . لا المتعنت العايش . نظر طالب الضالة وفاقد الداله . ومقتبس الهدى . وملمس الصواب . لا نظر من اعتد . واغتمد . وجد . واجتهد . وايقن بعقد القلب منه قبل الخوض فيه على ضلاله والعايا بالله وبطلانه . وانه من صنع محمد (ص) وزوره حاشا لله وبهتانه . فان الناظر فيه اذا تجرد عن هذه الصفة ثم تدبر في حثه على الاستعداد للدار الآخرة وذم الدنيا والتزهيد فيها ودلالة الناس على معاييبها وغدورها باهلها وسرعة فنائها وزوالها وما اصاب ملوكها والمتألمين فيها والوالهين اليها من النكال والوبال ثم تدبر فيما يحث عليه من الاخلاق الكريمة ورفض الرذائل الذميمة وامره بالمواساة والتحاب والاخوة والتعاطف والتآلف والتراحم وصلة الارحام والكرم والاحسان والتواضع والصدق والامانة الى امثال ذلك من النهي عن الحسد والنفاق والرياء والعجب والبغي والطغيان والظلم والعدوان والكذب والنميمة والكبر والغرور والغيبة والزنا والسرقة واكل المال بالباطل الى كثير من امثالها مما فيه صلاح النفس والنوع والعامة والخاصة وراحة العباد والبلاد واستقامة المعاش والمعاد والنظام الاثم الاكل لكل ملة وفي كل دوله - هذا فيما اشتمل عليه من علم الاخلاق وتهذيب النفس وامادفاعه وحماسه عن التوحيد . ونفي الشريك . وتنزيه الحق وتقديسه . وصفاته الجمالية والجلالية . وسائر ما تحكم به البراهين العقلية التي قضت العادة والضرورة منذ بد . الخليفة باحتياج معرفتها وعلمها الى مزاولته وممارسته . وتدرسه ومدارسه . وقد صب هذا الكتاب الكريم بركايتها على العباد صبا . وبرز دقايقها وحقايقها لالعين المستعدين نصبا . حافلا حاشدا ذلك بذكر تفاصيل وقايع الانبياء . مع أممهم وما بذلوا من الجهد والعناء . وما تحملوا من المشقة والبلاء . وما اصاب قومهم من العقاب والتعقيب . والنكال والتعذيب . على ما اصرروا عليه من العناد والتكذيب . حتى جعلهم لمن بعدهم عبرة . وصيرهم للعبور الى سواحل العظات عبرة . - الى غزير كثير من هذا النظر انظر كيف نزه الله في هذا الكتاب كل واحد من انبيائه ورسله بالتنزيه والتكريم الذي ما نزهته به أمته ولا رعت له رعيته المعترفون بنبوته . الماسكون بشريعته . بل القايلون بأبوت بل بربوبيته . هذا المسيح روح الله على نيتنا وآله وعليه السلام قد ابت الامة المسيحية . الا عن القول بقتله

وصلبه . فراعجبا وكيف لا اعجب . لآله يُعَذَّبُ وَيُصَلَّبُ . ثم يجي . هذا النبي .
الامي العربي . وينزّهه عن ذلك وعن خبيث مقالة اليهود فيه وبهتهم له ولا اله الا الله الصديقة
البتول العذراء . والانسية الحوراء . كل ذلك بلسان الوحي النازل عليه في اسواء بني
اسرائيل ومساويهم . يقول جلّت عظمته ﴿ وَبَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا
عَظِيمًا . وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ
لَهُمْ . وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا
قَتَلُوهُ يَقِينًا . بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ . وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ حسبك فأطو هذا النمط
يا خليلي على عزه . ولا تمارني على كشف حقيقة امره . — وعد تدبر في هذا القرآن
وما اشتمل عليه من تلك الاخلاق الفاضلة والمالكات العادلة والعقايد المحصلة . التي
تحكم بها البراهين العقلية المسجلة . عاطفا بالنظر النافذ في التأمل الى ما في (عبادته)
و(معاملاته) و(سياساته) من المصالح النوعية . وحفظ النواميس الالهية والبشرية
على الوجه الاكمل . والنظام الاتقن . الذي او قامت البشر والشعوب به على حدوده
وموازينه لا وقع فساد في العالم . ولا أريق بعدها بغير الحق قطرة دم من بني آدم
ولكن ياللاسف واللعن على حرماننا من بركاته وهو بين ايدينا . وخلق آفاقنا من
خيراته وهو ملي افواهنا وتراقينا . نعم ومهما ضاق من نوره واحتجب . او صفرّت
القلوب من جبن تعاليه حتى قيل ذهب . فهو بعد غض جديد . مسدد بالتأييد مويد
بالتسديد . محفوظ الآيه . ملحوظ بالعناية . فانه بحمد الله وحسن الطافه وعنايته
بدينه لم تذهب حجته . ولم تبطل دعوته . ولم تضعف عن اتمام حجة الله على عباده
قوته . فلو تدبر التدبر في ذات نفسه . وبينه وبين ربه . ووضع هذا الكتاب
بين يديه . وتفرد في الفكرة والعبرة وتأمل في تفاصيل ما اجملناه على النحو الذي
ذكرناه . ومن الباب الذي فتحناه . والتفت الى سائر الخواص والمزايا التي يفيضها
جلّ لطفه على عبده اذا وجد منه حسن الذية وصدق العزيمة في طاب الحق وتجلي له
جامعية القرآن على ايجازه لتسع هاتيك العلوم ومنفسح تلك المعارف . وجد هناك
ما قدمناه من ذكر الآية التي هي اعظم الآيات وام المعجزات . هي البيئة التي تدل
وتثبت ان تلك الدعوى صادقة بنفسها . صحيحة بجوهرها . لا تحتاج الى مصدق
من سوا ذاتها . فانك بعد تلك الملاحظات والطاعات كلها وعلى وجهها . لا تجد
. هجوم الجزم واليقين على قلبك وخيالك في ان محمدا صلى الله عليه صادق في

دعواه انه رسول من الله — وما الرسالة التي ادعاهها سلام الله عليه الا تبليغ هذه الاحكام والنواميس المودعة في هذا الكتاب الذي جاء به — واحسن مصدق لهذه الدعوى النظر في نفسها ، والتأمل فيها بذاتها وهذا امروراء اعجاز مبانيه ، وبلاغة تراكيبه ، وفصاحة اساليبه مما بهر العقول ، وطاشت له الابواب ، مما تحقق لديك ولا اظنك ، وعرفته على وجهه ولا احسبك ، لكن تلك البيئة التي اوغرنا اليها ، وعوّلنا عليها ، هي للعقول النافذة ابهر ، وللآراء الخفيفة املك وعليها اقدر ، وهي اذلّ على خروج عن القوى البشرية والتنسيقات الفكرية ، وتحقيق ذلك على اكل وجوهه يحتاج الى افراد موضوع نبحث فيه عن كل حكم حكم من مشروعات هذا الكتاب الباهر وبيان ما في كل واحد من احكام اصوله وفروعه وعباداته ومعاملاته ومناكحاته وجزائياته واشتملت عليه من الحكم والمصالح ، ودفع المضار والمقايح ، وما فيها من حياة روح التمدن واستكمال سياسة المدن ، مما اجملت لك ذكره ، واحلت الى فطانتك شرحه ونشره ، وهو موضوع يرتفع به الثقاب عن محيّا شرف الانسانيه . ويضع موازين القسط في العباد والبلاد ارفع العوايد العدوانيّه . وقد ألّفوا فيه وما وقّوا ، وصنّفوا به وما صنّفوا . ونحن نشكر اكل سعيه . ونسأله ان يجزل لكل واحد منهم جزاءه وبرّه . واعمل العناية بعد هذا التسعف بالتوفيق لانشاء موضوع ووضع مشروع وافد بذلك الغرض وتلك البغية على ما ينبغي ان شاء الله

﴿ توطئة وتمهيد ﴾

انت • عافاك الله واصلاحك • تعلم كيف نشبت الوغى • وشبت لظى الحرب • واضطكت الركب • وثار الغبار • وحمي الوطيس • واشتد الجلال والجدال • واحتدم النزوع والنزاع بين المسلمين والمسيحيين منذ عشرة قرون او اكثر — لا اريد تلك الحروب الدموية • التي تعرف بالصليبية • تلك الحروب التي اصبحت احدى اوبئة البشر • ومن اكبر بليّات هذا الخلق الضعيف ومبيداته • فهي اقداسة الصليب وقرايين هيكله في البرهة بعد البرهة والفترة غبّ الفترة لا تزال تروي الارض من دم الانسان كئماً ظلمات • وتقطعها الربوات من حورمه كئماً سغبّت • كان ذلك تحقيقاً لقول ذلك الوديع (ما جئت لآلقي سلاماً بل سيقاً) — لا اعني هذه الحروب والمجازر على مذابح الاديان — تلك المذابيح التي يدفع اليها الجشع باسم الدين (كلاً) وأغما

او عز الى تلك الحروب الجذليه في ميادين البحث والمناظرة ومساجلات النقود والردود التي اُتسمت فيها الخطة وتفاقت بها الدائرة . حتى خرجت عن آداب البحث والمناظرة وصار أكثر ما عند احد الفريقين او كليهما واكبر ما لديهم من العدة هتك حرمت الادب . وخرق النواميس بالبذاءة والدناءة ، والنز والشتيمة ، وصارت الاديان المقدسة هدفا لسهام الجهل ومرمي لنبال الخور والطيش واصبح عقلاء الفريقين بين سفاهتهم من الا متعاض لذلك على حد قواه

وجرم جرء سفها . قوم فحل بغير جانيه العذاب

الآباء . يا كلون . . والابناء . يضرسون - لا ازيدك علما بهذه الشؤون الاجتماعية وما جرأت من الولايات والبلديات على اهل الوطن الواحد واللغة الواحدة وسائر الوحدات الجامعة سوى واحدة منها وهي لا تنسح لابنائها قطع كل تلك الصلات والروابط . وفصم كل هاتيك العرى والعلايق . كل هذا مما تعلم به انت احسن العلم ولا يزال برأى منك ومسمع - انما الذي اريد بيانه وتوطيده امام ماسيلي من المباحث - هو اني - وحسي شهادة ربي - منذ افتتحت دعوتي هذه . ودخلت في مشروعى هذا . كنت قد عقدت النية وصممت العزيمة . على ان لا اتجاوز حدود المحاماة عن ديني . ولا اتعدى عن النظر في تعضيد بنات عقائدي بمقول البراهين ومقبول الأدلة ، واخذت على نفسي ان لا اهتك ستر من الاستار . ولا اخدش عاطفة من العواطف . ولا امس حجابا من الحجب ، ولا اضع قدمي في حريم من الحرمات . وانما ابث دعوتي الى ما قادني اليه البرهان من عقيدتي ، من دون مصادرة غيرها او مصادمة ما سواها . بل وبالحلاف اسمى جهدي في الوفاق والوئام وتوحيد كلمة الأمم الموحدة وتقريب ما بينهم ما امكن ودعوتهم الى كلمة سواء بيننا . ان لا نعبد الا الله ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا - وكنت وراء ذلك كالمستيقن ان الجهل وايسام دولة الانتصار بالافتراء والبهتان وتمجسات الهمجيه . قد خفت وطأتها ، ولقت ألويتها ، وانقضت عصورها . وتبدلت بالانتصار بالانصاف ، والاخذ بالحقائق وشهادة الباحثين والكتّاب بالصدق . لهم كان الصدق ام عليهم . كنت احسب انه قد ماتت تلك العصور التي كنت تحي بها تلك الخرافات والاباطيل التي يصورها (ريشار) في اناشيده . (رولان) في اقاصيصه يوم كانوا هؤلاء وآلاف امثالهم من حملة عروش الافك ومجسمة آلهة البغضاء في نفوس امهم الساذجه . يوم كانوا يحولون المسيحيين وعامة الغربيين ان (محمد) الذي

يسجد لذكره المجد والشرف • كان يدعو الناس لعبادته في صورة وثن من ذهب وان المسلمين يعبدون الاوثان ولهم آلهة ثلاثة • اكبرها او احدها (ما هو ميد) يعني محمدا (ص) وكان (ريشار) يبدع ويغرب في اوصاف ذلك الصنم فكان يصوره مجوفاً يرى باطنه من ظاهره وفي جوفه غفريت استحضره السحرة وصار ينط ويهرب ثم اخذ يتكلم للمسلمين • الى كثير من امثال ذلك مما نقل جملة منه (الكونت هنري) الفرنساوي حتى قال ولو اردت الاطلاع على جعبة الشتائم والسباب فعليك بكتاب آله بعض اليسوعيين وهو (پروشار) وسماه مرشد السياحه واورد في (خواطره) منه ومن اضرا به واترا به نبذا في شتم المسلمين وسبابهم وسرد من الافتراءات عليهم والالصاقات بهم ما لا يستطيع قلم الثقل من الخجل ان يأتي بالقليل منه فضلا عن الكثير • نعم كنا نقول ان هذه الادخنة المتكاثفة في اجواء الجهل • الحايلة بين انوار الحقيقة وبصر العقل • قد غرقت وتلاشت بفضل انتشار العلوم • ورجاحة العلوم • وسجاجة العقول وتقلص ظل العصبية • والتطامن للحقايق اينما كانت وكيفما وجدت • وصرنا في غنى عن مخاضة هذه اللُجج • وتعديل ذلك العوج • وكُفينا بحمد الله مؤونة ايضاح الواضح وتحصيل الحاصل والدلالة على بياض النهار ونور الشمس وسواد الليل • وقلنا ان باب السباب في المناظرات قد أغلق • ووثن القرية في ميادين البحث قد ذرت رماده في الهواء بعد ان أحرق • وان المؤلفات والكتب قد دبَّت فيها نسمة حيَّة وروحٌ جديده • ألا وهي روح الانصاف والتساهل • وحفظ الادب والاعتدال • ورعاية الحرمات لكل بحسبه • ولو من الفريق المخاصم والطرف المشاغب • وعلى هذا المنهج اللاحب والطريق الجدد كنت احرص ان اطبق سيري في دعوتي هذه وارجو ان لا اكون قد تجاوزت تلك الشريعة الادبيه • والمحنة الاخلاقية • من بدء دعوتي الى مقامي هذا • وكنت عازم السير عليها الى غاية الغرض من هذه الدعوه ولكن من عجب الصدف وغريب الاتفاق • ان رُفِع اليّ انا في ايملاء هذه المباحث اعني مباحث اعجاز القرآن - كتابٌ ما خطر اسمه على سمعي ولا مرَّ سواده على بصري • رُفِع اليّ عفوا • ودفع اليّ صدفة واتفاقا • فلما افتتحته ونظرت فيه وجدته كتاب من ختم الله على سمعه وبصره • وطبع على قلبه وعقله • قد سماه باسم (الهدايه) تسمية الشيء باسم ضده • كما يسمّى الزنجي بكافور (او مثل ما سمي اللديغ سليما) - تناولته واسمتُ سرح اللعظ في سواده • وطويت وجهين من وجوه

صفحاته * فوجدته مرعى وببلا * وداء دخيلا * قد سُجن بثل تلك النصايق * واخذاد الحقايق * اقوى عدته التمسك بالاحاديث الضعاف المعالوم حالها عند عامة المسلمين بالاجعل والوضع * وقد تجاوز اليقين في امرها من الشك الى القطع * نعم ولم يكفه ذلك حتى هتك في ذلك الكتاب حرمة كل ادب * وذمة كل ناموس * ونال من قداسة الحضرة النبويه * والفرقان الحكيم ماشاء وشاءت له الفوايه وما امتدت له اسباب الاهمال وحب الالامهال * ولا يشك الناظر فيه على غرة - انه من الموفيات في القرون الاولى تلك القرون التي يسءونها بالعصور المظلمه (وما هي اعمر الله باشد ظلمة منها اليوم) نظرت في بعض ذلك الجز الذي هو احدى اربعة اجزاء فتسمرت جرة الاسى بل الاسف في قوا ادي وطفقت والحالم والاناة يقعدني * والغيرة للحق والدفاع عنه تقيمني * فكنت بين المقيم والمقعد والريح والمجدوبين انا في آذي ذلك الترددين المضي في دعوتي او العدول الى تنفيذ تلك الضلالة * اذ نعي الي ان بعض اخواني الافاضل بل وبعض مشايخنا الاماثل قد نهضوا لدفع تلك الرزية * وحكموا قضاة اقلامهم بتلك القضية * وانا جدد عليهم بما لهم من الكفاة وانهم في مثلها هم المرجع والمبااه * فطابت نفسي وقرت عيني (ثم استمر مريري وارعى الوسن) وذهبت في دعوتي على شاكلي واسكن لغريب تلك المصادفة ووقع ذلك الجز من تلك الضلالة الي وانا في مباحث القرآن احبت ان افتح هنا بابا لخصوص المقايسة بين هذا القرآن الحكيم * وبين العهدين الحديث والقديم * لننظر ما مقامها منه وما نسبتها اليه * زيد ان ننظر ايها اليق ان يكون من المقام الالهى * والصقع الربوي * ومن الانسب منها بحكم العقل والاعتبار ان يكون صادرا من حضرة الحق ومقامه الاسمى واسمائه الحسنى وصفاته المتعاليه * نعم سوف نبعث في ذلك بعض البحث لاقامه * ولكن الغرض من هذا التمهيد وهذه التوطئة * دفع الموجددة وتقديم المعذره * اذ ربما يجمع القلم فينفث ما لا يروق للكرام الافاضل واهل الادب والحوارات من المسيحيين * من رعاة الذمم * وحفظة الأدب وذوي الحصافة والحصانه * والفضل والمكانه * اوربما تسوء بعض كلماتنا بعض المصلحين من الفريقين ولكن وصيتي الى من يجد في نفسه موجددة من ذلك علي ان يبادر على الفور الى ذلك الكتاب (الضلالة) وينظر ولو يسيرا منه فأنني على ثقة ان ستبدل تلك الموجددة علي بالحمده وتلك السيئة بالحسنه * ويستبين اننا معاشر المسلمين في الاكثر انبي اقلاما. واطهر لسانا واعف ضميرا واملك بالعفو عند المقدرة واممكن

بالكرم عند الظفر * تجد كتابنا المقدس وسائر المسلمين يرفعون بشأن المسيح الى اعلى عروش المجد والكرامه ، والتزويه والتقديس يضعون المسيح مواضع الصلوات والتسبيح ، والتمجيد والتحميد ، فيجي . ازاء ذلك صاحب كتاب (الضلاله) فيروم ان يضع في قداسة رسول الله (محمد) الذي تنحني لذكره سواقي المجد والعظمه ، يجهد ان يضع ذلك الوغد في حريم قدس ذلك الجوهر الالهي والنور المللكوتي . يضع فيه مماذ الله كل ما يرشح به ظرفه ويحتمله انالوه ويليق له جوهره ويتسع له عقله (وما اقل ما يسع) يريد ان يشتهي بالشتيم والسباب ، والزور والبهتان ، والفريه والافتحار ، كأننا يطلبه بتره او يستشير منه بشار . كأنه يستشير من المسلمين ما صنع او ايل اليهود بالمسيح ويكافئهم بمقالاتهم في أمه البتول العذراء عليها وعلى ابنها غواذي التحيه وروايح التسليم كأن المسلمين هم الذين قالوا فيها ما قيل من ذلك البهتان العظيم والافك القديم فجاء صاحب الضلالة يقابل الكذب بالكذب ويكافي الافك بالافك فيجعل المسلمين سبابة المتندم . وغمد السيف للباسل المتقدم . وأحر بصاحب الضلاله ان يجهل تلك الجهاله ، فازنا وجدنا الهراعر بمواضع الخزم ومظان الأدب منه في اخفاء نفسه واظهار كتابه ، على اننا لو اردنا ان نجري في مثل الذي جرى فيه ، لكايلائنا بالمد صاعا ، وقايسنا بالشبر ذراعا ، وبالأصبع باعا ، ولعرفناه (كيف مجامر الكرام) (١) وكيف واقع السهام ، وأينا اسم سهما واوجع كلاما وكلاما ، وانكأ جرحا واقعد صولا ، واقوى قولاً ، واقدر على السباب والشتيمة ، والاغاضة والمضيعة ، ولكن يأبى الله والكرم لنا ذلك ، يأبى الله لنا ان نجهل فوق جهل الجاهلين ، ولو جهلوا علينا ، وان نعاف الاحسان والصيانه ، ولو أسى . اينا . فان في الجشمة مندوحة ، وفي الحق مفسح ،

احب مكارم الاخلاق جهدي واكره ان اعيب وان اعابا

واصفح عن سباب الناس حلما وشر الناس من يهوى السبابا

ولا سيما وحري بكل مسلم ان لا يتعدى ادب الله ورسوله وكتابه الكريم حيث يقول جل شأنه من قائل (ادفع بالتي هي احسن) (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن) جدير بنا ان نخالم ونجعل الحلم والصفح عن كشف عورات غيرنا صدقة عن روحانية نبينا صلوات الله عليه فاننا نعلم ان ذاك احب اليه - وبذلك اضمد

(١) مثل من امثال العرب وله قصة مذكورة في كتب الامثال

جرحي واجبر كسري واقول لرسول الله صلوات الله عليه
لقد صبرت على المكروه اسمعه من معشر فيك لولا انت ما نطقوا
وفيك داريت قوماً لا خلاق لهم لولاك ما كنت ادري انهم خلّقوا
وحسب صدري هذه النفثة . ولنعد الى القصد من المقايسة بين هذا القرآن الكريم
والعهدين الحديث والقديم ونبين انه ما هو وسائر الكتب المنزلة من السماء بسواء
ونحتفظ بالسير على خطة الادب وضمن دائرة التكريم ما يمكن . والله . والكلام
من عباده ، لا يؤخذوننا بزلة القلم ، وعثرة الانامل فانها والله هو الشهيد على غير
عمد منا ولا ارادة وبالله المستعان ومنه التسيّد والتوفيق
ان شئت مزيد وضوح لظهور شرف هذا القانون الاسلامي والكتاب الالهامي والفرقان
المعصدي وارتقاء نولميسه وامتيازها على قاطبة قوانين سائر الملل والديانات وكل
كتبهم التي يزعمون انها سماوية بحيث تستبين وتستيقن انه من نص كلام الله ووحيه
وان غيره من الكتب التي يعزى لها ذلك ما هي بكتب الهيه بل ولا منزلات سماويه
بل ولا ملكوتية الهاميه بل تجل ساحة الحق وتزده عن ان يصدر منها شيء . من
تلك المقالات الواهيه والكلمات الواهيه والمعاني الساقطه والاحكام التي تصادم
ضرورة العقول وترهق روح التمدن وتذيب قلب الادب والحشمه وهي على طولها وعرضها
ورفعها وخفضها وضخم حجمها غير وافيه بجميع ما تحتاجه العامه وتضطر اليه الخاصه
من تهذيب النفس وتديب المنزل وسياسة المدن من عبادات واخلق ومعاملات
وجزائيات بل ولا لاقل القليل من ذلك وهذه الشريعه المقدسه الاسلاميه قد وفّت
بجميع ذلك وجمعت بين العدل والفضل والزيادة والاصل والموازنة والتكريم ان
الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر . وضع
بين يديك احسن ما في تلك الكتب اصحابها واسفارها ومزموراتها واناجيلها وضع
القرآن العزيز الى جنبها وانزع من اعماق ليك وعروق قلبك معميات العصيه ومرديات
الاهواء وتقليد الامهات والآباء ومألوفات النجمله ورايز التربيه وغرايز الطبيعه
فاذا احزرت صفاءك من جميع ذلك فتدبر في كل واحد من عهودهم القديمه واعطف
الفكره على شيء . من هذه السور الكريمه ثم أنصف من نفسك وراجعها في عقلك ،
وحاججها بذاتك ، وانظر ما الذي يقضي به وجدانك وعرفانك ، ايقضي بان هذا
الذي يسمونه اليوم بالعهد القديم والحديث هو كلام الله وكتابه ، او ان هذا القران

الكريم وحيه وخطابه ٤ وانظر ايها اليق مجنابه والصق ٤ وما الانسب منهما
بساحة الحق وهوبه احق ٤ فقد رضيتك حكما وخصا ٤ وعولت على ما عندك معرفة
وعلم ٤ ولكن الشفقة تعطيني عليك وحب النصيحة تلفتني اليك فيحملني ذلك ان
او عز واعزم عليك ان استغفر الله مما تمر عليه في ذنبك المهددين ولواحقهما من نسبة
المعاصي والكباير الى كبار انبياء الله وزعماء رسله كالزنا بالمحارم وغيرها وشرب
الخمر واشباهها مما تشأ من حتى نفوس الرعاع المتهتكين ٤ والعصاة المنهمكين ٤
فان فيها كثيرا من ذلك يعسر حصره مثل كون عيسى روح الله قد كان شريب
خمر (١) - وانه كان يعبر عنها بنتاج الكرمه (٢) تعبير المولعين بها المنهمكين
بشربها ٤ كما قال ذلك للتلاميذ قبل صلبه مودعا لهم ولها هذا داود (٣) رجل الله
والنبي (٤) والتكلم بالروح القدس (٥) والوحي اليه (٦) انظر ما نسب اليه من زناه
بزوجة اوريا النحشي (٧) وكيف حاول ان يموت حملها منه وينسبه الى زوجها اوريا
وكيف سمى في قتله لتخلص له امراته (٨) وما نسب اليه من التسامح عما هو موظف
في الشريعة من حد ابنه امنون الزاني باخته ثامار وبكاء داود عليه بكاء عظيما
حين قتله ايشالوم (٩) وصار ينوح عليه الأيام كلها - (١٠) واعظم من ذلك ما فيها
من ان الذي صنع العجل ودعى بني اسرائيل الى عبادته وبني له المذبح هو هارون -
واشنع واقطع ٤ من كل ذلك اجمع ٤ ما اشتملت عليه مما جنته الخمر على لوط البار
وجفوره بيناته (١١) مما تقشعر منه الجلود ٤ وتشتمز له حتى نفوس اهل الفجور ٤
من هتك حجاب الحياء ٤ ليفعل ما يشاء ٤ الى كثير من امثال ذلك مما تاباه الطبيعة
البشرية ٤ ولا ترضاه لانفسها ذوات العقول الاولى ٤ فضلا عن ان ترضى به لزعماء
دينها ٤ ورجال مذهبها نعم الا ان مما يلزم تطهير القلب عنه والجنان ٤ وتنزيه القلم عن
لوته واللسان ٤ نسبة ادنى الخطايا الى ادنى انبياء الله ورسله الذين بعثهم لتكميل خلقه ٤

(١) التاسعة عشر من حادي عشر متى والرابعة والثلاثين من ٧ لوقا (٢) التاسعة والعشرين
من ٢٦ من متى والخامسة والعشرين من ١٤ مرقس (٣) كما في الرابعة عشر من ثامن الايام الثاني
(٤) صريح الثلاثين في ثاني الاعمال (٥) كما في السادسة والثلاثين من ١٢ مرقس (٦) كما في
اوايل ٢٣ من صموئيل الثاني (٧) في صريح الحادي عشر من صموئيل الثاني (٨) ومن هنا سرت
هذه البلية الى بعض فرق المسلمين فذكروه في بعض تفاسيرهم خطأ منهم من دون ان ترد
به حجة من صاحب الشريعة وامناء النبي سلام الله عليهم (٨) في ١٣ صموئيل (٩) في ٣٢ من
الخروج (١٠) من ١٩ التكوين الى آخره الذي فيه ذكر الموابين والعمونيين بناء ذوات لوط عندهم

وارشاد عباده ٠ وتأني الغاية والحكمة ان يكون الناقص مكتملاً ٠ والجاهل معلماً
 والمريض معافياً ٠ ومن هنا ظهر شرف الاسلام وانفرد علماء المسلمين ولاسيما قاطبة
 الامامية بما يوافق ضرورة العقل من التمسك بهذا الرأي الحصيف والمذهب الشريف
 ألا وهو القول بعصمة الانبياء والاوصياء (١) عن كل الذنوب وكافة الخطايا - ان
 لوطاً هذا المقدوف في كتب الكتابيين بتلك الشناعة الفاضحة ٠ المذكور عندهم
 بهاتيك الرخصة القاذرة ٠ هو الذي ذكره الكتاب المجيد الحمدي واعلن مجده في
 مقامات منه عديده ٠ ومواقف عتيده ٠ احدها قوله تعالى (وَلَوْ اَنَّ آتِيَاءَ حُكْمًا وَعِلْمًا
 وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَرِيْبِ الَّذِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ رَأَيْنَاهُمْ كَانُوا قَوْمٍ سُوءَ فَاسِقِيْنَ ٠
 وَادْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا اِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِيْنَ ٠ فانظرتفاوت ما بين المقامين وفرق مابين
 الكتابيين والغرض الذي استطردهنا له هذا البحث واتجهنا فيه هذا القول انك اذا
 اردت الموازنة ٠ وقصدت المقاييس ٠ وبلغت الى هذه المقامات من العهدين فغض
 عنها بصرك ٠ واعطف الى ما بعدها نظرك ٠ وكرم اهل الكرامة على الله من ان
 تسمع مثل هذه الشنايع في حقهم ٠ او ان يتطرق احتمال هذه المنكرات الى قدسي
 ساحتهم ٠ واستبدل عن النظر فيما هنالك من هذه الاحوال بل الاحوال بالنظر في
 كراميم سور هذا الكتاب الكريم فانك لاتكاد تجد سورة من طوال سورته ومفصلها
 بل واكثر قصاره سياً سورة مريم وسورة الانبياء والطواسين والجواميم والمسبحات
 فما من سورة منها الا وقد ذكرت جملة من انبياء بني اسرائيل وغيرهم باجل الذكر ٠
 واسنى الفخر ٠ بتجليل حافل ٠ وتمجيد حاشد ٠ تجدها تبارك عليهم بكل بركة
 وتركبي منهم كل سكون وحركة ٠ تثني عليهم احسن الثناء ٠ بالصدق والصبر
 والصفاء ٠ والامانة والسكينة ٠ والزهد والطمأنينة ٠ والزهادة من كل دنيه ٠ والعصمة
 من كل خطية ٠ الى غير ذلك مما اعدته ولا اعدته ٠ واتحدى به من هذا الكتاب ولا
 احده ٠ وما انا بصدد هذا المقام وتفصيل هذه الخطه حتى اضع لك الموازين والموازنه
 واريدك سبل الهدى على وجه العيان والمعاينه ٠ حتى اريك من التفاوت شيئاً عجيباً
 وادعك تهت الى ديانة الاسلام شوقاً وطرباً ٠ وابدي لك من انتكاث تلك العهود
 وخللها واختلالها ما تعود في اشعة تلك الشمس هباً ٠ ولكن الله جلت الصافه قد

(١) حتى صنف السيد الشريف المراتضى رضوان الله عليه كتابه الجليل المعروف (بتأريه الانبياء)
 وقد طبع على الحجر في ايران طبعه جيده

أيّد هذا الدين باهله فقيّض منهم من وثّى بهذا الغرض على اكمل وجوهه وافضل
انحائه فقد ظهر الحق (بإظهار الحق) وبان الصدق (بلسان الصدق) وتجلّى التحقيق
الصريح (بالجواب الصحيح) (ورد عبد المسيح) وانقذح (التخجيل لمن حرق الانجيل) (١)
ثم ان جميع ما ذكره اولئك الاعلام من دعاة الاسلام وما نقدوه وعدّوه من
رذائل المهدين انما هو فيما يتعلق بخصوص معانيها وما يخص اصول مضامينها - في
مطالبها في مآربها - في اغراضها في تناقضها - في مقاصدها في اصول عقايدها - في
فروع احكامها - في سوء نظامها - في اشياء من هذا القبيل أخرى في امثال لها
لا تحصر - اما لو جئت الى الفاظها ومبانيها - وعبرت الى عباراتها - وادواتها -
فهناك ما شئت مما يكدر الطبع - ويميت الحواطر - ويبيلد المشاعر - من سباحة
الالفاظ - وفجاجة المباني - وتعميد المعاني - وفهاة الأساليب - والخلال التراكيب
وسوء استعارات الاستعارات - وارتكاب ما لا يجوز من المجازات - الى اشياء كثيرة
لا تخفى على من له ادنى ذوق ومسكة في اساليب البيان - وكيفية التعبير - من اهل
كل لغة ولسان - ذاك ما نعرفه في لساني ترجمتها من العربية والفارسية والكاشفين
عن اصل لسانها المجعول لها في العبرانية واليونانية - ولكن يمينا بعري الايمان -
والحكمة اليان - وشرف الاديان - وعزة الزبر والانجيل والقرآن - التي ما قصدت
بما سردت - ولا اتمت بما قدّمت - ولا اردت بما اوردت - الغميلة في كتب الله
المقدّسة - ولا الطعن في احكامه الموقّسة - ولا التكدير في شرايعه المروّقة - ولا
التعمير على فرق عباده الموحدين له وان كانت مشاربها متفرقة - وكيف يسوغ
لمسلم من حقير او جليل - ان يطعن في شيء من التوراة والانجيل وهذا سجل -

(١) هذه اسماء موهبات شهيرة اخذت بافاق سماء التحقيق وسدّت منافذ القول على
خصوم الاسلام (لو انصف الحكم) وهي آحاد من الوف الموهبات في هذا الموضوع وما برح
الاسلام يدلي بجذته البالغة قرنا بعد قرن وعصرا غبّ عصر وقد أشرعت اسنة الاقلام في الذب
عن الاسلام من اوائل القرن الثاني واتصل هذا النضال الى هذه العصور فكان لكثير من كتابها
وعاماتها السعي المشكور فقد قام (منار الاسلام) من عدة اعوام فكفى وثقي - وجعل على خصوم
الاسلام العنا - واستمرت حمية احد الافاضل من اخواننا وبني اوطاننا فهب يدعو (بالهدى الى
دين المصطفى) فجزاهم عن الاسلام ربه خير الجزاء - فقد احسنوا ما شاءوا - وكتاب (الهدى) تحت
الطبع وسيبدو للمسلمين وغيرهم عظيم خدمته للحق - ووفور حظه من التحقيق والفضل -
ويقدرون له ولساير ذوي الغيرة والفضل اقدارهم بال تعاون والتناصر والمعاودة والمساعدة ان شاء الله

الاسلام السلام . وكتابه العظيم . لا يزال يعظمها ملء فيه . ويسمى في البركة عليها بكل مساعيه . ويعلم مجدها ويسعد جدتها وكذلك يوشك ان لا تغلو أكثر سورة من ذكر تلك الكتب الإلهيه . وأنزلات الربوبية . جمعاً وتفريقاً . إشارة وتصريحاً راجع سورة المائدة وانظر قوله تعالى : انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا الذين هادوا . والرَّبَّانِيُّونَ والاحبارُ بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء . الآية . وقوله . تعالى طوله بعدها بقليل : (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصديقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناهُ الانجيل فيه هدى ونور ومصديقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) الى كثير من امثال ذلك مما لا يلزم ايراده وتعداده مما اشتمل على ذكر اوامع انوارها . وسواطع آثارها وجوامع اخبارها . وشؤون منزلها . وعظيم منزلتها . ولكن الحق لك اقول . وارجو بعون الله ان لا احول عن الحق والصدق ولا ازول . ان تلك الكتب التي عناها القرآن ، وجعل لها كل هذا الشرف والشان . ماهي بهذه العهود التي نراها اليوم . متداولة في ايدي القوم . والا فابن الهدى والموعظة والنور . وهي على الحال التي عرفتكم اقله . وتركت جلّه . ولو كانت تلك هي هذه فقد احال القرآن وحاشاه . وابطل واخلف وجلّ عن ذلك قدسي علاه . وكيف وانّي يختلف منه الحال . وفيه تبيان كل شيء . وتفصيل كل اجمال . وها هو جل شأنه قد دل على تحريفها وتغييرها وتبديلها واخفاء حقائقها الاولى لاكثرها في مواضع منه كثيره . ونصوص بيّات منه مستديره . تعرف ذلك من امثال قوله تعالى (من الذين هادوا يجرّفون الكلم عن مواضعه) وقد تكررت فيه هذه الجملة ايعازاً الى ذلك الغرض . وايماً الى هذه النكته . واصرح منها في المقصود امثال قوله تعالى شأنه في المائدة ايضاً : (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير) وعليه فقد ارتفع الاشكال واتضح الوجه في عدم تعاهد المسلمين لذينك العمدين مع تعظيم كتابهم الشريف للكتابين . فان ماله الشناء . غير من له الجفاء . ومن له الذم غير من له ذمة الود والولاء . ويشهد الله اني ما قصدت في جميع ما قدمت من القول في هذين المهدين الغضاضة والتعامل — وانما الغرض الاقصى هو بيان شرف الكتاب العزيز . وحصن الاسلام الحريز . واعتلانه وارتقائه . وتفوقه على كل ما يُزعم انه في عداوه ومن اشباهه ونظرانه .

فلا يحسب التمتع اني هجوته ولكنني فضأت اهل المكارم
وما كان من هزمي وعزيمتي ، وليس من خلقي وسجيتي ، ولا من خطاي وخطي ،
الفحش والفحشاء ، والتعرض للايذاء ، والاقذاع والشتيمة ، والوخزة الوخيمة ،
بل بنيت امري على الدعوة الجميلة ، والجري على ما يقتضيه الادب والفضيلة ، في
تحرير المحاور ، وآداب المناظره ، وحسن المعاشرة ، وعدم التجاوز لما يثبت العلم ،
وتشهد به الحقيقه ، ويقوم عليه الدليل والبرهان ، ويعتدل به لسان الميزان ، والآ
اسردنا واعددنا ، ولئحنا نحن على تلك الديانات وعددنا ، ومها احسن الناظر في هذه
الواضع بشي . من ذلك مما هو على غير تلك الخطه ، وعلى خلاف هاتيك الشريطه ،
فليفوق سهام الملام لسوانا ، وليجعل النعمي والمرزة على غيرنا ، فان البادي اظلم ،
والقصاص حق وان كانت الجناية ماثم ، ومع ذلك فما اكثر ما عرضنا عنه وضربنا
دونه صفحا ، وانغضنا عنه عينا ، من اشياء لهم تصادم ضرورة العقول ، وبديهه
الوجدان واويل الفرايز ، نعم جدير بنا ان نبدي كلمتنا في مسئلة (الاقانيم) التي
هي اصل من اصول اديانهم ، واساس لمذاهب المسيحية اليوم جميعا ،
اتفقت كلمتهم على هذه الاساسية الدينيه وهي قولهم (الاب والابن وروح القدس اقانيم
ثلاثة آله واحد) ولكن انت هل تجد في او ايل العقول واطراف القرايح اجلى
وابده من استحالة اجتماع النقيضين ، وصيرورة الواحد الحقيقي البسيط ثلاثة او
اثنين ، وعليه فليت شعري * وما ادري * كيف تسنى القول لهؤلاء القوم بوحدة
الآله الحق وحده حقيقه مع انه ذو اقانيم ثلاثة ومن اي واد سلك اقنوم الابن حتى
حل في عيسى او اتحد بناسوته فعاد الواحد متعددا ، وصار عيسى إلهاً متجسداً ،
ثم حل في التلاميذ (الحواريين) ثم في ساير البابوات والقسس ، وقدمرت بك الاشاره
الى ما في هذه المقالة لدى مواضع من دعوتنا ، ولولا وضوح حالها * لبسطنا مهاد
البحث فيها ، ولكنها من الضروري الذي يازم عود النظري اليه ، وعنده يقف
وينتهي البرهان والافلا معول عليه ، وظني ان جميع القايلين بتلك المقاله . الدايين
بها حتى الكرسي الرسولي (آلهتهم المتجسد وجسدهم المتآله) لعاجزون عن حل هذا
الرمز المجهول ، المصادم لضرورة العقول ، من امتناع كون الشي . الواحد البسيط -
متعددا ذاتا وحقيقه ، او مثالا وصفة . تعددا في الخارج وعلى طباق الواقع * وقد اجهدت
اولو الفكرة افكارها في ان تحلل لذلك معنى متعقلا * او تتعقل له وجها محصلا *

فما احابته - بل وقفت عند محار الدليل وانقطع بها السبيل . نعم هذه البها^١ العضال . او بنت الوهم والخيال . قد ذكرها بعض كتابهم في مجلة له (جسمانية) اورد بها عن بعض شيوخهم من اهل النظر مناظرة مع شيخ مسلم . قد احسن له الكاهن المسيحي لتلك العويصة تصويرا ، وقربها اليه تمثيلا وتعبيرا ، ورام بجهد ان يجعلها امرا معقولا ، ومعنى مقبولا ، ويرفع ما استأزمه من غائلة الشرك والتعديد ، ومزاحة الفردانية والتوحيد ، ونحن نورد لك خلاصة ذلك البيان والتقريب ثم ننظر هل يجدي ذلك نفعا ، ويدفع باطلا . ويحذف محذورا . ام ليس هو سوى تشقيق معاني وتزويق الفاظ . ماهي من الحقيقة في شيء .

قال : لما احتل الفرنسيون مدينة قسطنطين من اعمال الجزائر كان الاب (سوشيه) يعالج الجرحى بلا تمييز بين مسلم ونصراني فحدث له يوما انه كان يضمد جراحات اعرابي وما لبث ان مر به فقيه قدعلا راسه الشيب ولحيته البيضاء فحدث عن تقدمه في السن فقال الشيخ للكاهن : لم تداي هذا العليل - قال الكاهن : لانه اخي - اخوك : كذبت انك نصراني وهو مسلم . وآلهك ليس بآلهنا قال الكاهن : الهى هو ذات آلهك فهو خالق السماء والارض وكل ما فيها ونحن جميعنا بنوه . قال الشيخ انتم معشر النصارى تعبدون ثلاثة آلهة . . . فانكم من المشركين - فعند ماسمع الاب هذه الكلمات المجحفه بحق دينه رفع الحاظه الى العلى وطلب من رب الانوار ان يمنحه عضدا وعونا كيلا تسقط بذور كلامه في ارض قاحله ثم قال ياشيخ العرب انك بين الاسلام اقمي رتبة رفيعة ومقام سام وسلطة ذات شان حزتها بالعلم وجاهدت بقوة ذكية لتعصياه . فقل لي ناشدتك الله هذه القوة ما اسمها؟ - اسمها العقل . . . لله دره من جواب بليغ . واعمرك قد تشعر بالشهوات احيانا . وقد اسعرت في قلبك حربا عوانا . فتدنوا منك الاشواق مزدانة بزيتها الخداع وربما اوشكت ارضا غايب الشهوة . انما سمعت كصوت باطني يحدثك لا تأتى المنكر فهو حرام فقاومت اميالك وكلل الظفر مسعاك ، فما اسم هذه القوة = هي الارادة - نعم الجواب . ولا اشك انك تذكر ايام الشباب وطيب العيش كما تتصور احيانا صورا هائلة وحوادثا محزنة فتارة والددة طريحة الفراش في ساعتها الاخيره ، واخرى صديقا في وداعه الاخير وهكذا تعيش من ماضي الزمان وغابر الايام فما تدعو هذه القوة التي تحيل لك هذه المخيالات المختلفة عذبة تارة ومزعجة اخرى ؟ ادعوا هذا ذكره -

قال الكاهن : او لك اذا ثلاث انفس ؟ قال الشيخ : انما هي قوى ثلاث في نفس واحدة بسيطة - وانا ايضا ليس لي الا آله واحد في ثلاثة اقانيم اي ثلاثة اشخاص او بتعبير آخر ثلاثة اقانيم في آله واحد ، الأب ويعبر عنه بالعظمة والجبروت ، الابن ويعبر عنه بالعقل او النطق (الكلمه) ، الروح القدس ويعبر عنه بالمحبة والقداسة ، ثم اتهم الحكاية او الرواية باستسلام المسلم واثانه للكاهن وختمها بقوله (ثم نهض الكاهن الى الفقيه وعانقه والدموع تسيل من مقلتيهما) اه ونحن لا يهتأ ان تكون واقعة او مثالا ، بيد أننا نشكر فضل الكاهن فانه اخرجها من قاتم الابهام الى مقام التعقل وفتق لنا فيها منفذا للبحث والنظر بعد ان كانت في القديم من اسرار الكهنوت التي لا يسوغ للعقل ان يدنوم من حريمها او يعدّدا الى اديها ، بل يأخذها من (الاكايروس) مقلدا ، ويتقلدها متعبدا ، من دون ان يفهم ولو أول سطح من حقيقتها . والا كانت عليه المعنة واستحق الطرد من الكنيسة ، ونحن نستتم تلك المحاورة ونضع انفسنا موضع ذلك الفقيه ونقول للكاهن قد احسنت عن تلك الحقيقة التصوير وتلطّفت في التمثيل ، وكافحت لحماية حوزة التوحيد عن هجوم شياطين الشرك واوهام التعديد . وجئت بالسهل التيسر لكل احد فهمه - الذي لم اجده من جهة الوضوح حتى في (الخلاصة اللاهوتية) للقديس توما الشهير في الحكمة الالهية والفلسفة المتعالية . على كثرة ما حرّرت واطال واستوسع المجال . راجع من مبحث الاثنيين والثلاثين الى آخر المجاد الأول راجع انت عماك تحصل على طایل ، اما انا - والاغلب ان انقصود مني - فاهم استفد ما استفدته من حديث هذا الكاهن ولكن غير محظور علينا ان نبحت في تشبيه مجتأ عالمياً دون ان يكون دينياً ، اعني اننا لا نريد ان نبحت ان القول بالاقانيم شرك او مستلزم للشرك . او توحيد او غير مضر بالتوحيد كما لعلمه والمتحصل للفكر بعد غاية سيره - ولا يضر اطلاق الشرك او الكفر فيما اطلقا فيه من الكتاب والسنة ، فان للشرك مراتب حتى عدّ الرياء ونظائره منه (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مُشركون) نعم والتوحيد المحض في الذات والافعال والصفات والشهود والتحقيق لا يحصل الا للخاصه او ما يعبر عنه بالانسان الكامل الذي يعزّ عليّ ان اقول : انه اعز من بيض الانوق ، وابعد تناولا من العئوق ، والغرض اننا نفحص ونخص ذلك التمثيل ولكن لا من حيث اننا نريد ان نثبت ان الاقانيم شرك وتعداد في الآلهه او ان المسيحيين (معاذ الله) غيره وحدين . كلا . بل من حيث انها هل هي

من قبيل ما ذكر الكاهن من وحدة القوى الثلاث مع النفس بل ساير القوى على ما معنا اليه في اخريات الجزء الاول . ام مسألة الاقانيم لا تقاس على هذه المسئلة ولا ربطا لواحده بالآخرى بتأ ؟ وعليه فنقول بعبارة جليّة : انّ الوحدة في الاله اما ان تكون حقيقه والتعدّد ثلاثة اعتباري نظير قول بعض الحكماء والفلاسفة الاقدمين باتحاد العقل والعقل والمعقول بمعنى ان الشيء الواحد البسيط باختلاف النظر والحيثيات واللوازم والآثار يتعدّد اعتباره كيختلف الحقيقه وما هو به . اذ ليس هو في العين والخارج غير حقيقة واحده والتعدّد فرض واعتبار . وهذا التصوير مستحيل في الاب والابن وروح القدس لانه لا يتحقّق كما عرفت الا في الواحد الخارجي الذي لا يكون تعدّده الا في الذهن والاعتبار ويستحيل في التعدّد عيناً . المتكثّر خارجاً ومن العلوم انّ تلك الثلاثة (الاقانيم) متعدّدة في الخارج منجازه في الوجود . كل واحد له ماباؤه خاص ومصادق معين . والمسيح عيسى (ع) لما كان في الارض بين تلاميذه لم يكن العالم خالياً من الاب والروح اعني انه ليس الكون خالياً من وجودهما الخاص بالذبح الذي ياتي بهما وينبغي لهما - غير وجود ناسوت يسوع الجالس بين اصحابه في فراغ معين كواحد منهم - وهذا التعدّد الحقيقي المنافي للوحدة الحقيقيه - التي يستحيل كل فروض التعدّد فيها سوى فرض التعدّد الاعتباري - مسلّم في المقام لا ينكر - اعني انّ النصراني لا ينكر واحده منهم انّ لكل واحد من اوتك الاقانيم الثلاثة وجودا خاصا ومصادق معين كما قال الكاهن انها (ثلاثة اشخاص) اذاً يستحيل التعدّد الاعتباري كاستحالة الوحدة الحقيقيه - واما ان تكون الوحدة اعتباريه والتعدّد ثلاثة حقيقي خارجي على العكس من الفرض الاول وهذا هو الاقرب الى النظر الذي يمكن في عالم العلم ويتعقل في الذهن والعين ويصحّ للقايل ان يقول به والمذاهب ان يذهب اليه واكتنه وبالاسف قول بانتفاء الالهة مطلقا لا واحدة ولا ثلاثة - لما عرفت من انّ الواجب اذا تركّب او تعدّد دصار ممكنا محتاجا ضرورة تركّبه بما به الاشتراك وما به الامتياز ان كان متعدّدا - واحتياجه الى اجزائه ومن ركّبها ان كان مركّبا

إلهٌ مركّبٌ ما سمعنا بإلهٍ لذاته اجزاء

فلو كان كل واحد من الاقانيم واجبا وإلهاً كما يقولون لبطلت الالهة معاذ الله . لا واحد ولا اكثر . فلا يقاس شيء من هاتين الصورتين على مسألة اتحاد العقل والمعقول والعقل او مسألة تغاير الصفات للواجب مفهومها واتحادها عيناً وحقيقة - فان الاتحاد

بل الوحدة في هاتين المسئلتين خارجية عينية . والتعدد ذهني اعتباري ولا مانع فيه ولا ضير
فان مفهوم القادر غير مفهوم العالم والحي . ولكن المصداق واحد بسيط خارجي هو منشأ
انتزاع تلك المفاهيم المتعددة بحسب آثاره المختلفة ومن هذا القبيل حديث النفس وقواها
وقد تقدم بسط ذلك في مبحث وحدة الذات وعينية الصفات من الجزء الاول فراجع
اماً الاقانيم فالمحذور فيها وملاك اشكالها هو تعددها الخارجي المحسوس
والمعلوم بضرورة العقول . وهو المانع من وحدتها حقيقة . ووحدتها اعتباراً وحدة
تجامع الوجوب = لامتناع مجامعة الوجوب مع التركيب

وليس وراء ذلك الصورتين في منفسح فرض العقل من صورة محتملة صحيحة او باطالة
الا صورة التوحيد المحض وهي ان الاله هو الواجب الحقيق . والابن والروح من
الخلق . لا حظ لهما من الالهية نقيض ولا قتيل وان القول بربوبيتهما على نحو ربوبية
الاب ضلال او تضليل . . . امأ حديث (القداء) و (المخلص) و (اللعنة والذبيحة)
وامثال هذه الحروف . فنغض عنها عيننا . ونغض دونها طرفاً . فان الخوض فيها
لا محالة خارج عن نطاق المباحث العلمية . ولا جرم يكون خدشاً في اديم الاديان
وجرحاً لعواطف تلك الامة التي ما اكثرت فيها من الاعزة الكرام علينا من جيراننا
ومواطنينا - على ان تلك الامور صحيحة كانت ام غير صحيحة مزيجة كانت ام
صريحة على اي حال كانت - فهي لا تضر بجوهر الدين واباب التوحيد وانما الأساس
والمهاد هي تلك المسئلة . مسئلة الثالث الاقدس

مسئلة الثالث هي التي تستوقف الافكار وتستدهش الاباب وتقف حيارى عندها
العقول . ما تدري ما تصنع وما تقول

مسئلة الثالث هي التي لها اعظم اثر في الاديان . واكبر ضربة على الشرايع فاني اشهد
وكفى بالله شهيداً . انه ما دخلت البلية على ساير الاديان . ولا هتك حريم التوحيد
حتى صار يُعبد الانسان في الارض ويطاع الشيطان . ولا ظهر الغلو بين البشر .
واتخذت الناس بعضها بعضاً ارباباً حتى ذاع الشر وانتشر . الا عند انتشار تلك
المقالة اعني مقالة الاقانيم . التي جعلت الانسان الحادث هو الاله القديم فانها هي
التي فتحت باب الجرأة للانام . وسهات لهم نقل اقدام الأقدام . على تلك الخطوة
الشاقة المقام التي تزلق عن اوائل عوامعها عظم الاوهام . حتى ظهرت اهل البدع
والاهواء . وانتجت الفساد عقم الآراء . فبزغت . بل زاعت ونزغت . جهالة الصوفية .

بل والقراءة والنصيرية ، وملاحدة الاسماعيليه ، والفرقة المعروفة في عصورنا بالبابية
وامثالهم من الملاحدة الذين يجمعهم جميعا الطيبيية والنيسرية ، يجمعها السمي في
ازهاق روح الدين والمدنيه ، والمساواة مع كافة الاديان والملك والشرائع الالهيه ،
وما اقصى مقاصدهم واغراضهم من ذلك الا ان ينسليخ الانسان من جلباب البشريه
والمساكنات الملكيه ، الى اخس صفات الحيوان من السبعية والبهيميه ، ويخضع ما حثت
عليه نوااميس الشرايع الحقه من الصدق والصيانه ، والحياء والامانه ، فينكح ما يشاء
وياكل ما يشاء ويفعل كيف شاء اباحه عامه غير مقيدة بعقال عقل ولا قوانين شريعه
ولا موازين عرف ولا عاده ، بحيث لا يختص احد بشي ، عن غيره لا عرضا ولا مالا
ولا غيرهما وما وجدوا سبيلا لترويج هذه الاغراض الكاسده الفاسدة الا بادعاء
الالهيه لانفسهم او مرتبة من الربوبيه لذواتهم فتارة بدعوى الظهور والتجلي واخرى
بالحلول والاتحاد وتارة بتقمص اللاهوت في الناسوت وامثال ذلك من الالفاظ
والاصطلاحات العاطله عن حاية الحق وزينة الصدق - التي هي بين باطل ممتنع ، من
ملحده مبتدع ، وبين معقول ممكن ولكن لا يقتضي شيئا من مراتب الالهيه
والخروج عن رتبة العبوديه ، وثالثه مادب هذا الداء العضال ، ولا باءات الديانة الاسلاميه
بهذا الربال ، ولا تنهج مبتدعوها هذا النهج ، ولا استدرجوا بهذا الدرج ، الا من
غاوة النصارى في المسيح ودعواهم له الالهيه وهو عبد لله مخلوق له كما قال هو (١) انه
لم يأت من نفسه بل الله ارسله (٢) وانه لا يقدر ان يفعل من نفسه شيئا (٣) وانه
لا يفعل ولا يتكلم الا بما علمه الاب (٤) وانه كان يقول يا ابتاه في يدك استودع
روحي (٥) وانه ابتداء يحزن ويكتئب ويدهش وقال للتلاميذ نفسي حزينه جدا حتى
الموت (٦) وصرخ يسوع بصوت عظيم واسلم الروح الى امثال ذلك من لوازم
العبوديه وخواص المخلوقيه وما لا يجتمع مع شي ، من الالهيه وكل ذلك قد صرحت
به انجيلهم ، ونصت عليه رسايلهم ، فرفضوا امثال هذه مما يقضي بها العقل والضروره
ويحكم بها الوجدان والبديهه وتمسكوا بمجازات واهيه واستعمالات واهيه تصادم
ضروره العقل من مثل كونه الها وابنا وانه قام من القبر بعددفعه واشياء ذلك مما لا يعول
عليه في اثبات شي ، من اصول الديانات واركائنها فضلا عن مثل هذا الاصل الذي هو

(١) في الثانيه والاربعين من يوحنا (٢) في الثلاثين من خامس يوحنا (٣) في الثامن والعشرين

من ثامنه (٤) في السادسه والاربعين من الثالث والعشرين من لوقا (٥) في متى (٦) في مرقس

ارتعدت فرايصه وجعل يبكي بكاء الشكلى حتى كأنه كان يخشى ان ينزل عليه العذاب او تصيبه صاعقة فتجرقه حذرا من تلك المقالة فيه وكذلك قبله جدّه علي عليه السلام لما سمع بمقالة ابن سبا واصحابه فيه خرّ ساجدا لله على الارض ثم رفع راسه (وقال لما رايت الامر امرا منكرا أجبت ناري ودعوت قنبرا

على ما هو مشهور في مظانه ثابت تفصيله في مواضعه ثم لم تزل هذه البلية تسري والمصيبة تجري من اول الاسلام الى هذه الايام وتحل وبها تنحل . قوى ساير النحل . وعيّل وتتملأ على كل الملل . وتدب على الخلسة والخفاء . ديبب النملة على الصفا في الليلة الظلماء . كاتحس بذلك لو تدبرت في جميع سلاسل الصوفيه في حق مرشديهم ورؤساء سلاسلهم ممن لا يسعني ان ابوح بأسائهم وانص على اعيانهم وشهرتهم كافية عن ذكرهم وهكذا لا تزال تلك العقيدة تصنع ذاك في ساير الاديان كل على اختلاف لحنه وتغيير عبارته او طريقته والجميع تحت رابطة اشراك غير الله في العبوديه . وضم خلقه اليه في الأوهيه . كل على نحو خاص به . وطريق انفراد بابتداعه . ومن ذاك ما حدث اخيرا في بعض الاماميه من الفرق المعروفة بالكشفيه والشيخيه واعلماء هي من بعض تلك الفرق الاولى قد تغيرت اسماءها . واختلفت عناوينها . واما عزّة وحدانية الله ان جميع من ذكرناه ومن لم نذكره من هؤلاء . انما شربوا من ذلك الماء . واستنشقوا ذلك الهواء . وما اخذوا ما عندهم من التعاليم . الا من تلك الاقانيم . واعلمها نهجوا . ومنها درجوا . والا فشرية الاسلام المقدسه بالنظر الى جوهرها . واصل كيائها . انما جاءت بالبساطة والمحوضه . والخلوص والاستقامه . جاءت بالتوحيد المحض . والتزويه الغض . وما هو في شريعة العقل حتم وفرض . جاءت (بلاله) الله لانعبد الاياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون . ولكن شوّهوا جميل محياها . ودنّسوا صقيل سجايها . بما ادخلوه فيها من غيرها . ومزجوه بها من مقالات سواها . حتى عاد لايوم من اكثرهم بالله الاوهم مشركون نعم عاد حضرة الحق عزّ شأنه والوهيته المقدسه وكأنها مسخرة بالباطل . وحلية كل عاطل . ولعبة كل جاهل . يدّعيها وتدّعى لكل مخلوق ضعيف . لا بل كل من او تأمل في نفسه اوجدها اقدر بالوعة او . . . وما هي بأحدى عجائب الدنيا وغرايبها فما زالت الاصنام من الجمادات والحيوانات من بدء الدنيا الى اليوم تعبد من دون الله . ولكن موضع الاسف والالاف للموحدين من الأمم من الاسلام

والنصارى كيف رجع بعضهم الى عبادة الاوثان القهقرى ، وقد تقدموا بشرايع الله المقدسه فبالهم تأخروا الى ورا ، والغرض ان ليس القول بالحلول والاتحاد ، الا محض زندقه والحاد ، وكذا القول بالظهور والتجلي ، الا على وجه تحلي قدرة الصانع في اثر صنعه . وظهور كمال الفاعل من كمال فعله ، لا كتجلي الحقيقه والذات ، او الصورة في المرآة (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) وبعد هذا كله فان جنحت الامه المسيحيه للسلم فاجنح لها وقل (سلامٌ عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ، ثم قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً . ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله . فان تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون) وان ابوا (فقل لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي) ثم لاتذهب نفسك عليهم حسرات ، فقد جرى في الازل قلم المشيئة ، ونفذ قضاء القدرة . لا هو اعلم به من المصلحة والحكمه ، ان لاتزال هذه الارض معبداً للشيطان ، ومظهراً لشوكته . وقرأ لتخت مملكته ، يستعبد بها عباد الله . ويطاع فيها من دون الله . الا ترى ان الله سبحانه ارسل من الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين منذ بدء الخليقه الى خاتم الحقيقه مايزيد على مراتب الالوف وايدهم بالمعجزات القاهره . والآيات الباهره . فبشوا من النصايح والحكم مايزيد الصم ، ويستزل العصم ، ودعوا الى توحيد الله وافراده بالعباده ، وتزييه عن الشريك ، مبلغ وسعهم . ومنتهى جهدهم . وسقوا الاحلام . وضلوا الانام . في عبادة الاصنام ، واعادوا الحق اجلى للحس من الشمس ، ثم كان غاية كل عنائهم ونتاج جميع سعيهم . من اول الدهر الى هذا العصر انه لم تنجل العبرة الا والوثنيون كما تراه اليوم اكثر من الموحدين باضعاف مضاعفه - فانظر الى رواج الباطل وانتشاره وكساد الحق وانكساره ، وتبصر ان كنت من اهل البصيره . واعتبر ان كنت من ذوي العبره . والله ولي التوفيق لنا ولك وهو ارحم الراحمين . واعلم ان مسنة الاقائيم خفيفة المونه لاتحتاج الى اقامة دلائل وبرهان وتكأف اطالقه في البيان وخلاصة القول فيها انها مع القول بالوحدانية جمع بين النقيضين وهو في الاستحالة والفساد من اجلى البديهيّات واول الفطريّات ومع عدم القول بها يلزم التركيب المساوق للامكان او التعدد المستحيل اجتماعه مع الوجوب وقد مر عليك تفاصيل كل ذلك في فصل التوحيد فلا نطيل بالاعاده

ومثل هذه المقالة في الوهن والخطأ القائلة بان جميع الانبياء قد ارتكبوا الخطايا وان النبي المعصوم من الخطيئة ليس هو الا عيسى عليه السلام ، اما معشر الامامية فقد عرفت انهم جميعا يقولون بعصمة جميع الانبياء ولعل ساير المحققين من فرق المسلمين يذهبون الى ذلك ، نعم . الانبياء كلهم معصومون من كل خطيئة (لانفرق بين احد من رسله) وان تفاوتت مراتب كمالاتهم ومنازل قربهم من الله ولكنهم سواء في عدم ارتكاب المعاصي المحرمة ومناهي الله المحتمة لا فرق بين عيسى وغيره كل ذلك نظراً الى تزييه الله جل شاناه عن ان يرسل لتكميل الخلق من هو ناقص في ذاته ويبعث مصلحاً للانام من هو فاسد في نفسه فان ذلك قبيح عند العقل والله جل شاناه منزّه عن كل قبيح واناجيلهم تشهد بما ذكرناه حيث تقول في الثالثة عشر من (متى) انتم ملح الارض ولكن ان فسد الملح فبا ذا يملح لا يصلح بعد شيء الا لان يطرح خارجا ويداس من الناس . وقريب منها ما في ٣٤ من ١٤ لوقا . وخلاصة القول ان كلا من الدعويين باطالة بحسب اسفارهم واناجيلهم اما ان جميع الانبياء قد ارتكبوا المعصية . وقارفوا الخطيئة . فقد عرفت ما يدل على بطلانها ويقتضي فسادها من قوله انتم ملح الارض والحكمة فيه مطردة ، والعالمة ساريه . فلا يختص بمورده على ان لها نظاير كثيرة في العهد القديم في بني ابراهيم ووسى وهارون نعم في العهدين كثيراً ينص على ارتكاب جملة من الانبياء اشنع المعاصي كما تقدم نقله في هارون من اتخاذ العجل ولوط في زناه ببنتاته وداود بالمرأة المحصنة زوجة اوريا الحثي ودفعه الى القتل لتخلص له حليته وكثير من امثال ذلك (سبحانك اللهم وغفرانك) . ان ناقلاً الكفر (كما قيل) ليس بكافر . فكتبهم اذا متعارضه والترجيح هنا لما وافق حكم العقل حيث يتعارض مع النقل سيما في مثل هذا المقام من اصول الاديان - واما ان عيسى هو النبي المعصوم من الخطيئة ، فنحن نقدم اليك اولاً اننا معاشر الاسلام نطق بحمده واعرف بجليل شأنه . وقرآنا الكريم اشد اعلاناً بحمده . واقوى اعتصاماً بتزييه وعصيته . ولا نحيط برفع قدره وعظيم حقه . ولا نحط من شأنه وربته ، كما لا ننزله فوق منزلته ، ولكن نقول آسفين ان اولئك الذين يزعمون ذلك له . ويزولونه فوق المقام الذي انزله الله فيه قد نسبت اناجيلهم اليه الخطايا الكثيرة . والمعاصي الكبيرة . كما تقدم من نسبة شرب الخمر اليه . والعهدان يصرحان بالانهي عن شربها ولا سيما في حق الانبياء المنزهين عن اللهو والباطل وهي من اللهو بالضرورة مضافاً الى

حكم العقل بقمح السكر وازالة الشعور البتة . ومثل ذلك نسبة الكذب اليه والخلف في قوله معاذ الله من خطور ذلك في الخيال في حق رسل الله المكرمين وصفوته القدسين راجع يوحنا تجده يوحى اليه . ويومي بل ينص عليه . وهذان اصلان من اصول دياناتهم وقس عليها باقي اصولهم وفروعهم - وقد تقدمت اليك واطلعتك على دخيلة امري ، ونخبة سري . واشهدت الله جلّت عظمتة ، انه ما كان من نيتي ، ولا من ركيزة قصدي . الا غرض النظر . وغرض العين عن مساوي الاغيار والتعرض لكشف ستارها . وابداء عوارها * ولكن (جنت على اهلها براقش) (١) اراد صاحب (الضلالة) ان يفضح فافتضح . وان يهتك فهتك . واصبح في ائمة والمثته عين الصديق الجاهل . الذي هو اضر من العدو العاقل . وهو الذي ثلم عليها هذه الثلمة . واسال على رمولها ذلك السيل رام نفعاً فضر . وحاول نصحاً ففرّ =

صاحب الضلالة هو اضلنا عن القصد . وصدّ بنا عن سبيل الادب والحشمة * وحاد بنا عن حفظ الحرمة والكرامة * وصيرنا نترامى بالمراجم ونتكايل بالمعاجم * وكان ذلك من ابغض الاشياء الينا . واشدها وقعاً علينا * وما كان اغنانا وابعدنا مكانا . عن دفع القلم الى امثال هذه المخاضة . والقائه في حمأة تلك الاحوال والاوحال * ولكن الا . لاصفا عيش من كدّر صفونا * ولا حلم الله عن اهاب بذهاب حلمنا . حتى جرى اليراع بناجرى عفوا * واندفع الطبع بما سبق رسلا

(وعلى اي) فحيث جرى ذكر عصمة الانبياء - حسن بل وجب بمحض القول فيها دفعا لبادرتك بالانتقاد ، ومبادرتك بالاياد ، قازلا كيف تدعون للانبياء العصمة وكتابكم ينطق بخلاف ذلك ويصرح في حق جملة من الانبياء بوقوع الذنب منهم والمعصية فلماذا تقول بغير ما في كتابك ، وتخص الاناجيل بمايك ؟ - فاعلم هداك الله ان علماء الامامية من اوائل الاسلام الى اليوم قد اشبعوا القول في هذه المسئلة وما تركوا فيها قدر قلامة خضر من شبهة او ريبه ، وقد ذكروا لكل واحد من تلك المقامات التي اشرت انت اليها ونظرت معمولا في الطعن عليها ، اجوبة تخصها ، ووجوها تليق بها ولا

(١) مثل من امثال العرب وحكايته مشهورة في كتب الامثال وامامه لا يخفى على ذوي الفضل لطفها

تعدادها، ونحن لا يسعنا ذكر تلك التفاصيل • وتعداد تلك الموارد • واحداً بعد واحد، فاطلبها من مشروعاتها، وخذها من مقاماتها، ولكننا نعطيك الجواب العام الكلي الذي تنحل به جميع العقدة، وتزول به كل هاتيك الشبهة، ويتضح لك به الفرق بين الموردين، وتعرف الميز بين عهدة القرآن وعهدة المهددين، واقم عندك المذر بوجه واضح، بل بميزان راجح، في سبب قدحي لهذا ومدحي لذلك، وتوزيع انتقادي واعتقادي بين ذا وذاك، • هو ان النظر دلتنا، والفكر قادنا، ولم نجد بداً من الامر الحتم والقول الجزم بان الدليل العقلي القاطع اذا حكم فيما له الحكم فيه ثم عارضه الدليل النقلى فهو اما مقطوع على انه من واضع الشريعة، المصوم من الخطأ والخطيئة ام يكون لذلك محتملاً، والامر فيه بعد مبهماً مجملاً، ولا قاطع عليه - فاما المقطوع انه منه فان كان من الظواهر التي تصاح للتأويل او لناه على ما يوافق الدليل العقلي وارجعناه اليه على موازين تلك اللغة وقوانينها الخاصة بحيث لا يعد غلطاً بين اهل عرفها وذوي المهارة فيها ولا مجازاً مستهجنات عند خطبائها، وفرسان البيان في ميادينها، وان كان من النصوص التي لا تصاح للتأويل، ولا تقبل الحمل والتحويل، ولا التغير ولا التبديل فقد عرفت انا نعدّه من المتشابه الذي نؤمن به على اجماله، ونقول الله ورسوله اعلم بحاله، ولا نرفع اليد عن الدليل العقلي لمعارضة ذلك الدليل له ولا سيما الفطري الضروري، بحال من الاحوال واما المشكوك انه من صاحب الوحي، ومالك الامر والنهي، فوجود مثل تلك النصوص التي لا تقبل التأويل على موازينه الصحيحة وقوانينه الدائرة المعموله المعارضة تلك النصوص لحكم العقل القاطع، اقوى دليل وشاهد على عدم صدورها من ذلك العقل الكامل فانها رسولان ظاهر وباطن، وكل

منها لآخيه مصدق وموافق ، فإذا تحقق لديك هذا الأمر الجملي ، وقام الميزان عندك في تعارض الدليلين العقلي والنقلي ، نقول في تحقيق التطبيق خذ يا صاحب الانجيل كتاب الله الجليل ، وأحص ما ترى انه من ذلك القبيل ، فهل تجد اصرح وانص ، واوضح واخص ، في ارتكاب النبي للخطيئة والمعصية من قوله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى) فان الغواية والمعصية قد يُترانى انه ليس فوقها لفظ في النصوصية والصراحه ومع ذلك فجهابذة المفسرين ولا سيما الامامية منهم . الذين ياتزمون بتنزيه الانبياء وعصمتهم قد ذكروا في هذه الآية من الحمل الراجح والوجه الصحيح ، ما لا يكاد يرتاب فيه اعجمي ولا فصيح ، وهو ان المعصية تستعمل شايعا في مخالفة الامر - والامر اعم في الاستعمال من الوجوب والندب وهذا لا يشك فيه ادنى من له دربة في المحاورات ، ودراية بأساليب العبارات ، وان آدم (ع) كان نهيه عن اكل الشجرة نهى تنزيه وكال ومعصيته عبارة عن تفويت ما هو الاولى له من الترقى في مراتب القرب ، ومنازل القدس ، ومحال الكرامه ، لا انه فعل مبعوضا لله في ذاته قبيحا في حد نفسه ، وذلك ان الله جلَّت الطافه احب لآدم ان يعافى من دار المحنة والبلاء والتكليف ويُمْتَعَ في دار الراحة والخلد والنعيم فاختر آدم لنفسه غير ما احبه الله له وترك الاولى به والا كل له فوكله الله الى عمله وما اختاره لنفسه وخشي آدم ان يكون قد غضب الله عليه وقضى ان يخلده في دار المحنة ولا يعيده الى دار النعيم فبكى على خطيئته حتى تلقى تلك الكلمات التي تاب بها الله عنه وغفر له تلك الزلله واعداه الى دار قراره ، ونعيم جواره ، ولكنه (غوى) وما اكثر ما استعمات الغوايه بمعنى الحيله فانه خاب من الرقى الى المقام الذي كان قد أعد له ولم يجد الله له عزما وثباتا على ما يرشده اليه

وبدله عليه من المصالح الغير الراجعة الى التكليف والامر المحتم ، وهذا معنى لو لم يكن ظاهرا من الآية نفسها او بضميمة جميع ما ورد في قصة آدم من الآيات لكان متميّا حمل الآية عليه ، واقصى ما هناك ارتكاب شي من المجازات الشايعة التي لا يغاوش شي منها من شاهد في العرف واللغة . هذا كله مع الانغماض عن الدليل العقلي في باب عصمة الانبياء فكيف والحال ما عرفت أترأى لو تعبت وطلبت ، وفحصت ومحصت ، كل باب من ذلك الكتاب فهل تجد فيه نسبة الزنا بمحصنة او بحرم او باجنية او هل ترى فيه ان نبيا شرب خمر ، او اخاف وعدا ، او اتخذ دون الله آله ، الى امثال ذلك مما هو نص في معناه ، قصر على مؤذاه ، لا تجد له محملا ولو تمحلت ، ولا وجهها حسنا ولو اجتهدت ، قل لنا (سدد الله قولك) باي تأويل تقول ان لوط زنا بيناته بعد شرب الخمر او ان داود زنى بزوجة اوريا ثم سعى في قتله ، - بجرمة الانصاف ، بذمة الصدق والعفاف ، يحسن عندك ، او يابق لديك ، او يساعدك وجدانك ، ان يكون مثل ما في ١٢ من ٤ حزقيان ان الله تعالى امر حزقيال النبي ان يأكل كعكا من الشعير الذي يخبزه امام عيون بني اسرائيل على الحر الذي يخرج من الانسان - انصف انت من نفسك ، وتدبر في ذات عقلك ، وانظر أهكذا ينبغي ان يكون وحي الله الى رسله ، وكلامه مع اوليائه واقسم لولا عصايب العصية ، واردة العادات الرديئة ، لحكمت انت ايها الموسوي او المسيحي انه لو صدر مثل هذا الكلام من احد المخلوقين ، لعدته من السفلة المرذولين الذي هو من البذائة والدنائة بحيث لا يبالي بما يخرج من فيه ، ولا بما يقول ولا ما يقال فيه ، وهذا كله مما يدل على ما قلناه من ان هذه الصحف التي يزعمون انها هي التوراة

والانجيل ليست هي التي اثنى عليها الله في ذلك الكتاب الاخلاقي الادبي
 باللسان المبين العربي ، ثم انت تجد هذا الكتاب الكريم كيف اعلن بمجد
 الانبياء بكل بركة وتكريم تعميماً وتخصيصاً ، وتصريحاً وتنصيماً ، على
 آحادهم وجوعهم مجموعين في سور مجتمعه ، ومتفرقين في آيات متفرقة ،
 وهذا القرآن بين يديك ، وليس هو ببعيد عنك ولا بعز عنك ، ولعلك
 تحفظ اكثره ، وتسبر كل حين سوره ، فراجعه وارجع اليه ، واعمد له واعتمد
 عليه ، وانظر هل تجد من النصف والكرامه ، والصحة والاستقامة ، ان
 تجعل تلك الكتب والقرآن في قرآن ، او تقول انها سيان ، حاشاك
 وكلاً ، والامر اوضح واجلى ، ولا اظن ان الجمل او العناد ، يبعد بك عن
 الحق هذا البعاد ، او يحملك على المحال ، او يحللك بتلك المحال ، وانت
 ترى هذا الكتاب الكريم ، والنبأ العظيم ، مامن آية من آياته او جملة من
 جملة او قصة من اقصيصه ، او مثل من امثاله ، او حكم من احكامه ،
 الا وهو يخدم صراحة والاحقة في الدعوة الى الله وتوحيده ، وتقديسه
 وتمجيده ، والبركة على انبيائه ، والترغيب الى الآخرة والتحذير من الركون الى
 الدنيا والحث على مكارم الاخلاق ، ومحاسن الاعمال ، وعمل البر والاحسان
 الى غير ذلك مما سردت لك منه كثيراً ، وما كان نسبته اليه الا نر ايسيرا
 ثم ترى تلك الكتب وليس فيها الا القصص الباردة ، والحكايات السمجة ، والغرض
 من انبياء الله ونمط حقوقهم ، والخط من شؤ ونهم ، نعم واعظم من ذلك نسبة
 الخلف والخديعة الى الله ، وسمة الانبياء واوصيائهم له تعالى بالكذب معاذ الله
 فانه من الكذب عليهم وعليه ، (ففي رابع ارميا فقلت يا سيدي الرب
 حقاً انك كنت خداعاً خادعت هذا الشعب واورشليم قايلًا يكون لكم

سلام وقد بلغ السيف) وانا اقول يا لاسف وللحيف ، حقاً لقد كان الخزم والعزم ، والاجدر والاحرى ، بتلك الشعوب والامم ان تكمتم هذه الكتب بعد ظهور ذلك الكتاب. او ليتها لم تفتح على نفسها هذا الباب ولكان الأستر عليها ، صونها وسترها ، واعتراؤها بأنها ماهي بتلك الكتب الإلهيه ولا المنزلات السماويه ، وان تلك قد ذهبت شعاعا ، وتلفت ضياعا ، وراحت ادراج الرياح فان ملوك الوثنيين كجنت نصر ومن بعده احرقوها ومزقوها ، وما بقي منها الا القليل ، والنضو الضئيل الذي ضم اليه اضعافه ، وأتلف آلافه. أليس الوثنيون الى برهة من بعد الميلاد ما انفكوا ينتحون تلك الأمم بالقتل الذريع ، والسيطرة القاهرة ، والسلطة القاسره وكانت تلك الامم ولا سيما المسيحيه افرادا مستضعفه ، واغراضا مستهدفه طعمه كل آكل ، وطماعة كل آمل ، وكل ممارس للكتب ومدارس ، يعلم ان المسيح حين شالت نعمته ، وتلاشت دعامته ، وُصلب على مارتع امته ، ما كان عدوة من آمن به الا شذاذ يحصيهم العد ، وتعدّهم الامل اليد امتهنوا من فراعنة زمانهم وملوك اعصارهم بالاحفاء والاخفاء بالنفي والحبس بالطرد والمكس ، بالحقق والشنق ، بالقتل والبتل ، ومن هنا نقول نحن معاشر الاسلام ان معجزات المسيح على نبينا وعليه السلام ما ثبتت بالتواتر لان شرطه بل قوامه وتماه بتساوي الطبقات في امتناع التواطيء على الكذب وهو لا يحصل الا باخبار كثرة يعسر في العادة عدّها في جميع الطبقات ، وهذا لم يتفق لروح الله كما اتفق لحبيبه الذي هو اعز عليه من روحه ، فان من آمن به في حياته فات حداً الأحصاء ، وطبقت معجزاته الساميه في زمانه خطط الارض وسكك السماء ، من الحجاز ومشارف الشام وسواد العراق وسكان البوادي ، وقطآن الفيافي من الرحالة والظمانه

وغيرهم فإن أكثر هؤلاء تداكؤا على هذه الديانة تذاك الهيم على الماء ، واعتنقوها اعتناق الهائم للميآ ، ثم مازالت الى قرون بعده تنمو وتسمو ، وتتحلى بالشرف وتحلو ، وانت تعلم ان من اسلم منهم في زمانه وبعده بالرغبة والاختيار ، والامتحان والاختبار ، اضعاف من استسلم بالمحاربة والمحاولة ، والقتال والمناقلة ، ومن استراب في ذلك فما عرف ولا تعرف ، ولا انصت ولا انصف ، ولا سار في السّير ، ولا اقتنى المين ولا الاثر ، فإن المهاجرين الذين آمنوا به في مكة وما حولها قبل الهجرة ، والانصار الذين بايعوه على العقبة ، ووفود العرب الذين كانوا يشدون اليه الرحال عند بلوغ الدعوة والملوك الذين آمنوا به قبل ظهور النبوة ، كل ذلك يدلك على ما ذكرنا من ان انتشار دعوته ، وسطوع انوار نبوته ، ما كان الا لتجلي معجزاته ، واعجاز آياته ، ووضوح الامر في صدقه ، وظهور حقه ، وانه انما جرد الاسنه ، وجرّ الاعنه ، وتحمل في ذلك كل منه ، ساعة لم تنفع الحجة البالغة ، والآيات الدامغة ، والمعجزات البازغة ، ولم يجد بدا من نشر كلمة التوحيد ، وكسر شوكة الشرك وحفظ جامعة الايمان ، ودرء الشرور عنها ، ومن جراء ذلك تصاعد حتى ركب متون الصعاد ، وامتطى ظهور الجياد ، لحرّ الجلال ، الى ان اعلی الله كلمته ، ونصر التوحيد وامته = امّا المسيح فما ساحتته بشي من ذلك أيامه ، ولا اتفق له من العناية ما تقدّمه في ظهور المعجزة ، وانتشار الدعوة أقدامه ، ولا نال من الجهاد في ذات الله ، والذبّ عن الاحديه ، المقام المحمود الذي بلغته الذات الاحديه ، فانه جاهد في الله الجهادين ، وفارق الدنيا من البيضاء والصفراء صفرا يدين ، وما زال هو واهل بيته يشدون على بطونهم حجر المجاعة ، ويرون حجرا عليهم مفارقة حجر القناعة الى امثال ذلك من كثير سجاياهم ، وكبير مزاياهم ، وعظيم اخلاقهم ، وطاهر

اعراقهم، مما يدلُّك كل واحد منها على انهم املاك في زي بشر، وروحانيون في بزة اجسام وصور، وقد يسون طهرهم باريهم من كل رجاسه، ونور عناصرهم بكل بركة وقداسه، وما اردت بما اوردت في ما قدمت ورسمت، الغرض من المسيح معاذ الله والخط من شؤونه، او الخفض من رفيع مقامه، حاشا لله وكلاً، والّا فلانلت من الحقيقة بعضاً ولا كلاً، والّا فلا جرت اقلامي، ولا سرت بي اقدامي، كيف والمسيح روح الله وكلمته القاها الى مريم، وفضله على كليمه موسى حيث يقول في اكتباله (واحلل عقدة من لساني) وهذا في المهد يتكلم، وللمسيح من تلك المعارج والمناهج مقامه الرفيع، وشأوم المنيع، وسعديه المشكور، ولكن يشهد الله ما اردنا الا بيان الفضل والافضليه، والكمال والاكمليه، وفقاً وطبقاً لما قال جل شأنه في عزيز كتابه (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيناه داود زبوراً) وحيث جعل الله هذا النبي الامي افضل النبيين، واكمل المرسلين وجعل شريعته اكل الشرايع نظاماً، وارفعها مقاماً، واجمعها لمصالح الدارين، واقربها لتحصيل السعادتين، لاجرم جعله خاتم الانبياء، وآخر السفراء، وجعل شريعته خاتمة الشرايع، واصفى المشارع، اذ لا شريعة اكل منها في مجال العقل، ومنفسح الفكر، وحصافة الفحص، ومصاعة الآراء، كما اشرنا اليه من الحاجة في اثبات ذلك الى الموضوع الذي يبحث عن كل واحد من احكامها ومشروعاتها* اما اثبات ما ذكرناه من ان شريعته خاتمة الشرايع وانه هو صلوات الله عليه خاتم النبيين، فهو في غاية السهولة بعد اثبات اصل نبوته، وصحة دعوته، فانه موقوف على ورود النص منه بذلك، وقد قال جل شأنه من قائل كما في سورة الاحزاب (ما كان محمد اباً احدي من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)

وبعد هذا كله ، فالعجب كل العجب عجباً والله يذيب القلب ، ويذهل اللب :
 ما يختلف على سمعي ، ويتعاور على ادني ، من ان الغربيين من المسيحيين قد نشروا
 في الآفاق دعايتهم ، وبثوا في البلاد رسايلهم ورسلمهم ، يدعون الى الاخذ بدينتهم ،
 ويرمون شريعة الاسلام المقدسة بوهناتهم . — قيل للجمل من اين اقبلت قال من
 الحماة قيل له صدقت هذا ظاهر عليك من خفك النظيف ، ووجهك اللطيف ،
 ووبرك الغير الكثيف وقدرك المعتدل الاغيد ، وجيدك الحليم الاجيد . — وما ادري بماذا
 حجبتهم ، والى اي شيء دعوتهم ، االى اقليتهم الثلاث — والله واحد . ام الى قذف الانبياء
 بالمعاصي والخطايا وهم رسل الله بالمحسن والمجاهد . ام الى تحليل الخمر والخزير
 وهي ام القبايح والمفاسد . ام الى جحود النبي الامي وهذا الانجيل شاهد . ام الى
 ترك الحتان . وهذا العهد القديم ملء الاسماع والآذان . ام الى شرب الخمر على انها
 دم المخلص . واكل الفطيرة على انها لحم المقدس . ام اشياء كثيرة يازم عندي كتابها ولا
 يليق ببيانها وانا لا اريد عد تلك الشواهد لك ولا ابتغي سردها عليك ولكن
 نجح الانصاف وحرمة الشرف اترى ان محمدا (ص) حتى عند من لم يؤمن بدعوته
 ولم يصدق بنبوته لم يكن حفيواً بتدبير امره قميناً بان لا ينهتك بين الناس مصون ستره
 وقياً بان لا يظهر عليه معاذ الله الكذب الصريح . والخلف الفظيع بحيث لا اقل من
 ان يكون من ساير البشر . وعامة الناس المستترين في ظاهر الحال العارفين بموازين
 الافعال والاقوال — اقبل يدور في خيالك او يحطرك في خلدك ان رجلاً من متوسطي
 العقول . ومتعارفي البشر . يدعي لنفسه ذاك المقام الرفيع . ثم يأتي حاشا لله بشيء
 من الكذب الشنيع . ثم لا يكتفي بان يقول للواحد والاثنين من اهل الملل ان
 اسمي . وجود في كتبكم الميزة من السماء . وقد بشر بمجيئي من جاءكم قبلي من
 الانبياء . حتى يأتي بوحى يتضمن ذلك يتلوه على كل سامع . ويردده في حافل
 الجوامع والمجامع . واليهود والنصارى الى جنبه . واجبارهم وقسمهم بتقريبه .
 والتوراة والانجيل ملء افواههم . وعلى طرف الستهم وهم يسمعون قوله في وحيه
 الصاعد . ونوره المبين الساطع . ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ
 مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ وقوله عن عيسى (ع) ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا
 بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ فاولا ان
 لهذا الامر واقع . ووراء هذا الحق حقيقته . لجأوا اليه وقالوا يا محمد هذه التوراة

والانجيل فإين فيها ما يحصر حباسمك . واي بشارتها تدل عليك بزعمك . ومن الواضح المسلّم انه صلوات الله عليه كان يانس اليهم ويحادثهم ويجمع اليهم . حتى كان من الامتناع عن المباهلة وقبول الجزية . ما تزول به كل شبهة ومريه . وهذا برهان ساطع . ودليل على ثبوت البشارة به في التوراة والانجيل قاطع . والا لنقل اليها محاجتهم معه في ذلك مع توفر الدواعي اليه والى نقله بل الذي نقل وشوهد هو قبول الجزية والامتناع عن المباهلة والمقاتله . ثم ليس لك الرجوع في تلك الآيات هنا علينا قايلا بان هذا يناقض ما اسلفت قريبا من عدم ككون ما في ايدي القوم من الكتب هذا اليوم . هي تلك التوراة والانجيل التي ذكرها القرآن . واعرب عنها بالشرف وابان . فانا نقول في الجواب عن هذه الكريهه . وامثالها من كرايم هذا الكتاب . مما يدل بظاهره على وجود نفس التوراة والانجيل في زمان نزول هذا القرآن المبين . وظهور هذا الدين . من مثل قوله تعالى ﴿ قُلْ فَاتُوا بَاتُورَةَ فَاتُوتُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ وقوله عز شأنه (وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) ونظايرها = انا لانزع بل نقول لعله يلزم ان يبقي الله منها في ايدي آمتها مقدار ما تتم به الحجه . وتتقطع به منهم المذره . لطفاً منه في حفظ دينه . ورأفة منه برسله وعباده . وهذا الباقي من تلك الاصول الصحيحه في غضون تلك المنقبات الموضوعه . هو موضع الاحتجاجات . ومورد البشارات . ومحل الامر بتلاوته . اظهر الحق في طيئته . واما قوله تعالى (فليحكم اهل الانجيل) فهو على التحريف ادل منه على عدمه فان ظاهره ان القوم كانوا يحكمون بغيره ويعد ذلك الا بان يجعلوا ما يوافق اهواءهم ومصالحهم انجيلا فيحكمون به فتويها على العوام ان هذه هي احكام الله كما دلت على ذلك آيات من هذا الكتاب الكريم اذا رجعت اليها وجدتها نصب عينيك وطوع يدك . - هذا مضافا الى احتمال ان يكون التحريف والتبديل قد تدرج قليلا قليلا من بعد ذلك العصر الى هذه العصور بحيث قد بادت الى اليوم نضراؤها وخضراؤها ولم يبق منها الاسماؤها فانك ترى بعض الكتب بحسب تعدد المطابع تختلف كثيرا في قرن واحد فكيف بنا يزيد على العشرات من القرون ولكن الذي يقوى لدي بل يتعين عندي ان الانجيل هو الوحي الذي انزله الله جل شأنه الى خصوص عيسى سلام الله عليه الذي آله وجمعه هو في زمانه أو تلاميذه بمراجعتهم ومطالعته لا ما لفقّه وآله اصحابه بعده باعوام متطاولة . وقرون

متزاميه من (بولس) و (مرقس) و (يوحنا) و (متى) و (لوقا) من الرسائل والنصيف والضمائم التي لا يبعد اندراج شيء من الانجيل الاصيل فيها ولكن بحيث يناع جوهره ودرس اثره ، ولا يمتاز من ورقه ثمره ، وعلى العلات فذبح لانكاد نحتمل ولو وهماً او نتخيل ولو خطورا ، ان شيئاً من هذه الكتب منزلات من السماء او وحي من الله اوحى به الى الانبياء ، بعدما وجدنا فيها من الخلل والفساد ، في مضامينها ومعانيها والفاظها ومبانيها ، وما خالف صريح العقل وصحيح الوجدان ، ولم يكن فيها ما يضطرنا الى التاويل والحمل على غير ظواهرها لو امكن في بعضها فان المزم بذلك هو جهة اعجاز تدل على انه لامحالة من كلام الله الحكيم المنزه عن القبيح وما يخالف ضرورة العقول فانه لامناص لنا في مثله عن الحمل الصحيح ، واما اساطير تلك الكتب فقد عرفت انها تنادي بانها ليست من كلام الله ولا انبيائه - تناديك بذلك بغته ، وتبرأ من الوحي اول وهله ، وتتجافى عن ذلك المقام الرفيع فجاء ، ولا تصل بك النبوة الى تكلف التأمل والتاويل ، والتدبر في الدقيق منها والجليل ، اين الحكم اين الاحكام ، اين العلوم اين الاعلام ، اين العظات الزاجره ، اين الامثال السائرة ، اين التقديس اين النواميس ، اين التمجيد اين التمجيد ، اين التحدي اين التوحيد ، اين الوعد اين الوعيد ، اين الاخلاق الكريمة ، اين الملكات العادله ، اين مالا احصيه من الشرف ، اين مالا اعدّه من العدل والنصف ،

هذه العجاجة والساجه ، هذه الركاقة والفلاكه ، هذه المنجيه والخشونه ، هذه البرودة والغفونه ، من الزنا بالمحصنات من نسبة الخداع والمقتلات ، من الكعك الذي يامر انبياءه باكله ، معاذ الله من ذلك كله ، ولكن ياهل ترى من العدل ان يعادل هذا بذاك او يوازن ، او يقارب منه او يقارن . = ولكن من لي بحكم بيني وبين صاحب تلك (الضلاله) وناسر تلك الجهاله الذي سود وجهه بتسويد مات من الصفحات كلها اباطيل وترتبات - عساك ايها القارى الكريم من مسلم او مسيحي - عساك انت تاتصر للحق فتتصف منه . عساك تكون حكماً منصفاً . وقاضياً عادلاً ، وفيصلاً قاطعاً ، انظر واحكم . واضحك وابك ، من قوله : ان محمداً له المجد والشرف ، كان يعبد الاصنام ويميل الى الخضوع والسجود لها (١)

(١) لا يكاد ينقضي تأسفي ومعجبي من طبع كتاب كتلك الضلاله التي الصق بها اسم (الهدايه) ما اشد تعجبي من نشر كتاب كهذا في عاصمه من عواصم الاسلام (كعصر القاهره) ثم لا وازع

افظر القحّة وحلاية الوجه وقلة الحياء ٠ والضاف تحت الراعدة ٠٠ أيقال هذا في شأن تلك الحضرة الكريمة والقداسة الشريفة ٠ التي كرّرت حياتها ٠ وجعلت عمرها وقفاورهناعلى تكسير الاصنام ٠ وتنديد عبادة الاوثان ٠ وكان صلوات الله عليه ابغض شيء اليه ٠ ذكرها والنظر اليها ٠ وكان لا يجلس في بيت فيه شيء من الاصنام ٠ وفي حديثه مع (بجيرا) الراهب في طريق الشام وهو ابن تسع او احد عشر سنة حين اقسم عليه بالثلاث والعزى فقال له النبي (ص) ما من شيء ابغض علي من هذه الاسماء ٠ ما هو مشهور ٠ واي ضروري في الدهر اجلي وابده من هذا وهل كان في قضاء التصور وفسحة عالم الخيال اعظم فرية من هذه المزعمه وهل هي الآخوافات تلك المصور المظلمه التي ذكرها (الكونت هنري) وغيره وهل يليق بنا ان نصرف نقدا من الوقت في تنفيدها وضلالها ٠ مع تلاشيها بنفسها وبطلانها بذاتها - نعم يلوح لنا ان (صاحب تلك الضلالة) لم يكن على شيء من الدين بل ليس هو الا من الملحدين وهو (يسر حسوا في ارتقاء) ٠ و(عن صبح يرتقى) يريد بتلك الكلمات ان يغيرنا ويحمينا ٠ (معاشر المسلمين) لنقول في قداسة السيد المسيح على ذكره السلام اضعاف تلك المطاعن وما هو اشنع واقطع ٠ ولكن طاش سهمه ٠ وظل علمه ٠ معاذ الله ان يستخفنا الجهل عن العلم ٠ او نفات من ايدينا امراض الدين والحلم ٠ معاذ الله ان نقابله بجهله ٠ او نخرج من الدين كخروجه = نعم يا صاحب (الهداية) بل يا صاحب (الضلالة) ٠ اما (محمد) صلوات الله عليه فقد عقدنا الجز الثالث من هذه (الدعوة) لبيان سيرته ٠ وترجمة حياته ٠ من حين ولادته الى حين وفاته ٠ وسوف ينجلي هناك الحق ٠ ويضي الصبح لذي عيدين ٠ ويستبين الهدى لك ولقومك الذين تنتمي اليهم ولست منهم ولا كرامه ٠ قدر اظفور او قلامه ٠ وعساها تظهر تلك السيرة الكريمة ٠ على طريقة ما كتب مثاها الكاتبون ٠ ولا اصاب فاسفتها الباحثون على كثرة ما كتب في سيرته ٠ أبد الله مدى شريعته ٠

= واما القرآن العظيم ٠ الذي جعلته مع ذاك النبي الكريم ٠ هدفاً لسهامك الطائشه ٠

ولا مانع ٠ ولا تأثير ولا زاجر واي حرية تحول ذلك ان كانت (الحريه) هي ان يسمع كل انسان بحقوقه من دون ان يحجب بحقوق غيره واي اجحاف بحقوق المسلمين انظم من نبي النبي والقرآن بكل انك وبهتان ولقد قامت قيامة اجل الغيرة والفضل يوم وردت نسخة من هذا الكتاب الى الراوية المقدسة من العراق (الجب) وتصدى له حضبا بالحجج القاطعه افراد من علمتهم وواسطهم ومتقدمهم وساقطهم (وليضمن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز)

وميرمى أسبابك بالبهتان والفاخشة . فقد اوردنا لك قليلا من كثير امره . ويسيرا
من عظيم قدره . ودلنا على المعرفة والفضل = على مواضع اعجازه وبهره . واخامه
وقهره . وبلاغته وفصاحته . وشرف معانيه ومبانيه . وربما تسعفنا العناية بمقد جزه
نستوفي فيه بسط الكلام على تلك المقاصد باوسع مما ذكرناه في هذا الجزء . ان شاء الله
وان اعجلتنا عن ذلك . ولم تمهلنا الى سنوح القرض . ورمت المباشرة والمباهلة .
والمقايسة والمقابلة . فنحن نسالك يا صاحب الضلالة . أي الكتابين احق بالكرامة .
واليق بذي العزة والمظلمة . واخرى ان يكون شريعة إلهيه . وقانوناً ربوبياً .
وناموساً ابدياً . اصالح البشر وغبطة عامة الامم — هل هو الكتاب الذي يقول
(ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً) بكل معانيها المحتملة — ام الكتاب الذي يقول
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

الكتاب الذي يقول ﴿مَا أَحَلَّتْهُمُوهُ فِي الْأَرْضِ يَكُونُ مَجْزُولا فِي السَّمَاءِ﴾ — ام الذي
يقول ﴿وَأَوْ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ لا أخذنا منه باليمين ثم أقطعنا منه الوتين
الكتاب الذي يقول (المسيح اقتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لأجلنا) —
ام الذي يقول (كل نفس بما كسبت رهينة) ويقول (ألا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى
وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . وَأَن سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى)
الدين الذي يقول (اقانيم ثلاثة إله واحد) ام الذي يقول (ان هي الأسماء سميتوها
أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) — الدين الذي اذا دخلت الى معابده
ومقدساته ومواضع صلواته وجدت فيها من الصور المنصوبة . والتماثيل القائمة .
والدمى الماثلة . مايوشك ان يعيد لك عهد الوثنية . والعبادة الصنمية . العهد الذي
يشتمل فيه ابونا ابراهيم فيقول لنا (ما هدم التماثيل التي أنتم لها عاكفون)

الدين الذي يعيد لنا عهد (اندرا) و(بوذه) و(كرشنا) تلك الآلهة المصلوبة على
الحشبتين . المثقوبة اليدين والرجلين . التي كان يعبدونها وثنيو الهند وامم الصين —
أهذا الدين خير — ام الدين الذي قد تفانى في التوحيد وعبادة الآله الحق وتشدد
حرصاً على اباداة الاصنام وعبادة الاوثان . حتى حرّم مطلق التصوير فقال في الحديث
المشهور الذي اوشك ان يبلغ التواتر : (ان من اشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوّرون)
ثم لم يكتف هذا الدين الخفيف بذلك حتى حرّم او استكره الصلاة في بيت فيه
شيء من الصور او التماثيل وربما كان في البيت الستار وعليه بعض النقوش غير ذوات

الارواح من شجر او نبات فيقول يا فلانه لاحدى زوجاته نجيه عني
هذه وكثير من امثالها تصالح ان تكون شواهد لك يا صاحب الضلالة على ان محمداً
(ص) كان يعبد الاوثان او يعيل الى عبادتها

أحسبك كل هذا يا صاحب (الضلالة) ام تبغني ما وراء ذلك وتلتمس مزيداً عليه . واول
اردت الاستبحار والتوسع في هذا الاسلوب لجنتك منه بكتاب ضخم . وقول فخم .
وحديث جزل . وكلام خلل . يقتلع جذومك . ويقطع جذورك . ويرميك بالصلادم
من بنات طبق . ويريك اي الفريقين اخرى باللعنة وراحتي . ولكن حسبك هذا وان
عدت عدنا وكانت . . . — اذت يا صاحب الضلالة التي الصقت بها اسم
(الهداية) أفما كان الاولى بك ان تربع على ضلعك . وتعترف بقصور ذرعك . وتلبد
على جروحك . وتشتغل باصلاح عيوبك . وتحفظ على رعاية جارك لست عوارك .
ولا تغتدي كالباحث على حتفه بظافه . والساعي بقدمه الى اراقة دمه . الميرك حرياً
بك ان تترك الاسلام والمسلمين ما تركوك . وتساهم ما سالوك . ولا تعق أمتك
وملكك بما تحسبه براً لها . ولا تصنع صنع العدو منها بما تظنه اعدو عليها . وانا
نذكرك عن اهل الكمال والعرفان منهم أنهم برآ من عملك . ناقون على سوء اثرك .
مستأوون من جنون جنائتك . وافاعي افاعيلك

ثم انت ايها الراكب عن الهوى . المرتاد نجمة الحقيقة والهدى . الطالب لدين الحق .
بعد معرفتك ان الدين هو السعادة الابدية . والحياة الروحية وانه هو الذي
لا بد لك منه ولا غنى بك عنه — ان امكن الشهود بوثاقتك واملكهم لناصية
يقينك واعظمهم وقعا منك واثراً في لك . ونغوذ في اعماق قلبك . هو الشاهد
الذي يشهد لاحد الخصمين مع مناواته له ومناباته اياه . واصحاره بالعداوة معه
والحيف عليه . والمجانبة له . والحياد عنه . فإنه والحال على هذا . لامجاله تزول
التهمة . وتنقطع الظن . ولا يبقى مجال الخابان الريه . وضربان الشبهه . واحتمال
المحاباة . وافتراض التشكيك . فتلك هي الشهادة المقبولة . والحجة القاطعة .
اذا اردت ان تعرف اي الديانتين انفع واجمع . وامن وامنع . واقرب ان تكون
شريعة آلهه . وامرا ربوبيا . وقانونا روحياً . وناموساً ابدياً . ولم تنفع بكل
ما ذكرناه وقد مناه . واردت مثل ذلك الشاهد فدونك هذا البجاث الشهيد (شيلي شميل)
وهو من تعرف امره في معاندة الاديان ومناواته لها اجمع . وعظيم عنائه وسعيه

وما يدأب به من الجهاد في ذات الالحاد • بيد انه كما هو جلي منه • من اشجع الكتّابين والباحثين في الاصحاح برأيه • والاجهار بحرية ضميره • وهو على ما فيه من محاكمة الاديان كلها واعلانه بشنائها وبغضائها • لم يستطع صبرا • ان اعترف بافضلية دين الاسلام على سائر الاديان من حيث جامعته لكل النواميس الحيويّة اديّة ومادية • وقد تكثر ذلك منه في مواضع من مجموعته الشهيرة (بفلسفة النشوء والارتقاء) • أخذ مثالا منها ما نصّه :

خذ مثالا شريعة القرآن فانها بين الشرايع الدينية • الشريعة الوحيدة العملية المستوفاة التي ترمي الى اغراض دينوية حقيقيه • بمعنى انها لم تقتصر على الاصول الكلية الشائعة بين جميع الشرايع بل اهتمت اهتماما خاصا بالاحكام الجزئية فوضعت احكام المعاملات حتى فروض العبادات ايضا وهي من هذه الجهة شريعة عملية مادية وقال في موضع آخر : واعظم ما تركه الاسلام آثار اديبيه لخدمة الغاية الدينية وقد فاق بهذه الآثار جميع الامم التي تقدمته • ثم يقول في غيره في طي فلسفته له عن المسلمين ولو بقيت وجهتهم في مجتمعاتهم • شريعة القرآن وحدها كما هي فيه لما قام في وجههم حائل يصدّهم عن الارتقاء • وقد تقدم نقلنا قوله : شريعة موسى مادية عملية ولكنها غير مستوفاة • وشريعة عيسى وان كانت حكما ومواعظ تعتبر اصولا كلية الا انها نظرت في جلالتها الى العالم الروحاني اكثر من الحياة الدنيا • بخلاف شريعة محمد فانها نظام اجتماعي عملي مادي قانوني حقيقي • انتهى وربما يوجد فيها غير هذا من امثاله فاني لم استقص النظر • ولم استوسع الفحص • وانما عثرت على هذه الكلمات عثورا واصبتها عفوا • وايت مؤلف شمل الضلالة • حين ساوى من سبق في عدم الحرجة من الدين ورفض كلية المذاهب كان قد ساواه كذلك في الانصاف • والاجهار بالحق والاعتراف • ولو كبصيص النور في دياجي الظلمات المدهمة • ايته عرف لكل انسان حقه • وقدره قدره • ولم يُبَيّضه كياه • فلا يجتزأ على قداسة محمد (ص) تلك الجراء • ولا ينال منه ومن كتابه الكريم بتلك البذاءة • ولكن الخور وضعف العقل امرٌ وراء ضعف الدين

واذا كان في الانابيب ضعف ظهر الطيش في صدور الصماد

ثم بعد الاطلاع على كل ما ذكرناه مما قد مناه ولم نستوفه • فياهل ترى بعده من حجة او حديث على اهل التوحيد لاهل الثايش او تجد من سامع او محب • على داعي الصلاة لداعي الصليب

حاشا لله وكلا الاسلام اجل واجلى . وهو يعلم في الحجة ولا يعلم . الحق بلج . والنهج اليه
ابهج والطريق جد واضح ما فيه عثار . ولا عليه غبار . قتبصر ان كنت تبصر . وقد بر
واقبل ولا تدبر . - واقسم ان من ذكر نعم من الامم لو رفعوا عن عيونهم عصائب
العصبيه . وخلصوا عن متونهم اردية العادات الرديئة . لصبوا الى هذه الديانة ولازدادوا
بها يقيناً . ولا اعتنقوها وما اتخذوا سواها شريعة الى الله وديننا . فحسبك حسبك
ايها القلم . فقد اطلت واطنبت * وبعدت وقربت . فعد عن هذا وعد الى سياقة
اول كلامك . وتمام حجتك لنبيك فقد انقطع بك السير وذهبت عن الغرض بعيدا
فلتراجع بك على وشيك فوته - واعلم ان جميع ما سردناه من الكلام من اوائل هذا
الفصل الى هذا المقام انما هو في حال معجزة واحدة من معجزات نبينا (ص) وهي
التي اختص بها من بين الانبياء وحده . حيث بقيت هذه المعجزة بعده . ولم يُعهد
لاحد من الرسل ذلك وهذا من احد اسرار خاتمته وهو احد الطرق التي قدمناها
لاثبات النبوة ولكن هو طريق ما جعل الله السارك فيه لغيره . وقد عرفت في ضمنه
اثبات نبوته بالطريق الثاني وهو نص من قبله من الانبياء عليه والبشارة بمجيئه . ولم
نستوف فيه الكلام اتكالا على الله في استيفاء موافقات علماء الاسلام والصحف
الاسلامية له حديثاً وقديماً . وفي (منار الاسلام) الكثير الوافي منه لمن اراد ان شاء الله
واما الطريق الذي ثبتت به نبوة جميع الانبياء لاهمهم المتأخرين عن زمانهم الغير
المعاصرين لايامهم ولا المستهين من فيض حضورهم . وهو بلوغ معجزاتهم لمن
بعدهم بالتواترات القطعية . فقد شاركهم فيه صلوات الله عليه . ولكن على
اوفي قسم واوفر نصيب . نعم قد تضافرت التواترات . وتواصلت القطعيات
بما صدر عنه من المعجزات . وخوارق العادات . التي انشق عجباً بها القمر
المنير . وظللت الغمامة عن حر الهجير . وسبحت الحصيات في اصابعه . ونبع الماء
من بين اشاجعه . وسلمت عليه الغزالة وردت بعد الغروب اليه . وانتقلت
الشجرة امتثالاً لامره حتى وقفت بين يديه . وسجد كل حجر ومدبر مر
عليه . وحن الجذع له حنين الهايم . وكأم الموقى وخاطبته البهايم . واثمر

من ماء وضوئه الشجر اليابس ، وغرس من الاعواد فايضت على الفور في القلوات البسابس ، وارتجج لولادته ايوان كسرى ، وما سقط زاد الله شرفه حتى اسقط من شرافاته اربعا وعشرا ، وما فاضت بحور بركاته حتى غاضت بحيرة ساوه ، وما اشرقت انواره حتى خمدت له نار فارس ولم تخمد قبل بالف سنة ، الى امثال ذلك مما يضيق عن عدّه المقام ، ولا احصيه ولو كانت السماوات طروسا والملائكة كتابا والاشجار اقلام ، كل ذلك قد صار بحمد الله اتماما للحجة امرا ضروريا ، وكاد ان يكون في البداهة شيئا حسيّا ، فان كنا نشك في وجود كسرى وقيصر وسائر الامم السالفة ، والقرون الخالية ، نشك في وجود مثل هذه الوقائع - والقول بان هذه الامور قد ثبتت بتواتر المسلمين فلا تصير حجة على الخصم ، قول ضعيف يذم عن رأي سخيّف ، مدفوع بوجوه . كل واحد منها كاف في دفعه ، (امّا اولاً) فانه ينسد على هذا باب النبوات فلا يتسع لامة من الامم اثبات نبوة نبيها - فان امة الخليل (ع) تنكر معجزات الكليم وامة الكليم تنكر معجزات المسيح بل جميع الطبيعيين والدهريين ينكرون جميع معجزات الانبياء والمرسلين - على الملمين وليس الا بذلك الطريق ، تهوى اليهود ان تثبت نبوة موسى وتريد النصارى ان تنصر رسالة عيسى وكل امة لها في اثبات معجزات نبيها هذا الطريق ، وليس لها سواه سبيل على التحقيق ، ولكنه يعز على قوم ويهون لاخرين (وامّا ثانياً) فحل هذه العقدة ، وكشف هاتيك الشدة ان المدار في مثل هذه الامور على الشيع والتواتر المفيد للعلم القطعي او العادي ولا طريق غيره والخارج عنه خارج عن الاعتدال ، معجوج عند الحجاج والاستدلال - والتواتر هو كاسبق اخبار جماعة يتمتع تواطوهم على الكذب عادة . ومن هنا يعلم اشتراط تساوي الطبقات في هذه

الخاصه بحيث لو انتهى الخبر الى آحاد لا يمتنع في حقهم ذلك بطلت حقيقته وزالت خاصته ولهذا اتجهت منّا الخدشة والمناقشة فيما لو ادّعت النصارى وتمسكت بدعوى التواتر على معجزات عيسى (ع) وقلنا ان الطبقة الاولى لم تباع الى تلك المرتبة لنزارتها ومعدودية افرادها . بخلاف معجزات (محمد) (ص) فانها الكثرة من آمن به في الحجاز واسيا فاليمن واطراف الشام والعراق سوى اهل الاوبار والاشعار ونزال القفار قد بلغت واستفرغت حدّ التواتر وزادت عليه لوئمة من مزيد . باضعاف مضاعفة لا يفي بها التعداد والتعدد . ولو لم يصدع الوحي الساطع . ويسطع الفرقان الصاعد بمعجزات المسيح من ابراء الاكبر والابرص واحياء الموتى والتكلم في المهد صبيّاً . لما كان لنا طريق الى الايمان والتصديق بواحدة من تلك . ولا سلكت من معجزات الانبياء في سلكك ، فلك يا رسول الله المنة والفضل في ذلك على كل مسلم بل ومسيحي لو انصف . فانك قد ذكرت من قداسة شأن المسيح ما لم تف به حتى اناجيل لوقا ومرقس ويوحنا ومتى من تلاميذه - وحقاً اقول ان كرامة المسيح (ع) لا تحفظ الا بحفظ كرامة محمد (ص) وصون مقامه وتقديس كتابه فلي نصف المنصفون وليتدبر العارفون - (واماً ثالثاً) فكون تلك المعجزات ثبتت بخصوص تواتر المسلمين لا غير ممنوع اشد المنع ، يحق لو غسلوه من كتبهم بالدمع . فان ذلك ثابت باخبار عامة الناس وسائر الامم من اليهود والنصارى والمسلمين والجاهلية وسائر المشركين في جميع الطبقات من عصره الى قرون بعده متطاوله بشهادة قروم من المؤرخين هي عند أمتها صادقة النقل . صحيحة الاصل يكفيك مثل شهادة الاب القديس والخبر القسيس العبري في مختصر الدول . راجعه في تاريخ دولة الاسلام تجده يصرّح ببعض تلك المعجزات

ويرسلها لرسول الله ارسال المسلمات (١)

ومن ذلك يظهر لك ان الامر فيها قد تجاوز حد التواتر وصار من الضروريات والمسلمات ، وعاد منكرها على حد منكر الضروري الذي لا يتضح لديه بعده امر نظري ، وهذا امر يحده المنصف وطالب الحق بميانه وحسنه ويشاهده بادن ايمان في النظر حيث لا تكون نفسه عدوة له وهو عدو لنفسه ، والا فانك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء .
على ان المعاند ان اصر على انكار تلك المعجزات فنحن معاشر الامة المسلمة في مندوحة عنها فاننا بفضل الله تعالى نتمسك بالكتاب الذي لا يشقى من تمسك به ، ولا يهي من اعتصم بالعروة الوثقى من سببه ، فانه 'سلم السلامه' ومعراج الكرامه ، وهي المعجزة التي اختص بها نبينا (ص) من بين الانبياء ، فانه قرب الله وسيلته ، وتقبل في المرسلين شفاعته ، قد اختص كما عرفت من بينهم وحده ، ببقاء معجزته بعده ،

(١) واليك نص حروفه في صفحة ١٦٠ من طبعة اليسوعية عند ترجمة رسول الله (ص) ومجمل من تاريخ حياته وذكر كفالة عمه ابي طالب له الى ان قال : وخرج به وهو ابن تسع سنين الى الشام فلما نزلوا بصري خرج اليهم راهب عارف اسمه بجيرا من صومعته وجعل يتخال القوم حتى انتهى اليه فاخذه بيده وقال سيكون من هذا الصبي امر عظيم ينتشر ذكره في مشارق الارض ومغاربها فانه حيث اشرف اقبل وعليه غمامة تظله . انتهى بحرفه بالله وللانصاف . من ينصفنا من امثال صاحب (الضلالة) واخوانه الذين يدونه في النفي يريدون ان يستروا وجه الشمس باكفهم ويحجبوا النيرات بانامهم ليس هذه معجزة صريحة بشهادة كبير من قسمهم ، بنقل عالم من علمائهم ، وحبر من اجارهم ، في كتاب مطبوع بأشهر طابعهم ، فاذا يطلبون وراء ذلك من الدليل والبيته ولكن غلب المين منذ كان على اختا ق وماتت بغضها الحكماء .
واذا ضلت العقول على علم فماذا تفيده النصحاء .
(وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)

وقد نبيهاك ايضا ان معجزة النبوة على الحق والحققة هي المعجزة التي يتحدى بها النبي وتقارن دعوى الرسالة كاليد البيضاء لموسى حين قيل له (ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين . فالتقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين . وزرع يده فاذا هي بيضاء للنظرين) . وكناقة صالح وامثال ذلك . - ومعجزة نبينا (ص) التي اليها دعى وبها تحدى . هي هذا الفرقان العظيم ، والقرآن الكريم . واما سائر معجزاته فهي كمالات وكرامات . وعلامات وامارات ، بعضها قبل ظهور النبوة ، وكثير منها عند الدعوه ، وبعضها بعد تلك المقامات ، وكلها ليست من معجزات النبوة بل إرهاصات وتتمات ، - انت اذا تدبرت وتبصرت يكفيك شاهد واحد على صحة هذه الديانة - يكفيك مثابة صاحب هذه الشريعة على نشرها ونفوذها وتحمله احمال العناء ، واثقال الجهد والبلاء ، فكيف قاسى لها الشدايد ، وعادى فيها الاقارب والاباعد . وكم تألب وانتدب الزعماء من قبائله ، والكبراء واهل النفوذ من عشائره . لصرفه وكفّه عن هذه الدعوة الشريفة بانواع الصوارف والروادع من تخويف وتهديد . ووعد ووعد ، وتقريب وتبعد ، وجفاء ومجانبة ، وهجر ومعاتبة ، وبذل المال والامارة له عليهم بمواثيق وعهود ، وشواهد صدق وشهود . فما زاده كل ذلك الا حماسا في دعوته ، وحرصا على كلمته ، وغلواء في طريقته ، وقد طففت وطفحت بكل ذلك كتب المؤرخين وكلمات المهرة والثقات من نقلة الاخبار ، دونك ماتوا تر من مثل قوله لعمري وكفيله ابي طالب وقد اجتمعت عنده كبار قريش قائلين له يا ابا طالب ان ابن اخيك عاب ديننا وسفّه احلامنا وضأل آباءنا فانه عا اوخل بيننا وبينه . فوعدهم جميعا ثم عادوا اليه . وقد اشتد غيظهم وقالوا ان لم تنه نازلنا واياك فبعث اليه واعاد كلامهم عليه

فطن النبي ان عمه عزم على خذلانه فشق عليه ذلك وقال يا عم لو وضعت الشمس في يميني . والقمر في شمالي ما تركت هذا الامر ثم انصرف وهو يبكي فناداه عمه قل ما احببت فوالله لا اسلمك ابدا (١)

اقول الابذمة الحق وحرمة الحقيقة ، وشرف الصدق وشهامة الانصاف وشهادة التعقل ، اترى يا رعاك الله وهداك - انه ليس لهذا الامر من واقع . وليس وراء هذه الصورة حقيقة ، وان هذه الشدة ، والحماس والقوة ، كان من محمد (ص) وهو على غير يقين من امره ولا ثقة بدينه . ولا قاصر الهوى من ورائه ، وانه بشر من سائر الناس ، افترى معاذ الله فرية على الله فصبر لها هذا الصبر ، وتأثر لرواجها تلك المثابرة ، وكابر العالم كله عليها تلك المكابرة ، اذا ما انصفت في الحكومة ولا تلطفت في الفكرة ، ولا تدبرت ولا تدربت ، ولا عدلت ولا اعتدلت ، انت واختيارك ، انت وانصافك ، انت ومروءتك ، انت وما ترضاه لنفسك ، انت وما تجده في وجدانك وحسك ، لا بل انت وربك فانه حسبي وحسبك ، اما انا فقد خرجت لك من المهدة ، ومنحضت وطاب المطالب ثم محضت لك الزبد ، ولا اظنك بعد هذا كله تبقى من امر النبوة على ربه ، كيف وقد اشرت لك الى الوجوه البعيدة والقريبة ، واثبت لك الدعوى بصغرها وكبرها ، وجمعت عندك شجون الحقيقة اقصاها وادناها ، واولاها واخراها واقمت لك لتحصيل اليقين ، الاقناعيات والبراهين ، ولقد كان يكفيك دون الذي ذكرناه وقد مناه بكثير ان كنت طالبا للحق والهدى بصدق النية ، وصحيح البصيرة ، ونافذ العزيمة ،

(١) سيأتي تفاصيل هذه الامور على الدقة والفلسفة والبسط والاستيفاء في الجزء

الثالث ان شاء الله

وعصيان الشيطان والعصبيّة ، وان كنت وعافاك الله من المصرّين على العناد
 المعادين للهدى والارشاد ، الذي يأبى الا أن يكون للحقّ جدّاً جاحد ، قال الكلام
 معك من العبث لأنّنا نضرب منك في حديد بارد ، وانت تعلم اصلحك
 الله كيف يبلغ الشقاء بالانسان ، والى اى مقام تبلغ به طاعة الشيطان ، فان
 امم الانبياء كانوا ينظرون الى معجزات رسلهم عياناً . فما يزيدهم ذلك
 الا كفراً وطغياناً . يرون صالح الانبياء . يخرج الناقة العشراء . من الصخرة
 الصماء . نصب عيونهم . وحسب اقتراحهم . وطلبتهم . ثم يمرعون ويمتعون
 عصراً في عميم بركاتهما . وعظيم خيراتها . ثم تترادف النذر والوصايا من
 ايها بحسن رعايتها . وحفظ حرمتها . فيكون جزاؤه وجزاؤها . ان يُمنع
 ما وهبها . ويذبح فصيلها . وتقر عراقيبها واصولها . هذا صنيع الامم
 بانبيائهم . وقس على ذلك سائر انبيائهم . وامعن في الفكرة طلباً . وان
 استطعت بعد فمت من ذلك عجباً . ان معجزات محمد (ص) ما زالت
 تتوالى وتترادف . وتتزايد وتتضاعف لقومه وعشيرته . من حين ولادته
 الى وقت ظهور دعوته . حتى صار الامر عياناً . والحقيقة وجدانا . ومع
 ذلك كله فلم ينجع في مشركي اقوامه . ولا نفع في جاهلية ايامه . وما
 ازدادوا الا جحوداً وكفراً . ولا شرواً الا شراً . وقد ارب الوحي عن
 اصرارهم على الكفر . مع وضوح الامر من توالي الحجج وتترادف
 البينات وان ذلك لا ينفع فيهم ولو أنزل الله عليهم الملائكة وفتحت لهم
 ابواب السماوات . حتى قال جلّ شأنه في بيان تناهي امرهم في الطغيان
 والعناد (ولونزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين
 كفروا ان هذا سحر مبين) وزاد زيدت علينا الطافه (ولو فتحنا عليهم
 باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن

قوم مسحورون) ومن هنا يتضح لك فساد قول من زعم انه صلوات الله عليه ما جاء لقومه بمعجزه ولا اجابهم الى اظهار آيه 'سبحان الله ما اشد العمايه واشنع الغوايه' تمسكاً بالباطيل، وصرفاً لظواهر بعض الآيات الشريفة الى ما يوافق اهواءهم من التأويل، وتغاضياً وتغافلاً عن نصوص الآيات الصريحة في عظيم الآيات، وكبير المعجزات التي جاء بها صلوات الله عليه ولم تنفع بهم، ولم تؤثر فيهم، كقوله تعالى (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) وقوله جل شانه (أَنْظِرْ كَيْفَ نُصْرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ) والغرض من هذا البيان الاخير الذي اردنا الوقوف عليه في فصل النبوة ان اكثر الامم ما آمنت مع ما شاهدته لانبيائها من عظيم المعجزه فكيف نطمع ان تؤمن من الناس كلهم لنبينا بما ذكرناه من هذه البيانات الموجزه.

باكه كويم درهمه ده زنده كوست سوي آب زندكي پوينده كوست وما كان غرضي وبغيتي من كل هذا العناء، وطول ما اوردت في هذا الفصل من الادلة التي هي اوضح من الشمس في وسط السماء، ان يجيب دعوتي كل من وعاءها، ويتبع هذه الشريعة المقدسه كل من رآها، بل قلت في نفسي صيحة في واد، ونصيحة من صميم فؤاد، وخالص وداد، عساها تصادف محلاً، وتصيب اهلاً، من طالب حق، وصاحب عزم وصدق، يهديه الله بهذه الذبالة، ويقتنع من الحث بهذه الخثالة، فيكون ممأعنت يومئذ امس، خيرا لي عند الله مما طلعت عليه الشمس، وحيث بلغ

الكلام بنا الى هذا المقام، فليكن هذا آخر هذا الجز، وتام هذا

الفصل ولتقف عليه راغبين الى الله جئت نعماءه لنا

والك في حسن التوفيق والهداية ان شاء الله

﴿ ختم الله لنا ولك بالحسنى . أيها المحسن الينا بالنظر في دعوتنا ﴾

اتنا نريد ان نختم هذا الجزء ببيان عدة امور ، نجعلها نافعة وتعقيا . ونستودعها من انصاع النصايح نصيا . ضمن ثمات مهمات . تدعم ما تقدم . وتُرفد ما سبق . مرافدة الكف للساعد . والزند للعضد . تسمو انجلا . وتنجلي سماء . وتجهز لك من البيان ما تقطع جهيزته قول كل خطيب . وتعطي لباب الحق لكل لبيب . نصايح اراها لازمة الاتباع . واجبة في ناموس الاجتماع . مفروضة في قواميس الشرايع الإلهية . ونواميس الانسانية . ومقاييس البشرية . وعلى هاجس كل ذي ضمير ووجدان — ﴿ الاولى ﴾ انت اصلحك الله وإياي . ما اظنك الا جد خير بما عليه هذا العالم المحسوس . الذي يعبر عنه في القديم (بعالم الكون والفساد) وما اصدقها عليه من تسمية . انت تعلم انه مها بحث الباحثون . وتعمق الحكماء والفلسفيون . وتغفل الاثريون . يتلثمون العثور على بصيص نور من حقيقته . ويلتمسون التاع بارقة من جوهره . لا يزدادون الا حيرة وتدلها . وبهرا وتعجبا فكلما ابرقت لهم بارقة امل . اخفت منهم جانحة سعي . وكلما تقدمت منهم قوادم رجاء . نكصت بهم اعجاز يأس . فهم والحقايق كواقف على طرف لحي . تيار . لا تنفك تغمره موجة بعد اخرى . اذا انحسرت عنه واحدة فتح عينيه واجال بصره في فسيح هذا الفضاء الغير المنتاهي وقبل ان يتعرف شيئا من تلك الكائنات الاربعة ويتمتع بالنظر اليها = اندفعت عليه الثانية فارتطمت عليه في آذيتها . ودفنته تحت طبقات تلاطحاتها . فلا يزال بين ظلمة ونور . وموت ونشور . حتى تؤدي به احدى تلك القمرات . وتلقيه في اعماق تلك اللجج . وتلجده تحت اطباق ذلك الشبح

سبعت في ليجك علي اري عارفة تكشف لي سرا

فلم اجد ثم سوى موجة تدفعني فيه الى اخرى

تجد هذا الكون ومليكه الانسان . وكأنه مضطر في صورة مختار . ومسخر في هيئة مستقل بالارادة . حر في المشيئة . مستبد بالملكوتيه . وكلها وهم في وهم وخيال في خيال . ما اسرع ما تنقشع سحابتها . وتنجلي عمايتها . — ولا ادري انجلي غب ذلك ام تتكاثف . وتضعف ام تتضاعف (كلمتي) انك تجد الانسان على راسخ ما يزعمه ويعتقده لنفسه من الاختيار والتدبير . وامتلاك التبديل والتغيير

في اوضاعه في طباعه ، في خلقه في خلقه ، في حياته الاجتماعية ، في نشأته الادبيه في عاداته في عباداته ، في سائر طقوسه ومعتقداته ، ولكن وهو في عين هذا الزعم واجواز هذه الفكرة ، وفي عقدة هذه العقيدة . لا تجده الا مدفوعا الى طريق وخليق كأنه مجبور عليها . مسوق بالقسر اليها ، لا تضعه عن تلك الخليقة الف عظه ولا يصحو بسمع الف نصيحه — نعم قد قال ذلك الفيلسوف العربي ونعم ما قال

غلب الين منذ كان على الخلق ق وماتت بغيضها الحكماء

يكتب انكاتبون ، ويبحث الفلاسفون ، وينصح الصلحاء والمصلحون ، ويجهد علماء الاخلاق واطباء المجتمع البشري في بيان العلل والامراض ، والعلاج والدواء والاسقام والشفاء ، ولكن هل نجح شي . من ذلك او نفع ؟ وهل دفع او نفع ام هل كبح من ذلك الجراح ، واثر شيئا من الصلاح ، وهل تغير وضع هذا الكاين البشري عن خليفته الاولى ، واطواره المتقادمة ؟ اليست هذه النفوس بعد على غاوانها لا تزال تتراعى في مهاوي اهوائها ، وتتعاذى على عوايدها وعدوانها ،

هل جنت الارض يوما من وابل الدماء البشريه التي يظلمها الانسان من اخيه الانسان وما تتركه من مخابر عدوان البشر من اهاب البشر ؟ هل صاحت الارض في قرن من القرون او عقد من العقود ، او برهة من الزمن ؟ كم قرع باب سمعك حديث وضع السلام على الارض ومجالس التحكيم ، وموتمرات السلم في (لاهاي) فهل وجدت لها سوى تموجات في الهواء ، كأنها نقوش على الماء ؟ هل استطاع النطاسيون ، والمهرة الاخلاقيون ، والرجال المصلحون ، ان يضعوا لجشع الحرض والقلب ، والاثرة والاستملاك حدا محدودا ، وسياج حصينا ، واطارا منيعا . وسورا شاهقا لا يخرق ولا يفتق ولا يتسلق بسلام الحيل ، ولا يرتقى بمعارج الخداع ؟ هل اتسع لرجال الاديان وزعماء الملل ان يحموا الامم على التساهل الديني ، والعدل الإلهي ، والحظوة المثلى ، والسنة المستقيمة التي لا ترى فيها عوجا ولا امثا ؟ هل امتلكوا اقناع اهل الاديان ان اديانهم لا تبيح لهم التورط في التعصب ، والتهالك على التهارش ، والهملجة في العُشم والظلم ، والدعارة والفجش ، والتلاكم والتسابب ، والتنايز والاعتياب . وايداء كل واحد لآخيه ، وهتكه لنواميسه المحترمة ، وشعايره المقدسة ؟

هذه عدة اسئلة — ولا اعرفها سياسية او دينية ، اخلاقية او اجتماعية . كما لا اعرف شيئا من حقيقة امرها ، ولا جانبها من جواباتها . اذ ليس لي وقوف على اندية السياسة

ولا المأم لي بصحف الحوادث ووقائع الأكوافعى ان يكون عندك خبر منها
او اثاره علم عنها - سوى اني ما اظن ان تسمية هذا العالم بعالم (الكون والفساد)
الأ تسمية قد طابق الاسم بها المسمى . وطاح السبر بها على الجراح
(وعلى اي) فحيث ان الكون على ما سبق لك - كله مدفوع بدوافع قسريه
ومشاهد محسوس . ولكن تتصرف به عالم واسباب غيبية . فالكاتب جرياً على
ذلك الناموس يندفع الى كتبه ونشر كلمته - اندفاع كل الى سبيله وسيره في صراطه
وجريه على نهجه الذي يُسر له وسبق اليه . وكأنه لا يستطيع عنه تحوُّلاً ولا انتقالاً
- وهاتان اذ قابل مقالتي . ناشرفكرتي . باث دعوتي . على علم مني أنها صرخة في
واد . ونفخة في رماد - . وحيث لا يعرف الدواء الا بعد معرفة الداء . ولا
يصاب العلاج الا وراء اصابة السقم . فحذير ان نبحت لمعرفة هذا المرض الاجتماعي
اعني تقاطع رَحم الاخوة البشريه . وذهاب الرحمة الانسانية - نريد ان نعرف
هل ان عواطف الشفقة والحنان والرحمة ليست سوى حروف في المعاجم . وتقاطع
اصوات على اطراف اللسنة . ما خلق الله في الخارج منها حقيقة . ولا جعل في الاعيان
لها مصداقاً . ام هي غرايز اودعها الله في البشر . وغرسها في الطباع . وايكن
مُحتم آيتها . وازهقت حياتها . وتبدأت تلك الغرايز باضدادها . واصبحت
الانسانية تنشد ولا سامع ولا مجيب قاتلة

الى كم الرحم البلهاء شاكية	لها من النعمي اِعوال وارنان
حيرى يفضلونها ما بينهم ولها	منأ على عدواء الدار نشدان
النجر متفق والرأي مختلف	فالدار واحدة والدين اديان
وتم أوعية الاحسان مكفأة	فوارغ ووعاء الشر ملآن
أني يتاه بكم في كل مظلمة	وللرشاد امارات وعنوان
ميلوا الى السلم ان السلم واسعة	واستوضحوا الحق ان الحق عريان

واو ذهبنا الى التوسع والترامي من سبب الى سبب ومن علة الى علة من سلسلة هذا
البلاء . وعلل هذا الداء . لطال بنا الكلام . وتباعدا عن الغرض . وانكنا نشير
الى اقرب اسبابه واظهر مبادئه وينابيعه

ان البلية على هذا المجتمع التي قضت عليه بالشقاء . وطول البلاء . لا تعدو رجلين — رجل نازع الى مذهبه . مستمسك بدينه . مستشعر بشريعته . ولكنه جاهل بها قاصر فيها . ضعيف الحظ من عرفان جوهرها . واستكناه حقيقتها . فلقصوده وجهله يريد ان ينفعها فيضرها . وان يحييها فيميتها . فيخرج منها اكثر مما يدخل فيها . وآخر ليس له ال ولا ذمه . ولا يرى لدين من الاديان حقيقة ولا صحتها لا يدين الا بئاوأة الاديان . ولا يهدأ الا بهدم تلك الاصول والاركان . فهو يتوصل بكل ذريعه . الى قمع كل شريعته . ومن تلك الذرايع فيما يرتأي له ان يزرع بذور الاحقاد والاضغان بين اهل الاديان ومحترشي ما بينهم حتى ياقحها حربا عوانا عليهم وعلى اي الفريقين دارت الدائرة . وبآتيهم حلت الوقيعه . كانت له الغبطة والغنيمة . والفرحة والبشرى . وهذه احدى مكاييد الغربيين لنا معاشر الشرق وحبايلهم التي تعدوا لاصطيادنا وتقسينا . حتى اوشكت (لا سمح الله) ان تظفر ببغيتها . وتحصل على آمالها . يجي . غربي ملحد يحقي اسمه . ويكتم نفسه . وينشر كتابا بصفة انه مسيحي (ولا ورب المسيح) ما هو من المسيحية في شيء . فيضع في دين الاسلام والذي الظاهر الامين = كل همز واز = وسبة ونبز

وسعى الي تعيب عزة نسوة جعل الاله خدودهن نعالها

نعم لولا اكتساب الحاسدين بنعله شرفا لقال الجد طأ آنافها

ثم ليس كل المسلمين يصبر على ذاك او يملك السكوت عليه . ولا اذا اراد ان يتكلم يعرف من اين توكل الكتف وكيف تسد النبال للنضال . فيكيل بذلك الصاع . ويطعم من ثم ذلك الفرس وحصاد ذلك الزرع . واشوى شريه . واهون حاله . ان يكافي السيئة بمثلها ولا يربيهما ويزيد فيها . فيتجاهل على سيادة المسيح وقداسته ويقول فيه ما تعلمه من قبل امته في اخيه حبيب الله محمد سلام الله عليهما ويسبي . فكايه في كل شعائر تلك الملة من انجيلها ومرثيا وصلبها وكرايسها ورهبنتها وتعميدها وفصحها وسائر مقدساتها . ثم يشتد بين الفريقين التشتت حتى يصل الى ما هو اسوء . من التلاكم والتلادم ثم قد يتسع الحرق ويعسر الرق وهناك العاقبة الوخيمة (لا سمح الله) و(غايتي) اننا لو رجعنا — ليس الى جرهر ادياننا الحسب بل ولو الى حواشيها واطرافها ودخايلها واصايقها لم نجد فيها شيئا يبيح لنا بعض ذلك فكيف بكلمه . من ذا يجهل انه ليس من دين المسيحية جواز ايذاء المسلمين وهتك نواويسهم والظعن في نيتهم

وكتابتهم كما انه ليس من دين الاسلام مسٌ شرف المسيح واحتقار صليبه وامثاله ممّا
نُفي اليه وجعل من شعائر دينه بلبه الانجيل والتوراة والكنيسة والعذراء . -
قل لي بابيك لا بل يرتبك - اي الديانتين تبسّج ذلك الخلق الوخيم والتعصب الذميم
- المسيح الذي يقول في وصاياه : كن كالشمس تطلع على البر والفاجر والطيب
والخبيث - ام الحبيب الذي يقول في جوامع كلمه : اصنع المعروف مع اهله ومع غير اهله
فان لم يكن من اهله فكن انت من اهله - الانجيل الذي يقول : سمعتم ان الانسان عين
بعين وسنٌ بسنٍ واما انا فاقول لكم لا تقاوموا البشر بل من اطاعك على خدك الايمن
خول له الآخر . ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء . ومن سخرك
ميلا فاذهب معه اثنين - ام الفرقان الذي يقول (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض
عن الجاهلين) (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولأن صبرتم لهُو خير للصابرين)
(واذا ما غضبوا هم يغفرون) (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله)

ألا بعزة الدين . قل لنا اي هاتين الديانتين تسمح لأهلها بكل ذلك التعصب
والتضارب . ثم اليس من العجب مع كل تلك الآيات ما يحاوله ويومي اليه بعض كتّاب
المسيحيين من ان العلم يحكم بالتساهل ولكن الدين لا يساعد عليه نازعا الى فصل
العلم عن الدين في فلسفته وتلك الآيات الذهبية نصب عينه وقيد نظره . أمّا نحن
فالدين الذي لا يتششى مع العلم ويتكاتف واياه . لا تجدنا الا ضاربين به عرض الجدار
وان كنا لا نستقبله بالمهانة والاحتقار . سيما اذا كان إكلها ولو في بعض الازمنه .
بل نقول ان الدين فيما عدى التوحيد كاللآل الزلال يتشكل باشكال ظروفه ومظاهره
حسب اقتضاء الاحوال . وهل يستطيع العلم هنا ان لا يرافق الدين ويوافق

ويولي عليك ويولي منك ايها الانسان - ما اتمسك واشتاك . وما تعاستك الا ممّا
جنته يدك (يدك او كتافوك نفي)

العناية لا تزال تبعث الخاصة من صفوتها والضيعة على عينها . لصالح هذا الضعيف
المتحرد = المختلف هو في نسبه الى آدم . ام الى مجتمع اصل يتفرع منه هو والقروء
تجهد العناية في اصلاحه على تعاليمها ومساعي المذدوبين من سفراتها . فينقسم ذلك
التعيس على نفسه طائفتين = واحدة تكذبهم جهارا . وتسومهم هونا وصغارا
وذلا واحتقارا . واخرى تصدقهم في ظاهر الحال ولكنها تتلاعب بتعاليمهم تلاعب
الصية بالاكتر . او الريح بآالي الشجر . حورت تلك الحقائق عن اصولها الى طبق

اهوائها • وأمت بها الى غايات انفسها لالى جواهر غاياتها • (وهكذا فعل الانسان
وهكذا لا يزال يفعل) الكاتب يكتب • والمصلح يصرخ • والناصح يصيح حتى
يبيح • أما البشرف فكان واحد يسير على ماتوجهه اليه آلهة طباعه • وما يتنزل عليه
من سماء اهوائه • كل يسير فيما يتيسر له • ويجري على ما يجز بزمعه منفعة • سابع
في غمرة • صاح في سكرة • (لا يدري بما في الانجيل) ولا بما في القرآن من عظة او بيان •

اتلوصحائف وجنتيك وانت في سكر الصبا لم تدري بالانجيل

والفرض من كل هذه النفثات ان الشرق قد تقام بين هاتين الامتين • حتى بلغ الخزام
الطبيين • ولم يقصر الشعب والبلاء على الشتم والسباب في المواقفات والكتب
وهتك كل حرمة دين الآخرين بل تجاوز الى ما تسمع وترى من دماء تسفك •
واعراض تهتك • وعمران بلاد تنسف • واعمار عباد تقصف • وكل ما تقشع له
ابشار البشريه وتضج منه الى الله الديان • ثم الى الضمير والوجدان • واعظم ما هناك
رزية - الصاق كل ذلك بالاديان التي عرفت كيف تبر • من ذلك التعصب وتدعوب كل ناطقة
منها الى التساهل والتعاطف وبث روح الحنان والرحمة في كل امه ومع كل حزب وطايفة
- بيد اني لا اشك ولا ارتاب ان تساهل المسلمين فيما لا يزال ديننا وادبا او ما يسمونه
(سياسة) تساهلهم في كل تلك الاحوال وتعصب غيرهم لدينهم وقومهم ولقتهم
وعاداتهم وسائر شؤونهم - تساهل اوائك وتشدد هؤلاء - هو احد الاسباب
التي تركت المسلمين على ما تراه اليوم مما لا ازيدك به علما ولا عنه خبرا •

واكن أترك لو تغلغت في البحث عن الاسباب والمباني وفحصتها باذن فحصك •
وسبرت بها بمسبار غورك • ووزنتها بغيار مقاييسك • - اكنت تجد السبب • او اشد •
غير دخول الغربيين ومد يد ايديهم الى الشرق ؟ خذ من يوم الحروب الصليبية الى
يومك هذا • واحسن النظر • واحلف الفكر • وقف في المراكز وأذر بصرك في
الحواشي والاطراف • ولا يسمح لي مقامي هذا (وانا اكتب في الدين والاسلام)
ان اعود موخرها وجامعا لك الشواهد والامثال والقرائن والاحوال • التي
تتجلى لك بها تلك الحقيقة ولا ترتب فيما احزته وحده

أليس قد مررت اربعة قرون او اكثر من اوائل الاسلام يوم كانت الدولة عربية
اسلاميه - والمسلمون مع المسيحيين في سلام ودعة • وهنا وراحه • وصفا • وعجبه •

(١) مثل في عرف اهل العراق يقولون (ما يدريك ما في الانجيل) ولا يخفى الفه هنا

ليس بينهم طرف نزاع ، ولا حاشية مشاحنه ، حتى في المباحث الدينيه ، والاصول
 الاعتقادية ، لا يجد كل من جاره ومواطنه . الاكل حومة ادينه ، وكرامة لمذهبه ،
 ولا يدور بينهم في كل معاملته الاكل حسنى ومجامله ، - سل (بغداد) عاصمة
 الاسلام ومدينة الشرق وقاعدة الخلافة يوم ذاك - تحبرك عن كثير ذلك وقليله ،
 ودقيقه وجليله ، حتى اذا مسح الغرب عن عينيه سنة الكرى وايقظته زعقات الشرق ،
 ولمعات ذلك البرق ، وكان اول انتباهته تلك المناوشات في الاندلس تلك الدول
 العربية الزاهرة ذات الحضارة الباهرة في القرن الرابع . ثم سرت تلك الحركة الفكرية
 في الامم الغربية حتى تركها الشرق والعبرة به والغيرة منه في المقيم المتعبد والمسيح
 المسعد ، فكان اكبر هممتهم واعظم مكرهم واشد ما عندهم وما يستفرغ جهدهم
 سقوط الشرق من اوج مجده ، وهبوط نجم سعده ، وثقل عروش شرفه ، ولم يجدوا النجح
 للوصول الى هذه الغاية من تحريش بعضهم على بعض وافساد ذات بينهم . وتضاربهم
 على انفسهم ، واذا تقطعت اوصالهم سهل استنصالحهم وهان امرهم ، ثم وجدوا
 اقرب الطرق الى مايرومون من افسادهم وشقاقهم القاء العصبية الدينية فيما بينهم
 فسلكوا اليهم من هذا السبيل حيث اصابوا فيه مدخلا كالتقاء ، وطريقا اوسع
 من الدهناء = والمعنى الظن لا يرتاب ان كل ما نشر من المطاعن على الاسلام والمسلمين ،
 ما كانت ولم تكن الا من الغربيين حتى ماهو باللسان العربي منها فضلا عن غيره والا
 فاننا لم نعهد من بني اوطاننا الشرقيين كما لم يعهدوا منا الاكل سلم ودعه وملايعة ومجامله
 نعم ماهي الا من احدى غرايب الغربيين وما هي منهم ببعيد ، كيف وقد
 انضم الى الجشع السياسي وشره الاستملاك والاستعباد ، ما شرب في قلوبهم من
 حب الاخاد ، وبغضة عامة الاديان - فهم في الافساد بيننا معاشر الشرقيين - يسعون
 الى غايتين . ويقصدوننا من وجهتين . دينية وسياسية

فن احدى خدعهم ودسايسهم التي لا يزالون يعملون عليها لاشباع نهمتهم وتبريد
 غلتهم باستملاك الشرق اولا . وقلع جذور المذاهب والاديان ثانيا . رغبة في الاباحة
 العامة . والسراح المطلق - انهم وضعوا رساله . بل تلفيقا ضلاله . ونسبوا الى
 ما اختلقته نفوسهم . وافكته افكارهم . من رجل مسيحي اسمه عبد المسيح كتبها
 في جواب عبد الله الهاشمي احد بني عم الامون حيث دعاه الى الاسلام - وكل ذلك
 كما تعلم انت وكل شاذ ومنتهى في اودية التاريخ - ان كل ذلك مختلق مجعول

لاوجود له في فروع الكتب ولا في الاصول اذ هذه شهود كتب التاريخ بين ايدينا ونصب اعيننا وقد احصوا فيها التقدير من دولة العباسيين والقتيل وليس فيها من ذكر ذيك الرجلين اثر ولا عين ولا في واحد من الكتب المعتمدة كتاريخ الطبري والمسعودي واضرابها حرف من تلك القصة بل ولا اشارة الى وجود انسانين في زمان المامون كعبد المسيح او عبد الله وكل ناظر في تلك الرسالة بتدبر يهتدي الى موضع الحيلة منها وان اقصى مقاصد واضعها هو الطعن في اساس كل دين ومذهب وان كان في صورة الحال قد جعل خطة المقال الطعن على شريعة الاسلام والانتصار للنصرانية ولكنه (يسرُ حسوا في ارتقاء) ويتوارى في رميها من وراء . وما زالت حياء هذه الخديعة تظهر كل يوم بلون . وتبرز كل عصر بلباس . حتى ظهرت ثانيا في مقالات (هاشم العربي) وما هاشم هذا الا كعبد المسيح ذاك - وليس هما الا كهيَّان بن بَيَّان والحارث بن هشام او ابي زيد السروجي . وقد جعلت تلك المقالات في ذيل كتاب (الاسلام) لصال جرجيس الانكليزي المتولع بين قومه بالعلوم الاسلاميه وترجمة القرآن وتفسيره بلسان امته حتى رمي بينهم بالميل الى الاسلام لكثرة توغله فيه و كان مما آلفه في هذه الخطة التي عاناها وعرف فيها مقالات في تاريخ بدء الاسلام وتنتشاره وغوه وبيان تفاصيل مشروعاته وعباداته وسائر اصوله وقوانينه وترجمة حال القرآن الشريف وكيفية نزوله وترتيب سورته وآياته وناسخه ومنسوخه وذكر تاليفه وترصيفه وفهرست مندرجاته ومضامينه الى غير ذلك مما يدل على سعة اطلاع ذلك المواقف وانه وان تحامل على الاسلام احيانا ولكنه لا يحيف كثيرا ولا يتباعد عن الاسلام شاسعا بل قد يلوح من بعض رموزه انه يعتقد الاسلام ويتكتم به فهو يرمي الى الحقيقة من بعيد . ويرنو اليها بنظر سديد . ولكن على رغم الفضيلة . ان مقالاته تلك وقمت الى بعض اولئك الملحدون والدجالين فترجمه من الانكليزية الى العربية وباليقين ان موارد التحامل كانت من الخيانة في ترجمه وما اكفى بذلك حتى ضم الى تلك المقالات التي مسخها عن شاكلتها الاولى بترجمته فحوَّلها الى التعاسة والتناهي في الشقاء والضلاله والانسلاخ عن زي الباحث العلمي وآداب المناظره . ببذ البذاءه . وجرأ عنة الجراءه . وهتك نوااميس الحياء والخصافه . بيد انه ما كان يستمد غيئه وبغيه الا من تلك الرسالة المنسوبة لعبد المسيح بجامع الاشتراك في الزندقة والاحاد والدجاله . وكتمان الاسم وكشف السوء . فذاك استعار لنفسه الحبيشه (عبد المسيح)

وما هو إلا رجيع ابليس . والثاني الصق بتعاسة ذاته اسم (هاشم العربي) وما هو إلا هادم الشرف العربي . وما هو من العرب إلا كوا وعرو . او (كدعوى آل حرب في زياد) او (كرحم المير من ولد الاثنان) نعم اشترك هذان الدجالان في كل مواد السب والشتم . تلك الحضرة المقدسة الكریم . الكلمة بتاج لولاك . لما خلقت الافلاك . اشتركا في كل سخرية وهزء على الذات الاحمدية . ومراة الحقيقة الاحديه . اشتركا ولا غرو ولا جرم فان شياطين الجن والانس ليوحون الى اوليائهم زخرف القول غرورا . ثم مازالت تلك الفرقة الدجالة الخبيثة . تجري على هذه الشنشة الغير الحديثة . من الختل والخداع . وكتبان امرها والظهور بلباس غيرها . وشق عصا الاديان . والقاح الفتن بين الامم وتشيت شمل الشعوب . واشعال نيران الحروب . وتزيق القرى الآمنة المطمئنة . وتفريق العناصر الملتزمة والممالك المنظمة كل عصر تترأى بري وتظهر بلباس . وما الحقيقة والقصد والرأي إلا واحد . ما هو إلا اذهاق روح الاديان . والحاق الانسان بالبهيمة والحيوان . فان ذلك اللسان لسانهم . ولحن القول لحنهم . والأخفاش عامة افراد الامة المسيحية فضلا عن احبارها الافاضل . وقسمها الامثال انهم مساوا في حق تلك القداسة العصماء بانبت شفه كيف ولم تزل سرادق الحشمة واستار الصيانة مضروبة بيننا وبينهم معروفة ومألوفة عندنا وعندهم . ما هتكت بالتجاسر على كبراء ديننا ودينهم والعميزة في زعماء ملتنا وملتهم . كيف وما هو من دأب ذري الفضل والناهجين على سنة العقل في حق اي احد كان واي ملة كانت فكيف بهذه الملة المقدسة وشارعها الصادق الامين لا وعزة الاديان لا يكون جزاء (محمد) له الجد والشرف . من الامة المسيحية ذلك وهم لا يجهلون ولا يتناسون ان ذلك البر الرفوف ومظهر الرحمة الواسعة اسأ ملك ازمة القوة . وامكنته يد القدرة والسطوة . كيف منحهم حرية الدين . وادخلهم في الذمة المرعية . وعقد بينه وبينهم العهد الوثيق . وجعلهم من رعايته وحمايته في امنع كنف . وامرع كهف . ثم اتسع التأهيل والترحيب . وزاد التلطيف والتقريب . حتى صارت النواقيس تن في عواصم المسلمين . ودين النصرانية تعد نوايسه وشعايره بازاء هذا الدين . فها هي تلك امهات بلاد الاسلام قبل كما هي اليوم — كنائس ومساجد . ونواقيس وماذن . وزوايا وصوامع . وقس وعلماء . ومطارنة وقضاة . ورهبان ومتصوفة . وهلم جرا . كل طائفة مقرونة باختها . وكل طريقة

مقابلة بنظيرتها • بكل حريتها • وتمام لمنيته • ناهيك عما هم الحقونه واعراضهم
المصونه • واموالهم المضمونه • قل لي بشرف الانصاف • اى ملة سمحت لضررتها
وابنة علتها — ما سمحت هذه الملة المقدسه لآخواتها الكتابيه • ومعاهداتها الاجنبيه •
ولا اظنك جهلت • او نسيت ما كان من الثورات الدمويه التى كانت بين الامم السافه
فى القرون الغابره مما ليس هنا محل تفصيله • وحقاً ان هذه الشريعه الساميه الاسلاميه
جاءت بالسلام العام لكافة الانام وكانت حناناً ورحمة عامة لعامة العالمين • فلتحيا
هذه الشريعه الى يوم الدين • وبعد هذا فلا اظن ان احداً من الامة المسيحيه يذكر
هذا النبي البر الكريم • الا بكل تبجيل وتجليل واحترام وتعظيم كما لا يزال كذلك
دأب الراسخين منهم فى العلم (ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون)
عن قول الحق وكلامه الصدق امسى النصارى قول هذا الفرقان الحكيم (لا ينهاكم
الله عن الذين لم يعاقبواكم ولم يخرجوكم من ديارهم ان تبرؤهم وتقسطوا اليهم)
او تنسى قول ذلك النبي البر (من آذى ذمياً فانا خصمه يوم القيامة) الى كثير من
امثال ذلك مما لا يتسع المجال لأحصائه وحقاً اقول ان الجهابذة منهم والاساتذه
المتضامين فى العلوم ما جهلوا ذلك ولا نسوه ولا تناسوه وقد قدروا هذا النبي الامين
قدره وعرفوا شرف ما جاء به وان لم تؤمن به السنتهم فقد آمنت به قلوبهم • نعم
وعلى رغم الوفاء ورغبتهم وبالعزیز علينا وعليهم ان بعض اهل الغرارة والجهل منهم — وما
اكثر ما يتفق مثلهم فى كل امة وملة — قد اتخذوا وخضعوا لمفتريات اولئك الملاحدة
المتسمين بعباد المسيح وهاشم العربي وغيرهم فأنسوا بها بحسبان أنهم اولياؤهم ومن
حزبهم وهم اشد الاعداء لنا ولهم فاعادوا تلك المقالات بعينها مع بعض التغيير
والتشويش فى سوقها وترتيبها على الغرّة والجهل باقصى غرضها ومعزى قصدها وانها
هدم فى اصولهم • وصدم وردم على عقولهم • وكالها عايدة بالنقض عليهم • وظني
ان بعض ضعفاء النصارى المزجاة بضاعتهم من العلم ولا تظنّه سوى مؤلف (ميزان الحق)
لما تحامل على الاسلام وتقبح على معارضته ولم يجد فيه محل نبر ولا همز •
الجانّه الضرورة الى التعويل والتشبّث بكلمات اولئك الملاحدين • المناوين والمماندين
لكل مذهب ودين • حتى انتفضت رحمة الله ذلك الصارم الهندي فردّ اقوابيله
واباطيله شذر مذر • ومزقه كل ممزق ولم يبق فيه ولم يسذر • وقبل استيفاء
المقالات الخمس التى وقع الاتفاق بينهما على الخوض فيها نكص عاجزاً • ووقف ناكلاً

ولم يخض معه في بقية المسائل راجع (إظهار الحق) ولو احتج يظهر لك ذلك ان شاء الله ثم وصل الدور . ودالت الايام . وجاءت التوبة . الى صاحب (الضلالة) فرام بزعمه ان يردّ او يكتم (إظهار الحق) فجمع اربعة مجلدات احتطب فيها خبط عشواء جملة احاديث مشهورة الوضع من الضعاف والناكير ثم تمسك ببعض متشابهات من القرآن وعقّبها باشكالات في العريية دلّ بها على انه لم يتلمظ من العلوم الآلئيه ولا ببيلة منها ثم كان اوفر بضاعته المهارة في صناعة الشتم على ازكى النفوس الطاهره . فتراه يسرد لك في عدّة مواضع : انّ محمداً (تعالى الله ورسوله عما يقول الظالمون) غدر وكفر وفجر (غفرانك اللهم) وعبد الاصنام وشرب الخمر ونقض العهد وتزوج زوجة ابنه . وهلمّ جرّاً . ما شاء وشاءت له الفوايه . انظر الى سلحة ابليس وسلاحه . وقخته وصلابة وجهه . وتلك وامثالها هي كانت عدّة هاشم العربي وعبد المسيح و(ميزان الحق) وما اكثر ما تكذب الاسماء . او تكون بعلاقة الضد . نعم ياهو . لا . لو كنّا معاشر المسلمين كما انتم فيه من عداوة الرحمن وعبادة الشيطان وعدم رابطة من الدين الا رابطة الكفر به والاحاديه . قلنا ازاء ذلك القول : انّ المسيح كذا وكذا ومريم كذا وكذا . وكان لنا مجال واسع . وشبه حجج قواطع . ولرايتهم ايّنا اضعف جندواشدّ في الشتيمة شكيمه . ولكن معاذ الله ان يستخف جهلكم بجلنا . اوياتي الحادكم على وطيد ديننا . والكني نذير لاهل الفضل والاصحاء والصلحاء من النصارى الذين تتشمون اليهم - انا نذير لهم بان يهثروا ولا يهتروا ولا يغضوا الطرف على هذه الفظايع والمنكرات . انا نذير لهم في ان يهتروا بقطع دابرهم . والبراءة من اواكم وآخركم . والعناية بتربية امثالكم او اعلان البراءة منهم والآفني جملة المسلمين ودعارتهم من يستطيع ان يتسدّج في المسيح اكثر ممّا تسدّجتهم وافتحرتهم في حبيب الله (محمد) (ص) ويقدر ان يكشف الحجاب ويهتك الستار ويقول في درة صدف العفة والطهاره (مريم العذراء) ما انتم اعلم به وهنالک ايها الاصحاء واهل السلامه . صهّوا آذانكم . واستغشوا ثيابكم . وغضّوا ابصاركم . او ميلوا الى جانب اهل الحنأ والفجور . والمهر والفسوق . (لا سمح الله) ويكون البسادي اذ ذاك اظلم . والذنب على الساكت او المسبّب اعظم

نعم وجميع اولئك الاوشاب الطغام المتحاملون على شريعة الاسلام و كل اخوانهم الذين يدؤنهم في الفبي والبغي على تلك الشرعة الطاهره وشارع المقدّس كلهم بحمد الله

ما اضرُوا بها نقيراً ولا فتيلاً وما كان حالهم واياها في الرد لها والظعن (معاذ الله)
 عليها الا (كبتني الصيد في عريسة الاسد) او (عثية تقرم جلد املسا) ولقد كنت
 ايضا قبل برهة من الزمن صمت الغزيرة لما نظرت في مقالات هاشم العربي المجهول
 الحقيقة ان افرد موضوعاً في تزريق اقاويله وتفريق اباطيله قائلاً له (قد انصف القارة
 من رامها) (لث قليلا يلحق الهيجا حمل) وأريه اننا بحمد الله اقدر على السب
 والشتم . والظلم والمهضم . وبذاءة اللسان . وجراة الجنان . من كل متعود لها .
 معوّل عليها . ايس عنده سواها . فاهو ان جرى او جاري . الا كالجباري . ولكن
 عزفت وانصرفت اشدّ العزوف - صوتاً لا قلامياً عن التلوّث . بنقل شباه كلمات ذلك
 الماعد الحديث . وترفعاً بنفسه عن تلك الخطاة التعميسه وتزريها لها عن سبة المسبة وشيعة
 المشاعة . وتركته يستأكل بنفسه . ويتلاشى بذاته . فان الربد يذهب جفا .

وكم من لنيم ودّ اني شتمته وان كان شتمي فيه صاب وعلقم

والكف عن شتم اللّيم تكرر ما اضر له من شتمه حين يشتم

(كيف لا) والبغي يصرع اهله والظلم مرتعه وخسيم

على ان كلما يتمسك او يمكن ان يتمسك به المتعاملون على الشريعة الاسلامية من
 الشبه والمراجعات قد اجبنا عنها فيما تقدم فهذا ما يعود الى المباحث العلمية التي يسوغ
 لنا الخوض فيها واما ما وراء ذلك من الاستهزاء وقول الزور والفحشاء فجوابه على
 اهل الفضل والكمال منهم ليردّ الحليم السفية والعالم الجاهل

و(قصاري وكلمتي الاخيره) تذكير المسلمين والمسيحيين جميعاً ان البلاء بينهم قد
 تعاظم . والشر قد تفاقم . وان يد العدو لها معاً قد لعبت فيما بينها حتى اوشكت
 ان تقضي عليها . وان تلك المكافحة والمكابجه . التي هي اشد اثراً من المسايقة
 والمراحمه . ليست هي من مقتضيات طبائعهم . ولا من آيات شرايعهم وانما هي
 ذبية راصد لها . وشبكة احتيال عليها

ولا احسب ان النصارى لم تتضح لهم بعد جلية الحال ولم يستمعوا المنذر التاريخ وداعي
 العبر وما حدثتهم وقايح الايام عن الغرب وحجزتهم من مطلق الدين ونواياهم فيه
 كما احسبهم لا يخذعون لبرقشة سياستهم وتوددهم اليهم وهم يعلمون ان الغرب لو
 امتلك الشرق (لاحازت تلك الساعة او حان حيني) ما كان ليخص الاسلامية بعصفه .

ويبسط النصرانية جناح لطفه . وبساط عطفه . بل ينظر الى مطلق الدين بعين سخط واحد . ويستقبلهما مابطوة جاحدة . واخذة قاسية . وهناك الرق والاستعباد . ومظاهر القسوة والاستهلاك . استهلاك كل امة ملكت قرينتها . واستعمرت نظيرتها . فان راق لكم ذلك — والا لحفاظا على السالم والدعة والصفاء والمجامله . حفاظا على كرامة الاديان وصوناً لها من حفزات من لا يركن الى دين . وان التحقق بالمسلمين او المسيحيين . ألا وان عزيمة من عزومات الله عليكم . وعظيمة من عطاياه فيكم . ان لا تهملوا النظر والتدبر في هذه الخاطرة فاعلمها خطيره . واعلم لها كبير اثر في ناموس الاجتماع وان كانت في القول صغيره . وحسبكم وراء الاخوة البشرية — جامعة الوطن واللسان . والايمان بالمبدء والمعاد . والحساب والجزاء والكتب والانبياء — فان دعت الدواعي لكل واحد من الفريقين الى الدعوة الدينية أفلا يكرن بحفظ الشرف والعفة والنواميس والنزاهة والشهامة والكرامة هذا ما قوله واتمناه لي ولكم ولا متي وامتكم وما هو على الله بعزير اذا شاء .

﴿ الثانيه ﴾ انك ربما عرفت من جميع ماتقدم من سياقة مباحثنا وطرز طريقتنا ولحن كلماتنا . اننا لانود الا ان ننصف في الحكم . ونعدل في القضيه . ونعترف لكل ذي حق بحقه . ولا نبخس الكيل . ولا نطفف الوزن . ولا نحيف على ذي الفضل . ولا نساوي بين المسي . والمحسن . ولا نطرد اللائمة على انبهي والجاني ولا نحكم على العام بحكم الخاص .

وقد رايت في اوائل الجزء الاول بعد ان ذكرنا شيوع الإلحاد والداروينية عند الغربيين . كيف استدر كنا ذلك بذكر جملة من مشاهيرهم كان لهم في الدين القدم الراسي والعرفان الراسخ . والوصول الى الحقيقة . واوردنا من كلماتهم ما يشهد لهم بسكمال المعرفة . وصادق اليقين . وصحة الدين . واصابة ادق الادلة والبراهين . وعلى ذلك النسق وفي ذيا لك الطرد . وجب هنا ان نشير الى كثير علماء الغرب الذين بحثوا في الاسلام المباحث الدقيقة . واصابوا منه الجوهر والحقيقة . وكانوا على جانب من الانصاف . دفعهم الى الاقرار والاعتراف . ثم علمي دأبهم ودينهم من التوسع في البحث والتناهي في الفحص . والبلوغ الى التجوم والتعاليات . دون السطوح والاطراف . قد تخصص بخائون منهم في هذا السبيل وخلصوا اعمارهم لتلك الغايه . فما ازدادوا به الا يقينا . ولا عليه الا تعويلا . واصبح لهم من راسخ

العقيدة فيه ما ليس للكثير من العريقين به والناشئين عليه ، ولا جرم فإن واجد الشيء بعد الجهد والتعب ، والالتباس والطلب ، والنصب والعناء ، غير من جاءه هفوا ، واصابه صفوا ، واخذه وراثته او حبه . واستلمه تقليدا ومتابعة

ولست ارمي وانحو الى جمع كلمات كل غربي كتب في هذا الموضوع ، واصحر بهذه الحقيقة . وجاهر برير ذلك الرأي . على اني في لوعة اسف اذ لو كنت قيّدت وعلى الاقل اسما من عبرت على ذكرهم من اولئك الباحثين الذين لهم قيل حق وكلام صدق . ودقيق بحث . واستخراج جلي برهان . على صحة الاسلام وانه هو الدين الحق وحق الدين . ولو توّعت الى ذلك لكنت قد جمعت الى زمانى هذا اكبر كتاب وانفس موضوع في الاسلام ولكن ليس يخفى سبيلنا على من احاط خبراً بما سبق من هذا الجزء واكثر الذي قبله فان من تدبرهم اسيرا وسبرا لاحالة يستبين له اننا في اويقات املانه وسويغات انشائه . لم نستقص النظر ، ولم نحص الفحص ، ولم نواصل التتبع في مطالعة الصحف والكتب المشروعة في امثال المواضيع التي طرقتها والابواب التي قرعناها استطرادنا سياقة تحرير هذا الجزء . من اوله الى مقامنا هذا من دون ان ننظر في المواقفات التي تسدّد عن الاسلام وتناضل دونه ، فضلا عن امعان النظر في الصحف والمجلات الاختصاصية بذلك الشأن او التي تستطرده استطرادا ، ويتفق لها الخوض فيه احيانا ، من مقتبس منار اوسيل رشاد او ملاجي او غيرها

مما أسعفت ان ارى من ذلك شيئا ، او اتقيل من ظلالها فينا . بل اكتفيت بالعقيد الحاضر في الخاطر وبما سنح على الفكر وبما ابقته سيطرة النسيان . وصككة صروف الزمان من المراجعات القديمة . والمطالعات الغابرة . فكان القلم والطبع معا يتجاريان ويتباريان من دون وقفة وانتظار . لمراجعة او استحضار . من حرّ تحرير او محاوره تحرير الايسيرا من تعهد المهدين ونور من الكتب لضبط النقل منها . اما ما شرفنا به صحايفنا من كرايم القرآن المجيد ، فقد كنا نورد اكثر الآيات من غير تجديد مراجعه اخذاً بما في الحافظه وبقايا الذهن والذاكره ومن ذلك ما وقع في بعضها من السهو ويسير من التغيير في حرف او حركة كما سندل عليه عند نهاية هذه الخاتمة ان شاء الله نعم ان الوحدة وعدم المساعدة ، وقلة العديد والعدة . والاستعجال وقصر المدة ، وتدافع الخواطر على الذهن وتزاحمها على الفكر . لم يدع الاستقصاء مجال فرسه ولا للاستعانة بغير الله حاجه . وكفى به ناصرا ومعينا . وعلى ما قول شهيدا

ومذ بدا لنا ان نذكر شيئا من كلمات من فاق واربى . من علماء اوربا . من متتوري الافكار . ومستشرقى العلوم ، الذين دفعهم سابق الانصاف . الى المعرفة والاعتراف بعد ان سلكوا الطريق . واصابوا الحق بالبحث والتحقيق فخلعوا نير العصبية ، واغلال الالاف والعاده ، والجمود على تلقين الآباء . والامهات ، وقطعوا السلاسل الحابسة عن النهوض الى طلب النجاة . المانعة عن اغتراف السعادة من مناهل عين الحياة - وجدنا ان ذلك يحتاج الى بذل جهد واستفراغ وقت وجمع عدة قد يعسر جمعها ولا يجتمع الا بعناء شلها ، وكان قد مر على لامي رسالة للفاضل الانكليزي الشهير (عبد الله وليم كويليام) الذي اهتدى بنور عقله ومجاهدة نفسه الى هذا الدين الخفيف ، وحاد بنفسه الى التوحيد وفارق التثليث . في هذه الاعصار وتلك الامصار التي تعرف انت كيف عزوفها عن الدين وعزوبها عن تطلب الحقايق الروحية ، وتكميل النفس بمعرفة خالقها ، ومبدئها ومعادها ، فانهم عن هذه المسائل بمراحل وما الاديان عند اكثرهم الا اوهام هي من مجعولات البشر وموضوعات الزعماء ، ولاكن الله سبحانه يمد بعنايته من يشاء من عباده ، ولا يحبس الطافه عن رومي ولا خوري ، ولا يحضها بعربي ولا عجمي ، بل فيضه عميم ، وفضله جسيم ، وبذلك تجد هذا الحرّ الحري بالتوفيق قد احرز نصاب الصواب في هذا الباب فشتر عن ساعد الممه في الدعوة الى الله والاخذ بتوحيده وخلع ربقة الشر وموبقة الشرك عن الاعناق حتى آمنت جماعة من قومه ، وحفلة من ابناء جلدته اتخذ لهم مسجدا لاقامة القرايى ونشر تعاليم الاسلام المقدسة فيما بينهم وما زال يبت في تلك الاجواء والارجاء الادلة القاطعة والبراهين الساطعة على افضلية الديانة الاسلاميه على سائر الاديان . فمن بعض منشوراته في هذا السيل رسالته الشهيره (بالعقيدة الاسلاميه) المترجمة الى العربية بقلم السيد سليم افندي التتير المتطلع في اللغة الانكليزية وقد نقلت الى اكثر اللغات الشرقية كالعربية والفارسيه والهنديه وغيرها وطبعت عدة دفعات وتعددت ترجمتها الى العربية باقلام عدة من الكتاب وقد وقفنا على ترجمتين منها - الثانية منها بقلم محمد ضيا مطبوعة في السنة الخامسة عشر بعد القرن الثالث عشر والاولى في التاسعه بعده وفي الثانيه رسم المحترم كويليام بعنوان (شيخ الاسلام) في الجزاير البريطانيه

وبعد انتهاء ما اردنا بيانه في هذا الجزء استحضرت الترجمة الاولى ومذايت عليها

بالسر وجدتها فضلا عما فيها من وثيق الدلائل ودرشيق المسائل التي توافق جملة مما قدمناه وتشهد على بعض ما ذكرناه ، وما أكثر ما تتوارد الحواطر وتتفق القرايح ، وإذا صفت وانصفت عقول الرجال فهي مرايا ، والحق واحد حيث كان لا يتعاند في الافكار ولا يتعايا ، فضلا عن هذا — وجدتها قد اشتملت على كلمات حافلة من ابناء جلدته وزملائه الذين اشرقت لهم لمعات الاسلام بمتنور افكارهم ومتسعر قرايحهم ولطيف هواجسهم * ونهضوا في الدفاع عنه والتدافع اليه بكل حاسمهم وحواسمهم ونظرا لما نرغب فيه ونزاع اليه من المعدلة والاعتدال وحب الانصاف وتسميا للغرض وتعميا للفائدة . وتأكيذا للحجة . وتسديدا للبيان . واقتناعا للخصم . ومجادلة بالتي هي احسن * عفت لاستدراك ما تقدم وكفارة ماسلف . على اني ما اقرت ولا جنيت ولكن انصافا لذوي الفضل . واعترافا لذوي العرفان . ودلالة على مكانتهم من حرية الضمائر وصحة البصائر اخضت مقالات ذلك الفاضل في تلك الرسالة الوجيزة وسردت ذكر من نقل عنه ما يوافق رأيه ويعضد قوله ويدعم حجته — اوردا لك ذلك لتعرف ان العناية ولطف التوفيق منه تعالى شانه — لا يختص بشرقي ولا غربي . ولا عبري ولا عربي . وبه يستبين لك ان ما عنيانا به واحتدمننا عليه من اثبات حقيقة هذا الدين المحمدي هو الحقيقة بنت الفحص خطيبة العلم عقيلة العقل نتيجة الوجدان صفية الانصاف ذلك مما نورده عليك من كلمات امثال ذلك التحرير من كل مضطلع من حكماء الغرب خبير . وما زدده من الايضاح والتسمة لكلماتهم وهانحن ذاكرون صفوة مباحثها على العهدة الوثيقة والامانة المرعية . سوى اننا نجوز منها عما لا يهشأنا ذكره . او ما يكون جليا مشتهرا امره . وبالله المستعان في جميع ما نحوم حوله ونحاوله ونطلبه ونتطاول اليه وعليه المعول ومنه المعونة ان شاء الله

قال شكر الله في الاسلام سعيه : ان خلاصة البحث الذي تضمنته هذه الرسالة قد تمثلت به خطيبا ثلاث مرات في قاعة فرنون بمدينة ليفربول وقد اشار علي بعض الذين اعتنقوا هذا الدين المبين بنشر تلك الخطب تعميا للفائدة العمومية — وجل ما حاول ان احسن استيفاء آداء العقائد الاسلامية باوجز عبارته لا تحل باداء المقصود ولا اخرج بذلك عن الموضوع موطدا آمالي ان هذه الرسالة ستكون سببا لازالة التعصبات الدينية على الدين الاسلامي وان يتهيا لي ضم الاعتقادات الاسلامية على وجهين مفيد ان من العجب العجيب اتحاد ملايين المسلمين والانكاذ تحت تبعة واحدة وكثرة

اختلاط الدين الاسلامي في المملكة البريطانية مع انه قلما يعلم الانكليز شيئا عن الدين الاسلامي وتاريخه واتباعه ولذا نرى حقايق هذا الدين محتجبة عنهم ومن جري تراكم الجهل عليهم يسهل انخداعهم وتهورهم تبعا لكل من يقاوم هذا الدين وبما انه من الواجب على النوع البشري المسالمة والمحبة وفعل الخير والارتداع عن الشر مع ابناء نوعه نرى من الانصاف ان نضرب صفحا عن هكذا موضوع - ان اوضح كتابة كتبت على دين الاسلام واقصرها ما قاله (داود اوركوهرت) في مقدمة كتابه في المجلد الاول المسمى روح الشرق المطبوع ١٨٢٩ - وهو ان الاسلام لم يكن دينا مبتدعا ولا وحيا مخترعا ليس به قسوسيه ولا حكومة كنائسيه بل سن شريعة للناس كافة ونظاما مدنيا يجب على كل مسلم الانقياد اليه - ولقد اكّدت هذا القول جم غفير من الاوروبيين مثل (بلكريف) و(فبري) و(رولنص) و(ليرد) و(رولند) و(استلي) و(الدري) وخلافهم - ايضا نرى كل من سافر الى الممالك الاسلامية يأتينا بشيء من خصالهم الحميده ومع كل هذا فان افكار الأمة الانكليزية حتى الآن لم تتأثر بذلك وحقيقة دين الاسلام هو له لديهم ومن المعلوم ان الامة الانكليزية مع ما هي عليه من اختلاف المذهب في الدين المسيحي قد ورثت من آبائها الكراهة الشديده لهذا الدين حتى صارت تلك الكراهة كانها من واجباتهم الدينيه ولا تمثل اسحق آيلر المحترم خطيبا في المجمع الكنايسي وفاء بالحق بكل امانه بكتوته بالتعصب الباطل - اما ملاحظاته التي اوردتها في المجمع المشار اليه في وفره مبتن ونشرت في جرنال التيمس في اليوم التالي بتاريخ ٧ تشرين سنة ١٨٨٧ فهي مقالة مهمة جدية بان تقب بتدقيق تام وانتباه وبما ان الوقت لا يسمح لي بان انقلها حرفا بحرف لضيق المقام اكتفيت بايراد قسم منها ثم ذكر ذلك الى ان قال . = : وقد افاد الاسلام المدنيه اكثر من النصرانيه وكل من يطلع على الاخبار الرسميه الانكليزية وتقاريرات السياح المتأخرين يتضح له حقيقة الدين الاسلامي باجلى بيان ويعلم ان العبيد حينما يعتنقون الاسلاميه يبتعدون عن الخديعه واكل لحوم البشر وقتل الاطفال وياخذون باللباس والنظافه والطهارة والكد في طلب الكمال الانساني واتخاذ الضيافه ويندر فيما بينهم شرب الخمر والميسر ويمتنعون من الرقص الفاحش واختلاط الذكور بالاناث ومن اعظم الكمالات عندهم عفة النساء وطهارتهن ويظهر لديه كيف تبدل الكسل والاجتهاد ويرى كيف ان الشرع ناسرلواوه والعدل مستحكم البناء ويعلم ان البغضاء

وحب الانتقام محرمان عندهم فلست ترى بينهم الا اللطف والوداعة والاخاء الديني والرفق بالحيوان والرقيق - أما اتخاذ الزوجات والتسري فانها منظران ومضارهما ممنوعة والاسلام يفضل كافة اديان البشر عفة وزهدا - مثلا ان امتداد التجرا لاوربي ينتج عنه امتداد المسكرات والرزائل واحتقار مخلوقات الله عز وجل وأما الاسلام فلا ينتج عنه الا التمدن الحقيقي وتعلم القراءة والكتابة واللباس الحسن البسيط والنظافة والعفة والوقار بالاقتصار ان نتايج حظره الرذائل وما ينشأ عنه من التمدن من الامور المدهشه * ما اقل ما نبديه بالنسبة الى الاموال الباهظة التي نتكبد بذلها والارواح التي نضحيتها في افريقيا لانا اذا عدنا المنتصرين الوفا نعد المسلمين ملايين وامري ان هذه الحقايق الثابتة التي تواجهنا هي من الحقايق المكدره جدا ومن الحماقة والجهل ان نفرض الطرف عن ذلك فيجب علينا ان نعرف الحق لأهله وهو ان نعلم ان الاسلام لا يضاد الديانة المسيحية الاصلية وما هو الا اعتقاد ايمان ابراهيم وموسى (ع) مع بعض فروض مسيحية غير ان اليهودية تختص بامة واحدة والاسلام للعالم اجمع = وقد انتشر الدين الاسلامي الذي لم يخالف ما جاء به موسى وعيسى انتشارا سريعا في آسيا وافريقيا لأن علماء اللاهوت قد بدّلوا العقائد المسيحية بعقائد عقلية فانهم طالما حاولوا ان يبدّلوا الفجور بالعفة وذلك بابتداع الرهبانية وجعلوا الرخصة الى الزنا والتفديس ترك الزواج فلم ينشأ عن ذلك الا الفجشاء والمنكر والبغي حتى اصبح الناس كوثنيين يعبدون الشهداء والقديسين والملائكة - أما الاسلام فقد ازال كل هذه المنكرات والخرافات التي احدثها علماء اللاهوت بمباحثهم اللاهوتية الباطلة وهي الرهبانية التي يلقبونها بتاج التقوى لأنه لا رهبانية في الاسلام بيد ان الاسلام اخلص التوحيد لله جلّ وعلا واستعاض الرجولية عن الرهبنة وابان للآرقاء انهم ومواليهم اخوان في الدين وانهم من اب واحد وعلم كيف يدرك ادنى الشعوب الفضائل والكمالات الانسانية كالغفاف والطهارة وحفظ النفس والعدالة والاحتمال والاحسان والضيافة والصدق والتسليم للقضاء والقدر وعندهم الوصالا الاربع الاصلية وهم ممتنعون عن الخطايا السبعة المميتة فالاخاء المسيحي هو صوري فقط واما الاخاء الاسلامي فهو اخاء حقيقي ولذا نرى المسلمين جميعهم متساوين بالوحدة الايمانية والانسانية قال تعالى في سورة الحجرات التاسعة والاربعين ﴿ اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اخُوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ اخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ فكل من يدخل في دين

الاسلام يكون اخا حقيقياً الى ١٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ نفساً من المسلمين بالاخاء الديني الحقيقي اما المتنصر فلا يعدّ اخاً مساوياً كتساوي الاخوية الاسلامية الخقه نعم ان ما ندعيه من الاخاء عند ما نجتمع على المكتبة اكثر من الكثير أما في المعاملات اليومية فقليل جداً لا نستغرب تصريح القرآن المجيد بذكر جنة محموسه لأن تكوين هذه المكونات هو اعظم برهان واقوى دليل على ذلك - اقول ثم اعاد القول في الامرين اللذين اتخذهما عسيري وهما تعداد الزوجات والاسترقاق الى ان قال واذا قلنا بمضار تعداد الزوجات فانا نرى لها منافع تفوق تلك المضار لانها ازاله وأد البنات ومنحت كل انثى حسي شريعياً تخلصت بها البلاد الاسلاميه من الحرف المقوته التي خزيها في المسيحية اشد وأكث من تعداد الزوجات - فيا حبذا تعداد الزوجات المنتظم في البلاد الاسلاميه فانه اقل اهانته للنساء واكثر حصانه للرجال من البغي والفجور الذي هو خزي عظيم على البلاد المسيحيه وهذا البغي غير معروف لدى الأمة الاسلاميه فهل والحاله هذه يمكن لبغاة الانكليزان يرشقوا المحصنين الاسلاميين بججارة الطعن والملام فلنخرج الجسر أولاً من اعيننا قبل ان نخرج القذى من عين اخواننا* لا يشين بالاسلاميه استعمال هذه الامور الاربعه تعداد الزوجات والطلاق والتسري والاسترقاق لانه مباح لهم ولم يبرح من خلدنا ان هذه الامور الاربعه قد استعمالها اخواننا الانكليز الاميركان مع انهم مسيحيون في بلاد مسيحيه ولكن استعمالهم لها بطريقة وخيمه

ومما يليق بنا ان نذكره ان الآداب الاسلاميه خير من آدابنا وذلك بتسليمهم لقضاء الله عز وجل وقدره واللفظ والوداعه والصدق والاخاء الايماني فلا غرو ان يكون لنا بهم اسوة حسنه فقد حرّم الخمر والميسر والبغي وهذه من مساوي البلاد المسيحيه انتهى كلام (اسحق تيلر)* قد نشأ عن ذكر ملاحظات (كتن تيلر) مباحث عديده في اعدة جرنال التمس ولضيق المقام اكتفي بذكر بحث واحد فقط قبل ان اذكر المقاصد التي بنى عليها هذا الكتاب تنمياً للقائده قال يوسف ثبسن الرحاله الشهير بكتابه تاريخ ١٠ تشرين اول سنة ١٨٨٧ المنتشر في التيمس ١١ شهره ما نصه من كلام طويل قال في آخره ولترجع الآن الى غربي افريقيا واواسط السودان وهي بلاد اتاح لي الحظ زيارتها فانا نعجب اذ نرى الاسلام ضارباً سراده مكلاً بتيجان النجاح كأنه في بادىء بدء فهو ينشر في اسواق (سيار اليود) وما بين اكواخ اكله لحوم البشر على ضفة نهر النيجر واعبري ان ما فهمت به هو الحق وليس كما زعم المبشرون الذين

يجهدون جهدهم ناسبين رزايا الاتجار بالوقيق الى الدين الاسلامي باذلين أقصى الغايه باضعاف اهميته يدعون ثبورا لساكني غربي اواسط افريقيا من غو الاسلام فيها وانى لهم ان يعترفوا بامر لم يكن من مبادئهم زاعمين ان الدين الاسلامي لا يمكن انتشاره الا باحد امرين السيف او اضرام النار فيسرهم ان يثلوا احد العبيد جاثيا على ركبتيه جازعا مستغيثا وكوخه مشتعل بالنار وامراته واطفاله يساقون الى الاسترقاق والاغلال في اعناقهم وأحد جبابرة الاسلام مصلتا سيفه قايل احدى اثنتين القتل او القرآن واظن ان هذا التصور قد ورثه البنون عن الآباء عن آبائهم - يخ بخ اذ انني نظرت بعيني راسي ان كلما نسب اليهم افك صراح وان اعظم نجاح للدين الاسلامي باواسط وغربي السودان انما هو بالسلام والوداعه فانه منذ نحو الجيل الثاني عشر وراعي الغم الفلاني والتاجران النوبي والهوصي لم يزالوا يدعون الى دينهم وهو ينتشر من بحيرة چاك الى الاوقيانوس الاثلاثيكي حتى نجسم عن ذلك ان تلك الاماكن امتلأت باكوخ يقطنها امم المسلمين ولم يعودهم الامرسوى زعيم يجمع قلوبهم على كلمة التوحيد وقد تم لهم ذلك حيث في ابتداء هذا الجيل قام بهم ذلك الرجل المدعو (بغوديو) وباقرب وقت اصبحت الاسلاميه هي الدين الحاكم على بلاد عظيمه . . . الى ان قال من الاسلام وهو دين حسن المأخذ مقبول عقلا يعلم بكل سهوله يسهل فهمه على العبد الوثني فذائك التاجران يقيان فيما بين الوثنيين امأ شهرا او نصف عام وبذلك المدة تراهم يعجبون من حسن ملابسه ونظافتها ويقتدون به في ذلك لانهم لم يروا منه ما تشتمز منه نفوسهم ولا يسمعون منه من امر دينه ما لا يفهمونه وبهذه الطريقه ابتذرت بذور التمدن والدين الاسلامي في تلك البلاد العظيمه فيما بين الامم التوحشه فاصبحت تلك البلاد تدوي بصدى اصوات المؤمنين صباحا وظهرا ومساء وطفقوا يسجدون لوحدة الله تعالى بعد ان كانوا يسجدون للاعجار والشفاء التي كانت تبتهج باكل لحوم البشر شرعت تشتغل بذكر عظمة الله ورحمته

ثم اننا لو فرضنا ان انتشار دين الاسلام لم يكن كله بسلام فلا نعجب من ذلك ألم يمض علينا ثمانية عشر قرنا حتى علمنا ان ليس لنا صلاحية ان نجبر غيرنا على ديننا فهل والحالة هذه نعجب من عبد ذي نشاط يجبر اخاه ان يعتنق بركات دينه - وحيث اننا فرغنا من كلام ابناء جلدتنا اختصارا فلنذكر الآن بكل تدبر وتوده مقاييد الاسلام ونرى هل يقبلها العقل السليم والذوق المستقيم ام لا - ثم ذكر التوحيد

وكلمات الوجدانيه والآيات القرآنيه المعنيّه بهذا الشأن العظيم ثم ذكر اكابر الرسل على حسب معتقد الاسلام من لدن آدم الى ان بلغ الى احوال المسيح وبعض شؤونه فقال ثم من بعده (اي بعد موسى) ارسل الله نبيه عيسى (ع) وهو المعبود عند النصارى كآله ومخلص يزعمون انه مساوٍ بالاوهيه لله تعالى عن ذلك علواً كبيراً وهنا الفرق بين معتقد النصارى واعتقاد الاسلام فانا اذا سألنا المسيحي الذي ليس بمتطلع باللاهوت عما يعتقد بالتاليث يقول اب وابن وروح قدس ويزيد بطريق التوضيح ثلاثة اقانيم آله واحد وان يُطلب منه ايضاح هذا الكلام الذي لايسلم به العقل اجاب بان هذا سر لا يدرك وان كان المسؤول كاثوليكيّاً او اسقنيا انكليزياً ربما رجع الى الايمان المعروف بالايمان الاثناسي (نسبة الى اثناسيوس) المنتهي بعد تلخيصه وتصريحه باصوليات الايمان الكاثوليكي بالهلاك الابدي لكل من لم يقبل كل كلمة وجمله من هذا الاعتقاد الثلاثي وقد وصف الشاعر بيرون هذه المسأله بكل حذاقة واحساس في ابيات مألها - فبناء على قولكم ان جميع الاشياء ملعونه فيشمر المرء بالراحه بعد لعنة اثناسيوس وهذه اللعنة تسر مصدقيه غايه المسره . واني لارتاب بانه ليس بالوسع البشري ان ياتي بأفحس منها على اعدائه حال كونه جاثياً على ركبتيه موء كذا لها بأفصح عبارته ومزيناً بها كتاب الصلاة كما تزدان السماء النقيه بقوس قزح انتهى

ان كلمة ثالث ليست من الكتب الالهاميه وليس لها وجود البتة في الكتب المسيحيه وانما ادخلت الى الكنيسه في الجيل الثاني بعد المسيح (ع) لكي يبينوا ان ثلاثة اقانيم اله واحد على ان اعظم الكتبه في علم اللاهوت عاجزون عن ايضاح هذا وكتاباتهم على هذه العبارة في الاغلب هي من قبيل الاعتذار او التصريح بأن سرّ التثليث يتجاوز الادراك وقد ابان الدكتور (روبنسن) احساساته بقوله : ان سرّ الثلاث ليس من اختراع البشر لان عقولهم تعجز عن ادراك كنهه - فان ثبت ان كلاماً تعجز العقول عن ادراكه ليس من وضع البشر يثبت قطعياً ان جميع الاعتقادات التي تعجز العقول عن ادراكها كإيمان الاسكندنافين (قوم من الوثنيين) والمصريين القدماء وتعليم المهنود الوثنيين هي ليست من اختراع البشر ايضاً بل هي وحي الهي لان العقول تعجز عن ادراكها والذي نظنه ان هذا الافتراض لا يروق للامة المسيحيه وقال كاتب آخر في هذا الموضوع : ان تعليم الثلاث الاقدس بين النصارى انما هو موضوع ايمان وتسليم لاموضع بحث واستقراء فكل من طفق يبحث فيه باكثر من

ان الله بكلمته المقدسه علمنا ذلك فقد يو. دي به ذلك البحث الى الشقاء المحض
(كلاماً ابدع هذا المعنى) ايها الاخوان المسيحيه الاتقياء لا تنتكروا بان تدخلوا
بالبحث في هذا السر بل يجب ان تردوه قايماً بدون ادنى بحث او تحري وان كان
يأباه ذوقكم السليم فغزو به بان هذا الايمان الكاثوليكي الذي كل من لم يعتقده
حرفاً بحرف نزل به الهلاك الابدي بلا ريب

يقول صاحب الدعوة الاسلاميه : ان الفاضل المتبصر عبدالله وليم لم يوف البيان حقّه في
جواب قولهم ان سرّ الثالث تعجز البشر عن ادراك كنهه وانه يلزم التعبد به
والانقياد اليه من دون بحث او تحري ونحن من كتب قد وفينا البحث عنه والقول
فيه وجئنا لك من كلام هذا الفاضل وزملانه بشاهد ما قدمناه من ان قولهم اقانيم
ثلاثة آله واحد - كلام لا يتحصل له حتى عند النصارى معنى متعقل ولا يتعقل له
وجه محصل - نعم قف هنا معي قليلاً ريثما اجار لك شمس الحقيقه في البحث عن
قولهم يلزم الاعتقاد به والانقياد اليه على ايمانه واجماله . والتهديد بالهلاك الابدي
للباحث عن اشكاليه . واخشي ان تحملك بادرتك على ان تقول لعل سرّ الثالث
عند المسيحيين هو من قبيل ما يوجد في كلمات بعض اكابر المسلمين حيث يقولون هذا
طور ورا، طور العقل وامر فوق درك البشر وامثال ذلك ونحن يعون الله نحلّ هذا
الرمز ، ونفتح هذا الكثر . ونبدي الفرق بين القامين . والميزين الكلامين .
وذاك بما تكرر عليك ذكره من ان الميزان الذي لا عيلة فيه ولا عين ، ولا ميل به
ولا مين . هو العقل المستقل بالحكومه . والوحيد بالقضاء . في مثل هذه الخصومه ،
ويستحيل ان يقبل او يتعبد بما يراه مستحيلاً ذاتياً . وممتنعاً اصلياً . ويستحيل ان يقع
من الصانع القديم ، والشارع الحكيم . تعبد وانزام لعباده بالتصديق والالتزام والتدين
لما يمدونه في عقولهم من المستحيالات الذاتية . والمحتنعات الاوليه ، ويرون ان ذلك
اقوى شاهد على فساد تلك الشريعه ، وزيف تلك المله . - وان من اوائل المعقولات
في الادراك والمدرجات في العقول - استحالة كون الواحد الحقيقي ثلاثة حقيقة
فالواحد لا يكون ثلاثة - والثلاثة لاتصير واحداً - الا على نحو الانقسام في الاول
- والتركيب والانضمام في الثاني - وكلاهما مستحيلان في حق القديم جل شأنه
اوجوبه وكمال بساطته وسعته واحاطته كما اوضحنا لك سبيله وقدّمنا دليله وليس
هذا . : وارد الالتزام والتدين بما لا يعرف سرّه ولا يدرك غوره ، بل لو جاء مدّعي

رساله ، ومنتحل وحي ودلاله ، مؤيدا بالمعجزات المتضاعفة ، والآيات المتكاثرة ،
والحجج المترادفة ، وكان من ديانته وشريعته الالتزام والالزام بوقوع ما يستحيل لدى
العقل . ويمتنع في اول الفطره . لما كان حقه من الامم الراقيه سوى الاعراض عنه
والتجافي . وما كانت لترفع اليد عن مقتضى فطرها ، وبديهه فطنها ، وضرورة
عقلها ، كيف ولا سبيل لثبوت النبوه واخواتها من اصول العقايد الا بدلالة العقل
وارشاده . واسعافه واسعاده . وهو لا يتناقض في حكمه ، ولا يجهل في علمه .
ولا ينقاد اضده وخصمه ، واما ما تجده في كلمات الامة الحمديه . وزعماء الملة
الاسلاميه . من ان هذا - اشارة الى بعض المطالب الغامضه - طور وراء طور
العقل فذاك فيما يقف دونه العقل ويخضع عنده ويعترف بالعجز عن دركه والوصول
اليه ولا حكم له فيه لا ما حكمكم باستحالاته وقطع بامتناعه فان ذلك لو وجد في
معاريض كلمات صاحب شريعته او واضع ملة لكان برهانا قويا على تزييف حجته
وبطلان دعوته فكيف به لوجعها من امهات احكام مائه واوليات قواعد شريعته
قال بعض فلاسفة الاسلام من الاكابر مانصه : يستحيل على الوحي الالهي والشرع
الحق ان يرد بما ينبر عن العقل بمعنى ان برهان العقل يدل على استحالاته . نعم ليس
بمحال ان يرد الشرع بما يقصر العقل عن ادراكه ولا يستقل باحاطة كنهه وليس مالا يدركه
العقل محالا في نفسه وقال آخر : صريح العقل موافق للرسول دائما لا يخالفه فان
اليزان مع الكتاب (والله انزل الكتاب بالحق والميزان) لكن قد تقصر عقول الناس
عن معرفة تفصيل ما جاء به فيأتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته وحاروا بما لا يعلمون
لا بما يعلمون بعقولهم بطلانه فالرسل صلوات الله عليهم تحبر بمحيرات العقول لا بمحالات
العقول انتهى - هذه تعاليم الاسلام وهذه نصوص عالها . وهذا مواخاتها للعقل
والكن الناهضين بنشر الدعوة المسيحية والواضعين لاهولها وفصولها المتصرفين في
شؤونها كأنهم غفلوا عن كيان هذا الامر وغاب عنهم استحالة كون الواحد ثلاثة
وذهلوا عن ان هذا لا يروج عند ذوي الالباب والفظانه ولو اجهد المبشرون انفسهم
في الاقتناع به والدعوة اليه فان ارباب الالباب وذوي الاستقامة لا يقبلون ولا يمتقدون
ألا ما تحكم به العقول الصحيحة ، والوجدانات القويمة ، والاذواق السليمة ، بعد
ردح من التأمل ، وريهة من التروي والتدبر . وغزت وجلت كلمة الله (المسيح) عن
النبس والهمس والاشارة والتمريض بذلك وكفالك ما تقدم من شهادة ذلك الفاضل

الذي قضى عامة عمره وسحابة أيامه في الديانة المسيحية وهو اعرف بغتها وسميتها ، وشكها ويقينها ، حيث يقول : (ان كلمة ثالوث ليست من الكتب الالهامية) وقد تعقب ذلك وكرّ على توطيده واثباته وجاء عليه بالشهداء من ابناء جلدته وسابقي فحلته بقوله في تلك الرسالة : ربما ان الامة المسيحية تستغرب قولنا ان تعليم الثالوث غير مصرح به في جميع اعداد الانجيل خلا عدد واحد وهو رسالة يوحنا الاولى الاصحاح الخامس العدد السابع وهي (لان الشهود في السماء ثلاثة الاب والكلمه والروح القدس وهو لاء الثلاثة هم واحد) ومن المحقق ان جمعية التصحيح قد رفضت هذا العدد من الانجيل المصحح وقالت ان وجود هذا العدد الدخيل في الانجيل مما ينافي الامانه - وما يؤيد دعوى هذه الجمعية كتب (نيوتن) و (جيون) و (بورصن) وغيرهم فانهم يبرهنوا على زيادة هذا العدد . وقد اعترف (كلن) نفسه ان هذا العدد ليس له وجود في الكتاب المقدس (١) * ثم ان المحترم وليم شكوت مساعيه ذكر كلام المسيح الدال على توحيد الحق وحصر الاوهيه فيه ونفيها عن نفسه بقوله لبعض الروساء (لما اذا تدعوني صالحا ليس صالحا الا واحد وهو الله) وهي في انجيل لوقا اصحاح ١٨ عدد ١٨ و ١٩ ثم ذكر بعض كرايم القرآن الكريم في ابطال تلك المقالاه مثل قوله ﴿ ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله آله واحد الآية ﴾ الى ان قال والمسلمون يعتقدون ان خاتم الانبياء واعظمتهم محمد (ص) قد ولد (ع) بكة المشرفه . انيسان ٥٦٩ مسيحيه وهو قرشي - وقرش اعظم قبيلة في بلاد العرب تتصل باسمايل بن ابراهيم (ع) وكانت سدانة الكعبة بيد جده صلى الله عليه وآله وهو اعظم معبد للعرب قد ادخات فيها الاحنام وذلك قبل بعث رسول الله (ص) وكانوا يحجون اليها وقد وضعوا فيها ٣٦٠ صنما عدد ايام السنه وهي من بناء ابراهيم واسمايل والذي يفاهر من تصفح كتب التاريخ ان بناءها كان قبل بناء هيكل سليمان بقدر ٩٩٣ سنه اي قبل عيسى (ع) بألفي سنه * ثم ذكر وصف الكعبة وزينتها وستورها وعظيم قدرها وشريف شؤنها الى ان قال واسم ابيه عبد الله توفي قبل ولادته عليه الصلاة والسلام وتوفت أمه وهو ابن ست سنوات وكفله عمه ابو طالب و كان (ع) في صفه حسن

(١) اقول ومن شاهير الغرب الذين رفضوا تعليم الثالوث . الفيلسوف الشهير (تولستوي) فانه كان لا يؤمن بسر القداء ولا الثالوث ولا يعتقد انه آله ويقول ان الصلوة له استهزاء به اما الكنيسة فلا يعتقد انها كما يرضاها المسيح بل يقول طر عليها الفساد وارتكب روءساواها ما يخالف تعاليم المسيح

الخلق تلوح على وجهه دلائل النجاسة والظنّة والدراية وكلما ازداد سنّاً ازداد
 رصانة وذكاءً واستغراقاً في التفكير حتى ان احد اصحابه (ع) قال له مرة هلم بنا الى
 الله فاجابه خاق الانسان لامر خير من هذا وكان (ص) عالي الهمة وديعاً أميناً وقيماً
 للعهد محباً للاطفال معطياً للصدقات متواضعاً غير مدعي - والذي ورد انه كان (ع)
 ربه لا بالطويل ولا القصير ازهر اللون من رآه هابه راجع كتاب (الاك - الاسلام ومحمد)
 وكان (ع) أميناً لا يعلم القراءة والكتابة كما في قوله تعالى (وما كنت تتلو من قبله
 من كتاب ولا تحطه بيمينك) سورة ٢٩ ولما كمل له (ص) اربعون سنة جاءه الحق
 وهو بغار حراء وهو جبل يبعد نحو ساعه عن مكة المشرفة وكان قبل ذلك يحتلي فيه
 يعبد الله تعالى ثم ذكر كيفية نزول الوحي عليه وبدء النبوة وأول البعثة ثم استورد
 لك تفصيل فلسفته واسراره في الجزء التالي لهذا الجزء ان شاء الله الى ان قال :
 فسألوه معجزة تريد دعواه فاجابهم (ص) اتما جئت لنشر الحق - اقول هذه غفلة
 ناشئة من حداثة هذا الفاضل في دين الاسلام وعدم الباطع في بادي الامر الى كل
 مشروعاته وشؤونه وألا فقد عرفت انه كم سألوه معجزة فاجابهم اليها ولم يكتروا
 فابتدأهم بها حتى سألوه ان تنقلع الشجرة من اصولها وتاتي اليه وتشهد له بالرساله
 ففعل راجع (النهج) تجدها مشروحة في احدى خطبه سلام الله عليه - نعم قال
 المحترم (عبد الله وليم) على انه اعجزهم بان يأتوا بسورة واحدة من القرآن نعم ان
 اعظم آية له (ص) هو ما اوجي اليه (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى)
 فكان متكلاً على الله تعالى في تثبيت دعوته فانه رغمًا عن كل كيد واضطهاد داوم
 الدعاء الى الله عز وجل وصار يدعو الناس جهراً بمكّه وفي كل يوم يزداد المؤمنون به
 وكثيراً ما كان يدعو الناس الى دين الله وهو على جبل ابي قبيس او انتمفا حتى ان
 اعداءه راموا ان يسكتوه جبراً وكلما ازدادوا له اضطهاداً ازداد صلى الله عليه شجاعة
 وثباتاً وقد الح عليه عمه ابو طالب بان يدع ما يدعو اليه فاجابه لو وضعوا الشمس
 في يميني والقمر في شمالي لما كنت لأدع ذلك فاشتد الاذى من قريش له ولأصحابه
 فامر اصحابه بالهجرة الى المدينة المنورة فامثلوا وكان بعض اهاليها قد اعتنقوا الديانة
 الاسلامية - أما النبي فبقي بمكّه يدعو الى دين الله وتوحيده فأتقروا فيما بينهم على
 قتله وذهبت طائفة منهم لمباشرة ذلك وهو نعيم فاوحى الله اليه ذلك وامره بالهجرة
 ثم ذكر امر هجرته سلام الله عليه واصطحاب ابي بكر (رض) ومبيت علي (ع) على

فراشه متشجعا برداء النبي ومجيء القوم اليه ليقتلوه الى امثال ذلك مما ضبطه لك التاريخ ودونته العلم ولا غرض هنا في نقله والغرض نقل ما يتعلق بالثناء على الله المقدسة الاسلامية واعلان مجد شارعها ونشرها المقدس ومثابرتة وعنايه في نشرها وبثها صبرا يشهد له بصدقه ويقوم باثبات حقه ويدلك على كيان امره وبيان جوهره وصحيح غرضه . ورجاحة ميزانه . وعلو شأنه . وقد اقنا لك الشهود عليه حكاية من كلام هذا الفاضل ومن نقل عنهم ولم يزل ذلك للمتبصر النصف - الحصيف الفكر . المرير الرأي . مارا على هذه الوتيرة . وفي هذه الحطة . حتى استوفى قدرا منها وبالع في تحقيقها ومن جميع ما مر عليك يتجلى لك قدر عناء تلك الذات المقدسة في نشر تلك الدعوة المباركة . وما تحمله من الاذى في سبيلها وذلك الفاضل وان استوفى بعض شواهدا ولكن قد فاته كثير مما يشهد على تحمله صلوات الله عليه اقصى مبالغ الجهد والاذى . والبلاء والعناء . مثل قذفه بالصخور والاحجارهما اجتاز في طريقه بمكة حتى اصبحت جبهته المقدسة وسالت الدماء على وجهه الكريم - وكالقاء المقاذر في طعامه حتى يتنعم من الاكل وكبح ماء الرماد على ثيابه واشياء ذلك من الموهنات اشرف حسبه ونسبه وجليل قدره في قومه مع قطع النظر عن قيامه على عرش النبوة . وكرسي الرسالة - عناء لم يحتمله احد من النبيين قبله لانه لا نوح ولا ابراهيم ولا موسى ولا عيسى كما اشعر به هو صلوات الله عليه وعليهم بقوله (ما أودى نبي مثل ما أوديت) وهو لا يتأتى ذلك الا برحيب صدر . ومتسع حلم . وعظيم رافة بقومه ورحمة . فتجده في مضايق البلاء . وشدة سيطرة السطوات منهم عليه يقول والكرب قد اخذ منه مأخذه والدماء تسيل على وجهه (اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) غير داع عليهم بتزول العذاب ولا بتعجيل النعمة والعقاب . كما فعل باشيائهم من امم الانبياء من قبل - وكفالك حديث الضعيف التي كتبها قريش في مقاطعة بني هاشم رهط النبي (ص) وحبسهم في الشعب ثلاث سنين ومنع الميرة والزاد عنهم وامثال ذلك من الاضطهادات شاهدا على ما نزوم الدلالة عليه . وتراه سلام الله عليه على شدة العوايق عن غرضه . والدوافع عن قصده . واحجار العثرات في طريقه . والعرقلات في سبيله . لا يزداد الا شدة وحماسا . وعزم او باسا . وقوة ومراسا . وتجاهرا بنشر دعوته . وتجاسرا على الاعلان بكلمته . كأن له قاسرا من ورائه . ودافعا الى تلك البغية يدفعه من

خلقه . لا يتوانى ولا يقف . ولا يلتفت ولا ينصرف . يعرض نفسه في ذات الله
للممالك غير مبال ولا مكترث . وهو يتيم ابي طالب واول خاذل له عشيرته .
واشد الناس نجماً لا عليه لحمته . مع اعترافهم بانه من الصدق والشرف في المكان
المكين . وتسميتهم له قبل ذاك بمحمد الامين . ما نعموا عليه خلده ولا عثروا له على
زله . ما نعموا منه الا انه دعاهم الى سعادتهم . وجاءهم بمغازتهم . فكذبوه جهلاً
وعناداً . وكفروا واحاداً . (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)
﴿ كذاب آل فرعون والذين من قبلهم ﴾

ولنعد الى استيفاء الغرض من نقل كلام العقيدة الاسلاميه اذك النصراني المتبصر
المتدرب المتدبر . حيث انتقى فاتقن . واحس فاحسن . وجد فوجد . فكان من
جملة مقالاته : وكثيراً ما كتب الكتاب الاوربيون مع اختلافهم بخصوص
الشمايل المحمديه . بيد ان معظم نتائج كتاباتهم موهمة بالضعفين والشحناء في الاسف
من وجود هكذا اناس يزعمون انهم تبع لذلك الوضع الودييع عيسى (ع) واقدم علم
بعض كتاب مصرنا ان الطعن والشم لا تقوم بها الحجة فأتوا بذكر كثير من الشمايل
المحمديه المرضيه وعظمة القرآن الشريف فقد قال (مسترحنا دافبت) بكتابه المسمى
(بمحمد والاسلام) ما نصه مهما ازداد الباحث ترواً بالحقايق التاريخية الصادره
فيما يخص الشمايل المحمديه يزداد احتقاراً لشاذلي محمد (ص) مثل (مركسي وبريدوا)
ومن المتأخرين (فردرك شاجل) وغيرهم من الذين اشرعوا اسنة الطعن في النبي (ص)
ولا يسعني ان اضرب صفحاً عن التصور الذي اتخذه (كارليل) فيما يختص بالنبي (ص)
فانه تصور اصلي حقيقي معجب . وهو ان الابطحي النير البصريه المتقدم البصر
ذا النفس المرضيه الانيقه المطمئنه . لم يكن ذا مطامع دنيويه بل كان صاحب افكار
ونفس عظيمة رصينه من الذين لا يمكنهم الا الجسد للحصول على الحق - الذين
اختصتهم يد القدرة بالاخلاص بيننا كان الغير آتياً بالشعبه والابتداع مكتفياً بهما
وقد تنزه (ع) عنهما بل كان شأنه التفكير والعزله وقد تجلى له سر الوجود العظيم
بظواهر الجلال والخوف . فاضاء له حقايق الاشياء وتلك حاله لا ينالها الا اهل الحق .
ولا شك ان انساناً هذه كلمته لناطق عن تجل آلهي . فيجب على كل فرد ان يصغى
لمقاله ويترك ما سواه - اذ كل ما سواه يذهب ادراج الرياح وكثيراً ما كان يحتلج في
صدره التفكير في خلق السموات والارض والكائنات والتفكر في هذه الحياة الدنيا

والموت فانزل الله عليه الوحي ككشفانه عن حقائق الاشياء مبيّنا له -
ثم كرّ على ذكر العقائد الاسلاميه من التصالب والتشدد في التوحيد والايان بالله وكتبه
ورسله واليوم الآخر واردف ذلك بذكر احوال القرآن الكريم وترتيب آياته وسوره
واسرائها واعجازه الى ان قال واذا تدبرنا القرآن المجيد من وجه بلاغته بقطع النظر
عن كونه وحياً نجلده ابلغ كتاب عربي انتظاما وتركيبا فانه جمع اساليب البلاغه ما
بين مرسل ومسجع وغير ذلك موافق للذوق المنتشر منذ احقاب كثيره لدى القسم
الاعلى من المسكونه وهو مماؤث بامثال باهره ومجازات بديعه ولقد ذكر (امرش) القرآن
الشريف في عدة محالات من كتابه بكل احترام وتبجيل وقال (كوز) ان القرآن
الكريم ربّما يجده القارىء باده بده ثقيلاً غير انه بعد قراءة قليل منه يجذب قارئه
بسحر بلاغته ويختطفه بهيجته ويأخذ بمجامع قلبه وامّا ما ذهب اليه (كارليل) بخصوص
القرآن المجيد فهو انه متى قرأ احد القرآن بتدبير يرى ان الحقائق الجوهرية منكشفة لديه
بذاتها فله بذلك رونق بديع غير رونقه اللفظي ومن المعالوم ان الكلام الحقيقي له
تسلط على كل قلب والحق يقال ان جميع الكتب بالنسبة الى القرآن تعدّ حقيرة فانه
منزّه عما يستهجن قال (السروايمبور) في كتابه المسمى (حياة محمد) ان القرآن
ممتلئ بادلة من الكائنات الحسوسه والدلائل العقلية على وجود الله تعالى وانه هو
الملك القدوس وانه سيجزي المرء بعمله ان خيراً فخييراً وان شراً فشرّاً وان اتباع الفضائل
 واجتناب الرذائل فرض على العالمين وان الواجب على كل مكلف ان يعبد الله تعالى
وهي علة سعاده وقس على هذا ما هو موضح بادلة موه كدة ببلغه ويكثر في القرآن المجيد
الشعر (١) ويثمل حقيقة البعث بامثال كونيه صادقه وتشبيهات مدهشه مثل قوله (وترى
الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج)
وقال (وشنطون) مثله وقال (جبون) ان اوامر القرآن ليست محصورة في الفروض
الدينية والادبية فقط فان سكان الممالك التي هي من حدود الاوقيانوس الانتلاتيكي
الى الفنجس يعتبرون ان القرآن الكريم عليه مدار الامور الاخرويه والدينيويه من الفقه
والتوحيد والاحكام الحقوقية والجزائية وما به انتظام الكون وقمع الظالم وصيانة
الحقوق وذلك امر آلهي لا مريية فيه . وبعبارة اخرى ان القرآن المجيد هو الدستور

(١) المراد حسن التمثيل وبديع التصوير للوقائع الحقه والحقائق الراسخه وضرب الامثال

بما يبعث الشوق ويهيج الرغبة الى الفضائل لا الشعر بمعناه المتعارف كما لا يخفى

العمومي لكافة العالم الاسلامي وهو دستور الدين الاسلامي فهو نظام الكون في
المعاد والمعيش وبه النجاة الابدية وحفظ الصحة البدنية والمصالح العمومية والشخصية
وما يترتب على ذلك من الفضائل الادبية ، والاجاآت الجزائية ، والديني والاخروي
كل ذلك منظم في القرآن المجيد - راجع كتاب (دلائل البراهين) المسمى (الاسلام ومحمد)
قال في المباحث بالنسبة بين العلم والدين ان القرآن المجيد يخالف في اصوله تورات
اليهود والنصارى ويتنقض تقريراتكم ان ليس به تعاليم لاهوتية غير ان معظمه مشتمل
على اخبار ومباحث متدفقة بعبادات حقيقية وفضائل صادقة مرتبطة اشد ارتباط
فكان الشارح علم ان اولي الاستبدادات الروحية ذووا اخطار على السياسة والحكومة
وانهم ميالون لافساد الطاعة فحمل دستور اعمال المكلفين القرآن المجيد ليكونوا
عالمين بما يجب عليهم منه فليس في الاسلام كهنوتية فعلماء الشريعة هم علماء الدين لان
الشرع هو القرآن ولا ننظر ان نذكر ايمان الاسلام فيما يتعلق بالعبث والحساب والجنة والنار
وتعليم القدر ثم ذكر جملة من تعاليم القرآن وشرایعه المقدسة وقوانينه المباركة فقال
ما نخصا وقد اوجب القرآن حقيقة الاحسان على كل مؤمن وبين ذلك بقوله تعالى
﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (الآية) (سورة النساء) قال وآداب القرآن اعظم الآداب فانه
حرم قول السوء ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ سورة ٤ ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا
وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ سورة ٤٩ وحرم الخمر والميسر (القمار) فقال في البقرة
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ ثم قال تعالى سورة ٥ ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ
إِنَّمَا لَكُمْ تَقْلِحُونَ﴾ ويجرم الخبايا والفساد بكافة انواعه آية ١٧ من النساء ويجرم
الربا راجع سورة البقرة ويجرم التكبر وعمل السوء والنفاق والحسد راجع ١٧ و ١٨
و ٣٣ و ٦٣ من النساء ويجرم الطمع في الحياة الدنيا ونجس الكيل واكل مال
اليتيم وقهره وينع البهجة الظاهرية ويحض على الاخلاص القلبي والعمل الصالح
الذين هما دليلان على صدق الايمان - ومما هو موه كد في الحصال الاسلاميه الرأفة
على الاطفال والوفاء بالعهد والمساواة الحقوقية فيما بين الناس والاحسان والعفة
حتى في المقال وفك الاسرى والصبر على البلاء واحتمال المكروه ، ومقابلة الأمانة

بالأحسان والسلوك في سبيل الفضائل وذلك لاطمئنان بل لكون ذلك مرضياً لله عز وجل ونهى القرآن عن الاسراف وظلم الارقاء وقتل النفس وتاخير التوبة الى ساعة الموت واما خفض الجناح واين الجانب فهو فرض على كل مؤمن انظر الإسراء والنور والشعراء - ثم ذكر الصلاة واهتمام الشريعة بها وانها هاد الدين ومفتاح الفردوس واورد بعض الآيات الواردة فيها الى ان قال : ومن بدايع القرآن العظيم الكثيره - ثابته على نفسه تعالى مما يلحق به لانه منزّه عن الصفات البشرية الضعيفة وخلوّه اي (القرآن) من التصورات والتوضيحات والتقريرات المخنّه بالآداب مما هو مذكور فيما سواه من الكتب نعم ان القرآن منزّه عن ذلك ويمكن قراءته من اوله الى آخره بدون ان تحمّر حدود الآداب منه (اقول) كانه يشير الى ما قدمنا نقله من العمود التي يزعمونها التوراة والانجيل وحاشاهما من نسبة الشنايع الفاضحة الى كبار رسل الله وانبيائه من زنا لوط ببشاته وعبادة العجل من هرون وزنا داود بزوجته اوريا الحثي وجعل عيسى لعنة وشربه الخمر وامثال ذلك مما يسود وجه الحقيقة . ويتكسّر داس الحياء وتحمر (كما قال) حدود الآداب والمروءة منه فان الله وانا اليه راجعون لأنهم فقدت واضح وجداناتها في امور دياناتها وعابت المسلمين متجاهلة على قرآنها - قال وقد وصف القرآن الكريم واحكامه جم غفير من المؤمنين باوصاف بديعة فمنهم (يشورث اسمث) بكتابه المسمى (حياة محمد) صفح ٣٤٦ قال تبياناً لما قام بافكاره ان محمداً (ص) لمؤسس امة ومملكة وديانه وهذا امر لم يوجد له سبق مثالي - ولن يوجد وهو اممي لا يعرف القراءة والكتابة وقد جاء بكتاب مشتمل على دستور الشرايع والعبادات واخبار الامم وهو نقي العبارة من الالفاظ المستهجنة و باهر الحكمة والحقايق وهو اعظم معجزة له (ص) والحق يقال انه لمعجزة . وذكر في (البيلياير انسكاو بيديا) مجلد ٨ صفح ٣٢٦ ان لغة القرآن افصح لغات العرب واساليبه وبلاغته تسحر الالباب بحسنها وسيبقى غير معارض الى الابد ومواعظه طاهرة وكل من يتبعم ابتد برمجيا حياة طيبة - واخيراً اقول ان القرآن يرفض كلياً التفكير بأي ذبيحة ماعن الخطيئة (١) بل يقول (ولا ترزوا ذرة وزر اخرى) (وان من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) فعلى هذا يلزم كل فرد من البشر ان يستغفر لذنبه ويعمل صالحاً كي يتأهل لدخول الجنة * واعظم ما يؤمى به الدين الاسلامي انه دين

(١) اشارة الى ما يقوله النصارى من ان عيسى فدى نفسه خطايا العالم

قام باسهار السيف وهذه تهمة باطله فان دين الاسلام المبين لم يتدخل بعقائد الاديان مطلقا ولا اضلهد معتنقيا ولم يجبر احدا على الدخول فيه قهرا وانما دعى الناس اليه ومن المعلوم ان القرآن المجيد هو معتقد المسلمين وبحسب اوامره يفعلون قال الله عز وجل في سورة ٢ (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) قال (شاتفيد) في كتابه المسمى التصفح التاريخي صفحه ٣١١ لو ان العرب والترك وغيرهم من الشعوب الاسلاميه فعلوا في الشرق مانعله الاوربيون في اهل القرآن لتلاشت المسيحيه في الشرق غير ان دينهم يأبى ذلك ويخولهم ان يكون لهم من الحقوق ما للمسلمين - يقول صاحب هذه الدعوه : رقف هنا وتأمل . واذكر صنيع ملوك الغرب من المسيحيه بالمسلمين وتعجب . قال الفاضل المتبصر : وما قاله (توما كارليل) هو اعظم حجة بالغة ولذلك لا مندوحة لي عن ذكره : وهو انه طالما كثر القول بان محمدا (ص) قد نشر دينه بالسيف فاننا اذا جعلنا هذا القول برهانا على صدق او بطلان دين ما نجد انفسنا اننا وقعنا في اغلاط حقيقيه فلو فرضنا ان هناك سيفا فاتى له ان يقاوم سيوفا جته وكل امر محدث ينحصر باده بدء بشخص واحد فهل والعال هذه يمكن ذلك الشخص ان يجبر العالم اجمع على ان ياتقروا امره خشية سيفه والحق يقال ان الامر يكون انتشاره بقدر ما له من القوة الحقيقيه على اننا لا نرى ان دين النصارى احتقر السيف حينما صار له سيف فقد نصر شارلمان (السكرنس) لكن ليس بالوعظ بل بالسيف وانني قليل الاعتناء بالسيف وادع الشيء يحامي عن نفسه باي وسيلة وأدعه يعظ ويكاتب ويخاصم فانه لا يستظهر الا بما يستحقه ولا يزيل الا ما هو دونه والصدق اعظم حكم في هذه المبارزة فانه هو الذي اخيرا ينمو ولا ينمو سواء . . يقول صاحب الدعوه املك تتذكر ما قدمناه في هذه الخطه وان نبينا (ص) انما اضطر الى السيف اضطرارا حيث اصرنا على تكذيب الوعظ والحجج الباهره عنادا واستكبارا . واقد كان هو اولى بالسماح والعفو عنهم وتركهم وسوم طباعهم . وسوء عاقبة ما لهم . ولكن كانوا يقفون حجرة عثرة في طريقه . وعرقلة في سبيله . فلا يتركون عباد الله المستعدين لقبول السعادة ان ينالوها . ويجهدون في كلمات الله وآياته ان يحقوها فلم يكن بد ولا مندوحة من مناواتهم وقمعهم . وتطهير الارض من رجسهم . ولذلك هو صاوات الله عليه ما كان يقاتل الا من نقض عهده . او زاحم في نشر كلمة التوحيد قصده . ولهذا كان يهادن الامم الكتابيه .

ويسألهم ما سالوه لان اقصى غرضه ودعوته الى عبادة الآله الواحد الاحد والكتابيين حفظ منه ونسبة اليه وفي هذا حاجز له عن محاربتهم . ولذلك ما حارب منهم ولا قتل الا من نقض عهده وحالف المشركين عليه كل ذلك حرصا على الحق واءلاء كلمته . وتعويلا على الجميع الباقه في نشر دعوته - فذلك الكاتب المتبصر حاتم حول الحقيقة ولما . واوشك ان يصيب موضع السيف وانه الموضع الذي لا يغني عنه سواه . ولا مندوحة عنه بغيره . ولكل مقام مقال . ولكل ميدان رجال . وليس هو من الاكراه في الدين بشي . بل لدفع من يكرهه على خلافه . ويحفز المهتدي عن قصده . وستاتي في الجزء التالي فلسفة البحث هنا وما ينبغي ان يقال فيه فانتظر وبالله التوفيق *

قال واني لا ارتاب ان الاسلام متزه عن الهزوء واللعب ليس به رياء ولا نفاق وهو لاشك حياة لكل معتق له . ولقد لاحظ (توما كارليل) ببصيرته المتقدمة هذه الصفات بالنبي (ص) بقوله اني احب محمدا لشبائه واستقامته فانه ابطحي مهذب لنفسه لا يدعي بما ليس فيه ولا اثر للكبرياء عليه على انه ليس بالذليل وكان يرفع ثوبه ويخصف نعله زهدا وتواضعا يقول الحق بساير احواله لا كاسرة العجم وقياصرة الروم . بما يحب عليهم من الفرائض ينزل الناس منازلهم يعلم حقايق الاشياء لا كمن يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا . يرى ساير الكمالات لله تعالى وان التقصير من شان القوى البشرية الى ان قال وبالاختصار اقول ان الديانة الاسلامية هي ديانة حق ذات مبادئ صحيحة روحية . وهي معتقد خمس النوع البشري * الله اكبر ان صدى دين الاسلام له رنة في القلوب يصغي له ملايين جمه وله ملا من اولي العزة ينشرونه فيلبن (الملايا والبابوات) وهو مزيل الخبايث والقبايح ايضا حل انتهى

قال المعتم (عبد الله وايم) هذا هو الاخاء الذي ادعو اليه ابناء وطننا الانكليزي وهذا هو الايمان الذي نعرضه عليهم ليعتقوه راجيا منهم نبذ العصبية الدينية وراهم ظهوريا وهي التي ورثوها كابرا عن كابر . وان لا يستمسكوا الا بعروة الايمان الوثقي التي لا انفصام لها . ويدعوا كل ما لا يقبله الذوق السليم . والطبع المستقيم . اذ كل ما لا يدرك ولا يدخل تحت الامكان ينتج ضرورة وجود الريب وعدم الثقة . وهو امر تخشى عواقبه في الايمان الحقيقي لان النتائج دقيقة جدا . وعاقبة الضلال والغواية هي خطر عظيم . وكل ما نتوق الى معرفة كنهه من الامور الدينية المهمة فان دين الاسلام ينبتا عنها باجلى بيان ويعلم الانسان حقيقة التسليم لله تعالى (هو الذي خلقكم

واليه ترجعون) . فلتهاك كافة العوايد وكافة الاسرار التي لا تُدرك ولوبلغت مهابلت خيرا من ان يهلك الانسان الذي خلقه الله في احسن تقويم او يضل عن الصراط المستقيم ولربما قال قايل انك تمتهن الاديان والاعتقادات وتبخص الناس اشياءهم . اقول نعم ان الذين يقولون ان الاعتقادات ليست بشي . فن المحال ان يكونوا ادركوا حقيقة قولهم كما قال احد خطباء هذا العصر بما هو مطابق لمقتضى الحال وهو (كونس روجس) في اي البلاد يكون دين المرء غربيين لديه مع انه يعتقد ان وراء هذه الدار دارا اخرى وبها تكون المكافاة والجزاء . وسعادته وشقاوته متوقفان على ايمانه وما اجهل امرء اضاع حياته بها به الوبال والخسران عليه لانه لم يغتنم الفرصة التي اغتنمها من هو اعظم منه ادراكا واقوى شهامة فانه ترقى في سلم النجاح فلايمان ليس هو صناعة او علما يمكنه استقراء ادائه كي يظهر به فساد في هذه الحياة الدنيا بل انما تظهر نتائجه وما يترتب عليه في تلك الدار ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ قال الحكيم (مودسلي) كلاما مبتكرا وهو انه يجب على كل انسان ان يصرف همه الى الله بالاخلاص في الاعمال الصالحة حتى اذا اتاه اليقين شرب كاسه غير وجل متكلا على الله باخلاص فيكون كطامل امرته أمه بالنوم ليرتاح من عناء نهاره انتهى وهذا شأن المسلمين بتسليمهم لقضاء الله وقدره . وبالاختصار : اني انذر الذين هم على وشك اعتناق الاسلاميه والذين هم قد اعتنقوها انه يجب عليهم ان يصبروا على الاذى والامتحان واحتقار معانديهم مع ما يحرفونه من امر دينهم عن مواضعه فانه هكذا كان بدء الاسلام في زمن محمد (ص) ولهم فيما جاء في سورة الحجرات ٦٩ اعظم اسوه وهي قوله تعالى (يَتُوبُ عَلَيْكَ اَنْ اَسْلَمُوا قُلْ لَا تُنْصِرُوا عَلَيَّ اِسْلَامَكُمْ بَلِ اللّٰهُ يَنْصُرُ عِبَادَهُ اِنْ هُمْ اِلَّا اِيْمَانُ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول صاحب هذه الدعوه : هذا آخر ما اردنا نقله من تلك الرسالة المطبوعه بمطبعة جمعية الفنون سنة ١٣٠٩ هـ

ولا احسب الالمعي الليب العارف باساليب البيان وترجمة اللسان عن الجنان - لا احسب من هو خليق بان يتمثل بقوله

اصادق نفس المرء من قبل جسمه واعرفه من فعله والتكلم
ان مثل هذا العارف اذا نظر الى ما تقدم نقله من تلك الكلمات الحادّه
والنعمات الشريفة والهجة الشديدة لا احسبه يرتاب في انها خرجت من

توقيع القلب، واملاً، الحقيقة، وعلى حركة أوتار الهوى، واردة الهواجس
وبدافع نفس الامر وبجرّد الواقع، لا عن صورة تصنع، ولا بصفة غرض
او تكلف، فان تلك اللهجة لا محالة لهجة ذي دين، ونعمة ذي عرفان
ويقين. قد تأنط حتى نفذ من المسام. وتصرف حتى لم يدع على الحقيقة حجاباً
من حجب الاوهام. فجاء بها نواصع بيضاء عارية عن كل كُبة، مجردة عن
كل شبهة، كجبين الصبح، او كغرة شمس الضحى، هذا ما نحسّه ونجدسه
من تلك الكلمات، ومكنونات السرائر على تمام الحقيقة لله *

على اننا ما سردنا لك تلك النصوص الغريبة، لنعثها عليك إلهامات آلهيه
او آيات سماويه، او احاديث قدسيه نقطع بها حجّتك، او نسدّ بها محجّتك
او لنجعلها فيصل الحكومة علينا وعليك، وقاطمة الخصومة بيننا وبينك،
كما لا نريد ان نكون معك ممن يعرف الدين بالرجال، ولا ينظر الى ما
قيل بل الى من قال، كلاً، لا وربك لسنّا هناك، وكيف وقد انبأناك، ان
الغرض ما هو الا اننا حيث ذكرنا في المقالة الاولى من صدر الحاشية -

بعض تحامل الغريبين على الاسلام والمسلمين احببنا ان نكيل لهم بالقسط
ولا نبخسهم في الوزن، وناخذ بالامانة على اطرافها وحدودها، فقلنا كما
ان فيهم من طعن في الاسلام وتشدد عليه، فيهم من طاعن عنه وشهد له،
فمسي ان تكون هذه بثلثك، واحدة بواحدة، بواءاً وكفاً، لمن يرى
ان اقوال الغريبين هي المثابة والمباه، والقذوة والغايه، التي اليها يرجع
وعليها يعول، فان كان ما رُمناه فذاك، والا فلا مريسير والشأن طفيف والحجج
قد تكاثفت لك سابقة وستترادف عليك لاحقه في الاجزاء التالية ان شاء الله

﴿ الثالثه ﴾ من التتمات . ان قصاري من دعوتي هذه . ان استنهض

همم اخواني المسلمين واستلفت انظارهم . واستحضر افكارهم . واستشيد

مدافع غيرتهم . ونيران عزائمهم . بجميع شعبيهم وعناصرهم . واسناخهم واواصرهم .
 راغباً بمحافظة الاسلام اليهم ناشراً عليهم دعوته لهم . وصرخته فيهم . وبغيته منهم .
 متوسلاً بكل وسيله . ان يجدوا ويجتهدوا . ويقوموا ولا يقعدوا . ويتذرعوا
 بعد الاعتماد على الله سبحانه بكل الاسباب والعوامل . والذرائع والوسائل . في
 اعاده مجدهم الموشل . والعود الى مقامهم الأول . ولا يتسنى لهم ذلك الا بان
 ينتبهوا من خدر الكسل الى نشاط العمل . وينهضوا من وهدة الجهل الى ذروة العلم
 ويمتطوا صهوة المعارف وغارب الطلب . ويذلوا النفس والنفس دون التفاني على
 التمسك بعري هذا الدين . ويحملوه اشد ما يكون بكلمات الديدن . بل في القلوب
 وعلى الرأس والعين . فان فيه معادن البركات . وينابيع الخيرات وجماع السعادات .
 الا وانه هو الدين السعيد . دين الوحدة والتوحيد . الا وانه ما قامت قوائمه . ولا
 رسخت الى عروق الثرى دعائمه . ولا هطلت بالبركات على اوليائه غمامه . ولا اشرفت
 في العالم انواره . ولا بزغت على البسيط شموسه واقماره . ولا انبسط في الآفاق
 شعاعه . ولا امتد في المعمورة باعده . الا باستحكام عرى الوحدة والاخاء الديني
 والاتحاد الصحيح الحقيقي . لا ما تسمعه من هلجات الفاظ ولهجات اصوات .
 ذاك الاتحاد والاخاء . هما اول بركة صلبها الاسلام على الداخلين فيه والآخرين به .
 فقد كانت الثورة الدمويه بين قبائل العرب وجاهليتهم من الاوس والخزرج وغيرهم
 قد صبغت وجه جزيرة العرب بالحنجل والحياء . من اراقه الدماء . وما جاء الاسلام
 حتى جاءت كريمة قوله تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا
 نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ
 عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾
 بل لا ادراك لو استقصيت النظر وتدبرت نواميس هذه الشريعة المقدسه . الا واجدا
 اكثر مشروعاته وموضوعاته مبنية على هذا الغرض موعزة الى هذا القصد . لا تنحصر
 الا اليه . ولا تدل الا عليه . وهذا جلي ساطع لاوّل نظرة في وجوب الدفاع عن
 دم المسلم وماله وعرضه وحرمة غيبته وتشديد النهي عن ذكر عيبه . والأفك والبهتان
 عليه وقذفه واهانتهم وهتك ستره بين الناس حتى لو ارتكب المعاصي والكبائر الأمن باب
 امره بالمعروف ونهيه عن المنكر - له بنفسه دون ان يذكره عند غيره - وليس امره
 بالمعروف ونهيه عن خلافه الا من باب وجوب نصيحته وارشاده وتعليمه وحرمة

غشه وخيانتته ووجوب حفظه وصيانتته - ثم لم تكتف هذه الشريعة المقدسه شريعة الوحدة والتوحيد، بهذا كله في ربط عواطف الاخاء والوحده حتى نذبت وحشت باشد الندب والاستغيب الى عيادة المرضى وتشجيع الجنايز وزيارة الاخوان وتهاديههم (لا بالوشى باسم الهدية) وتكريمهم والمصالحة وافشاء السلام والتحيه ووجوب ردّها اوردها باحسن منها الى غير ذلك مما يضيق المقام عن حصره . وانت العليم بتفاصيل امره . ثم لم تكتف حتى بكل ذلك دون ان فرضت في اموال الاغنيا . حقوقاً للفقراء - بعد ان هوّن على ارباب الغنى بما ملأ به اسراعهم على السنة سفراء . وحيه وحملة امره ونهيته - بان المال كله لله ومن الله وهو وارث الارض ومن عليها . وانه هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده . وانه يضاعفه اضعافاً مضاعفة ثم تنازل وهو رفيع الدرجات حتى جعل نفسه مقتضياً من خلقه مستوجباً على عباده (مريداً) الذي يُقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة) ثم قال جلت نعماءه ﴿مِثْلُ مَثَلِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةِ آذِنَتِ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يَضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ مع ما في ذلك من كسر سورة القسوة والجفاء . وعلاج رذيلة الحرص . كل ذلك ايمازاً الى عقد روابط الاتحاد . وتحريك عواطف الاخوة بين جميع افراد عناصر الامم فقيرها وغنيها . ضعيفها وقويها . ثم زاد ذلك تأكيداً واكّده مزيداً . بما نذبت له بل اوجبت له هذه الشريعة من سنة اجتماع المتجاورين في مباحة واحده كل يوم وليه عدّة مرات . ثم اهل البلد كافة في كل اسبوع . وسائر الامم على الاختلاف والتعاقب كل عام - كل ذلك لغاية ان تتعارف الافراد وتاتهم الشعوب . وتتوحد الاجسام والاشباح . توحداً عساه يدب الى القلوب والارواح . كلاً فارجع البصر . واعد النظر . فيما قدّمناه من تلك الفرائض والحقوق التي فرضها الاسلام للفقراء . في اموال اهل الغنى والثراء . التي يجهل الساقطون في رذيلة الحرص . نفوذتاثيرها في رقي الامم وعافواها . وثروتها وغناها . فردا وجماها . ادبياً ومادياً . جوهرياً وعرضياً . - ألا تنظر الى هذه الامم الراقية برقيتها الطريف وتمدّنها الحديث . كيف انتبهت لتلك الجرايات ووضع تلك القروض المالية . حيث قصرت شريعتها عن تشريع مثله . فاخذت تنشى . المستشفيات والبيمارستانات وكثيراً من المشروعات والشركات . وتخصّص ارباحها كلاً او بعضها لتوسعة مدارسها . ومكتبها وكنائسها . ونشر اديانها ومعارفها . وعمارة كلياتها وترقي كمالاتها .

ثم تخصص طائلا من ارباح شركاتها لخصوص دعاة دينها وحملة ماتتها ونشر اناجيلها على ايدي المبشرين والمرسلين الى اطراف الارضين واقاصي المعمورة . هذا بعض مساعي الشعب والدعاة منهم لاديانهم . أما او عطفت النظر الى ذات دؤولهم وما تبذله من القناطير المقنطرة والملايين من الذهب والفضة في ذلك السيل لا عجزك الاحصاء . ووقفك البهر موقف الدهشة والحيرة

أما الاسلام (ويا حرسه الله) فن احدى معجزاته . وكبرى كراماته . انه ما زال بعد اهليه الاوان — يدعو الى نفسه بنفسه . ويحامي عن ذاته بذاته . ويذب عن عرضه بجوهره . ويستتير في ظلمات المذاهب والاديان باوضاحه وغرره — أما نحن (ونحن الذين نزعم أننا اهل اليوم) فما اغناه عنا بل وباليات الاسلام سلم منا . فنكون كفافا لا عليه ولا له . لا ننفر بسوء افعالنا عنه . ولا ندخل فيه ما ليس منه . فنشروه ملبح محياه . وجميل سجاياه — ثم بين غضون القرون وفي حقايب الحطب لو اتفق على الندره — نهوض ذي حمية اسلاميه — يحامي عن الاسلام او يدعو اليه . فاحوف ما يخافه على نفسه . نفس الاقربين منه والمنتمين اليه . نعم . لا يخاف ألا سيل تلعبه . ولا يحذر اطفالا . جمرته الأ من طايفته . . .

ألا وان غاية الغرض واقصى القصد من دعواتنا هذه — هو نصيحة اخواننا المسلمين كلاً . وتنبههم كافه الى ما يعلمون به وهم ذاهلون عنه — من ان الاسلام قد عاد غريبا كما بدء . على ما انبأ عنه الصادق به (ص) والاسلام في اشد الحاجة اليوم الى ما كان محتاجا اليه بالامس — من اتحاد الكلمة وجمع شتات عناصر الامه . والتعزب والتألف بجامعة كلمة التوحيد المقدسه . والتعاون والتعاقد بقوة العلم وسطوة العمل ومدافع المهمم . ومناور العزائم — نصره الله الذي ضمن نصرة من نصره . واعزاز من اعز دينه وعززه . إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم (استنصركم لا من ذل واستقرضكم لا من قل) (استنصركم وله جنود السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . واستقرضكم وله خزائن السموات والارض وهو الغني الكريم) — فالله الله يا عباد الله في حظوظكم من السعادة التي ساقها الله اليكم . وصحبها عليكم . وجعلها بين ايديكم رافة منه بكم ورحمة وحنانا عليكم . لاحاجة اليكم . فعليكُم بالصبر والمثابرة . والمكاثفة والمكاثرة . والتعاطف والتألف . وقمع ضغائن العصبية . وغض النظر عن الاختلافات العرضيه . فانتم اهل الشهادتين وجامعة السعادتين

وليس اليوم في الارض دين كدينكم . ولا قوانين كقوانينكم . ولا قوايح افهام كقوايحكم . فلا تكن غيبتكم فيكم . وقوتكم عليكم . فتفشلوا وتذهب ريجكم . بل تنقسم عراكم وينقسم قراكم . وتهي قواكم وتكنون عدوكم منكم . وتفتنون في اعضاءكم فتأ . وتعودون كما قال سبحانه (تحيهم جميعا وقلوبهم شتى) اخرج ماتكونون الى عواطف الوده . وروابط المحبة . التي بها حياتكم . ومنها ينابيع سعادتكم . والله لي ولكم . فهو اقصى كل امل وغاية كل عمل وهو ارحم الراحمين .
وحيث قد بثت بعض دعواتي لاخواني المسلمين ربط الله قلوبنا بروابط عرى الوحدة والتوحيد . والهنا لاهلنا الاصابة والتسديد . فخليق بنا ان نعطف اعنة اقلامنا الى دعوة زملائنا المسيحيين . جمعنا الله واياهم على الهدى وكلمة الحق حيث كانت وايضا وجدت . فالله جل شأنه هو الشهيد = ان ليس اقصى قصدنا وبغيتنا سوى ذلك وليس عندنا تعص ولا عصبية لمحمدية او مسيحية . ولكن مصادعونا الا الى ما قادننا البرهان وساقنا اليه الدليل والوجدان والله على ما نقول وكيل

وحيث الى اهل التمثيل ، يساق في دعوتنا الحديث ، فنحن قايلون لهم :
يا ايها الصيارفة النقادة ، وارباب القرايح الوقادة ، يا ذوي الافكار الحسيفة والآراء المريرة ، والعقول الحرم ، والافاضاح في العلوم والفكر ، انتم ايها النياقة والصيارف ، ومهرة العلوم والمعارف ، انتم يا طلاب الحقائق بالنظر المصيب والاحساسات الصوادق ، انتم يا خالعي ربة التقليد وقيود الجمود ، والمتأبين عن التأبين باتباع الآباء والامهات ، والمتعدين عن الوقوف على قديم العادات ، ومناواة الحق والمعاداة ،

اين تذهبون ، وانى تصرفون ، وكيف توفكون - هذا الدين الخفيف هذا المذهب الشريف ، هذه الاعلام قايمة ، والسنن واضحة ، واعلام الحق لا يمحى ، هذه الشريعة المحمدية ، هذا التوحيد والاحدية ، هذا الدين العربي هذا القرآن والنبي ، هذه النواميس الالهية ، هذا الدين والمدنية ، هذه القوانين الحرم والاسس العقلية ، التي جاءت لتهديب النوع البشري

والقيام بكل صالحه ، والدلالة على جميع اسباب سعادته ، والارتقاء به من حضيض الجهل الى اوج العلم والادراك ، واخراجهم من مشابهة المعجوات الى مشابهة الأملاك

ومن هنا كان سلام الله عليه رحمة للعالمين ، وخاتم الانبياء والمرسلين . ومهما تقدم اهل التمدن الجديد والناشئة الحديثه من الغربيين . وتأخر عنهم في الحضارة والعمران ساير المسلمين . فما هو إلا آية من آياته وبعض انبائه وبيناته ، ليعلم المعتبرون والمتدبرون ان الاخذ بشرايعه المطابقة للعقل الموافقة لفطره يوجب الرقي والانتظام وان كان ممن لا يؤمن به - والاسترسال بها والتهاون فيها يستدعي الانحطاط وفساد النظم ولو كان من مصدق له وموقن فيه ولا تحسبن هذا القول جزافا - فان تراجع هذا القرآن الكريم وتقاسيره اليوم عند القوم ليس من المبالغة او قيل انها تانيف على ما عند المسلمين بكثير وبعد هذا كله فيا هل ترى ان الامة المسيحية قد قنعت منّا بذلك - كلاً - اذاً فما الذي يقنعها في اقامة الحجج وايضاح المنهج وادارة السبيل وتسجيل الدليل تريد منا ان نفتح لها ابواب السماوات او ننزل عليها كتابا من الله على ايدي سكان بعض هذه الكواكب والكرات (يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة) اونا في لها بالمعجزات التي جاءت بها الانبياء الى ائمتهم كلاً وكلاً ثم هيئات وهيئات ان ذلك كان حيث كانت العقول معقولة والفطر فطيرة والافكار جامدة والقرايح خامدة والناس همجاً رعا لا يحظ لهم من العقل ولا نصيب لهم في المعقولات لا ينقادون الا بخارق للعاده خارج عن مجاري نواميس الطبيعه اما اليوم وما قبله وبعده والعقول بهذه الاستنارة والافكار بما ترى من السعة والاداره فلا معجزة ولا حجة على العبد سوى نفس هذه الديانة وما اشتملت عليه من المشروعات والموضوعات المطابقة للعقل الموافقة لفطره في اساس اصولها وكثير من اركان فروعها فالعبد ان اعمل الفكره واجهد العقل اصاب الحق لاحاله ولا سيما بعد خلع رداء العصبية وفض ازرار اوزار الحمية الجاهليه اللذين في الاكثر هما السبب الوحيد في حيد المرء عن قصد سبيله وردّه عن الانتفاع بحياة عقله ومصباح فطنته ومقتضى فطرته ثم ان اعترف بعد الفكرة فاز . وان جحد او اعرض عن النظر فقد غلقت رهونه واخفقت سراياه واستحق العقاب فالله الله

يا عباد الله وأمة المسيح ولا أقول عباده ، فاني لا انبئكم بهذه الوصية ولا أتهمكم بهذه التهمة ولا أقول ان عقولكم قصرت عن ادراك دحوضها . ولا ان حظوظكم من العالم لم تتسع لسبر حضيضها . مع وضوحها وبدهتها ولا استيقن انكم غفلتم عن كون المسيح سلام الله عليه هو مخلوق مثلكم مردود اليكم ولا ان صحة نبوة محمد صلوات الله عليه قد خفيت عليكم مع كل تلك المعجزات الباهرة للظفرة - المستيرة في العقول ، فالله الله يا عباد الله لا تقوتنكم السمادة الأبدية والحياة السرمدية والنعيم الدائم والمجد الموءبد والسرور المخلد الله الله يا عباد الله ألا لا يكن حالكم معنا حال اليهود معكم في اصرارهم على العناد ومصادمة البديعة في انكار نبوة عيسى ومباهتهم بالكذب له والتشنيع عليه وقولهم فيه تلك الاقوال الشنيعة والتجاسر عليه بتلك الافعال الفظيعة وقد رأيتهم شريعة الاسلام كيف اعلنت بمجده وقامت بواجب حرمة واحترامه وكيف اعطاه كتابنا الكريم حقه من الشناء وانزله منزله من العظمة والرفعة الى السماء وتابى المروءة والتكرم ان تقولوا في محمد (ص) ما لا يليق به ولا ينبني له من الكذب على الله معاذ الله في دعوى رسالته وزعم النبوة وقد كان في غنى عن ذلك بما عرفتم من صدقه وامانته وجلالة قدره عند قومه وهو الذي دون ما فيه ما قيل فيه في عصره صلوات الله عليه

فأحسن منك لم ترقط عيني واجمل منك لم تلد النساء
خُلقت منزهًا من كل عيب كأنك قد خُلقت كانشاء

واما وشرف الاديان وحرمة المذاهب ان من اعظم الاسف الباهظ ان تسوء عندكم سخائم اليهود واحوالهم ثم تصبحون مثلهم سواء بسواء تاخذون امثالتهم وتحتذون شاكلتهم حذو القذة بالقذة وما هم منكم بواحدة ولا يومكم منهم بواحد الله الله يا عباد الله ألا لا يخذعنكم عن الحق ويميلن بكم عن صوب الصواب مقالات بعض المنتسبين الى النصرانية وما هم منها بشيء - التخذينها استاراً وجنّة وهم يطعنون في نحرها ويوكلون بأرجلهم في صدرها ويدفعونها بكائنا يديهم وهم الطاعنون في شريعة الاسلام وشارعها بطاعن تتوجه بوحدة الملاك الى شريعة النصارى بل الى كل شريعة من الشرايع الالهية فتجدهم يسخرون بمعجزات محمد ويستزودون بها استهزاء يومي الى السخرية بمعجزات جميع الانبياء من محمد وعيسى وابراهيم وموسى عليهم سلام الله جميعا

اذ الجهة واحده والمشابهة ثبته وما حقيقة الحال في اوانك القوم الا انهم قوم من الزنادقة والملاحده والطبيعيه والنشريه المنكرين لاصل الصانع الحكيم المساوين والناصبين العدا لكمة المذاهب وكافة الانبياء.

واما وشرف الاديان وعزة النواميس الا لاهيه كلها انه لما يلزم ويحتم ان يتفق جميع اهل الاديان والمذاهب ويكونوا ايدا واحده في قطع دابر هؤلاء الزنادقة والملاحده وتنقية الارض من جرائم افرادها المهاككه وميكروببات كروبها القتاله التي تعمل على ان تهلك الحرث والنسل وتسمى في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين

فلا ينخدع زملاؤنا المسيحيون باقوالهم وخدعهم ولا يتخذها (البرتستانيون) رأس مال لاغواء المسلمين واضلالهم على ايدي رسلهم والسنة دعائهم فان اقصى ما يحصل لهم من ذلك العناء ان يجيدوا بالناس عن الصراط المستقيم وطريقة الحق والعدل الى ملة الجور والفساد ملة الزندقة والاحاد واما الخروج عن الاسلام والدخول في النصرانية فذلك مما لم يكن وان يكون ابدا وهذا من احدى فضائل الاسلام وطوايله التي اختص وامتاز بها عن غيره فانك من اول انتشار نور الاسلام الى يومك هذا لا تحصى احدا عريقا في الاسلام قد رجع عنه وصار يهودياً او نصرانيا وما اكثر من اهتدى للاسلام منهم بحيث او ان احد افاضل المسلمين يفرغ وسعه لأفراد مؤلف في هذه الخطه اجاب مؤلفا فخما واحصى منهم قدرا وافرا اذا فاما هذا العناء الشديد والاهتمام بما ليس عليه مزيد نعم ان (البرتستانت) ولا سيما في اكثر اعمالهم الدينيه قد شوشوا الاذهان واوهنوا قاطبة الاديان حتى ملتهم ودينهم فعسى الله ان يأتي بالفتح وبأمر من عنده فيكفوا عن هذه الشرور والمضرات ويأسوا من تلكم الطمعات فانه اليق بقمهم وابقى لجدهم والله ولي التوفيق انا ولهم اللهم وقد بذلت لجميع عبادك نصيحتي وبلغت الى الكل دعوتي اللهم واني بعونك وتوفيقك لو حاولت و اردت ان اضيف الى هذا الجزء العشرات بل المآت من امثاله كل ذلك في شرف دين الاسلام وعزته وكاله ومجده وانه هو الهداية العامة للعالمين والرحمة والبركة والتممه والكمال لكل دين . وجامعيته لاصول العمران وحقيقة التمدن والحضاره لجريت ومضيت على ذلك سحابة عمري واعوامي لاسحابة شهري وايامي ولما وقفت من فضلك اللهم ولا أنقطع ولكن (من لم ينتفع بالقليل لم ينفعه الكثير) حديث شريف يشهد به العقل والضروره

اللهم وهذه نصايحي لخلقك . ودعواتي اليك بين عبادك . مستشهدا بك
وانت خير الشاهدين على خلوص طويتي . وصحة قصدي ونيتي . غيرة
على دينك . ورغبة في عفوك ورضوانك . وغريزة انت جبلتها على حب
التجاة والسعادة لكل عبادك . عاملا بجدي وجهدي . واقصى كدي
ووكدي . على وحدة اهل توحيدك . وتسالم كل خلايقك ، متفانياً على
دينك . متفادياً له بحياتي وانها لأهون قطرة دم تراق في سبيلك . اللهم
فان قبلوا دعواتي هذه وأقبلوا عليها فبفضلك ولطفك . وان ردوها وتقايلوها
فعندك احتسب عنائي . وعلى كل فليدرك املى ورجائي ، في حسن جزائي ،
ياغاية كل سؤل . ونهاية كل مأمول . يا نعمي وجنتي
ودنيائي وآخرتي يا اقصى امل كل آمل . يا من
لا يضيع لديه عمل عامل . ولا تخفى عليه
سريرة مستسر . يا اكرم الاكرمين
ويا ارحم الراحمين

تم تسيود اصله في اوائل ربيع الثاني من شهر سنة
الالف والثلاثمائة وثمانية وعشرين هجرية على
يد مروه لقه - محمد الحسين بن علي بن
الرضا بن موسى بن جعفر كاشف
الغطاء عن مبهمات
الشريعة الغراء

﴿ تصحيح ملاحظات واستقالة عثرات ﴾

نبدء من ذلك بما وقع من السهو في بعض الآيات الكريمة . وقد اسلفنا لك اننا كنا نورد مائتين بهجيات صحايفنا من غرر الآيات الشريفة . على ما هو العتيد لدينا والتلبد في حافظتنا . من دون طريف مراجعه . وجديد ملاحظه . ومن جري ذلك فقد يقع السهو متأفلا تجمي . الآية على وجهها لتغيير لفظ او حرف او حركة فيها . او الخزال كلمة شريفة منها . ونحن نستدرك هنا ما فات . ونستقيل تلك العثرات . ونجعل الاعتراف كفارة سيئاتنا ورايد حسناطنا . ان شاء الله (منها) صفحة ١٧ سطر ١٢ (ولو ارسلنا ملكا) صوابه (ولو جعلناه ملكا) صفحة ٤٤ سطر ٨ (أما متأ واما فداء) صوابه (أما متا بعد واما فداء) صفحة ٥٨ (وغيض الماء واستوت) صوابه (وغيض الماء . وقضي الامر واستوت) صفحة ٥٩ سطر ١٠ (ما نريهم من آية الا وهي) صوابه (الآهي) صفحة ٦١ (وما قدروا الله) صوابه (ما قدروا الله) صفحة ٦٣ (يتبعون النبي الامي) صوابه (يتبعون الرسول النبي الامي) فيها (ورحمة المومنين) صوابها (ورحمة) (انه تنزيل رب العالمين) صوابه (وانه لتنزيل) ٦٤ (ثم تالين جلودهم وقاربهم لذكر الله) صوابه (الى ذكر الله) أما الواو في اول الآية فهو من كلام المومنين والكلام ينبت بدونه ولا يلتئم بجذفه كما لا يخفى على من راجع نعم ينبغي تقديمه على الهلال ٦٥ فيها من غلط الطبع (فسالت ودية) صوابه (فسالت اودية) وينبغي تاخير الهلال عن موضعه صفحة ٨٠ (قل لواجتمع الجن) صوابه (قل لئن) ٨٢ (فذلك الذي) صوابه (فذلك) الذي) ٩٢ (اعلي اطلع) رسم المصحف بالرفع والفتح له وجه صحة لا يخفى ولا يبعد ان فيه قراءه ٩٤ (لا يبصرون او كصيب) كان ينبغي وضع صفر او نحو للاشارة الى تجاوز آية بينهما (فيه رعد وبرق) صوابه (فيه ظلمات ورعد وبرق) ٩٥ (مما تأكل الناس) رسم المصحف ياكل والهاء وجه ظاهر وامل في قراءه . صفحة ١٠٨ سطر ١٩ (وعد الذين) صوابه (وعد الله الذين) ١١٨ (انه ربي اكرم مثواي) صوابه (احسن مثواي) فيها (فلما رأيتهم اكبره) انخرل بعدها (وقطعن ايديهن) ١٢٧ (ومن يهتدي فانما) صوابه (ومن اهتدى) صفحة ١٣٠ (يقولون كل من عند ربنا) انخرل منها (أما به) صفحة ١٦٩ (سبحانه اني يكون) صوابه (ان يكون) وقد صححناه تحت الطبع فاختلفت النسخ . اما ما في صفحة ٨٤ من قوله تعالى (فالتق الاصباح وجاعل الليل سكنا) فان رسم المصحف وان كان يجعل الجملة الثانية فعلياً ولكن مارسناه من الاسميه

هو أشهر القراءات واصحها كما ذكر اعيان المفسرين وهو ظاهر حتى ان من قراها فعلية
 اوثقها بالاسم ليحسن او ليصح العطف كما لا يخفى أما حذف واو العطف او الفاء من بعض
 الآيات فذلك لاننا لم نذكر المعطوف عليه منها وانما يلزم حيث يذكر او يوثق بتمام الآية
 لا فيما يتعاق الغرض بايراد بعضها وهذا كادخال حرف العطف او الفاء للذين ليس من الآية
 لربطها بسياق الكلام المتعلق بها وكل هذا ليس من تغيير الآية في شيء . وانه لم يستعمل عند
 ارباب التأليف شائع . ومتداول مستفيض ولا سيما عند الطبقة العليا من الكتاب
 وارباب الرسائل وعلية الفصحاء فتشع وراجع . على ان جزوات قليلة كهذه ، وهي
 تشتمل على ما يناهز المائتين من الآي ليس بحال ان يقع في بضع عشر موضع منها
 شيء . من السهو والنسيان وهما وما ادري الطبيعة الثانية ام الاولى للانسان (وما أبرئ نفسي)
 اما مواضع السهو والغفلة فيما عدا ذلك فكثير ايضا . ولكن قد يحسب من
 الغلط ما ليس منه بل له وجه في العربية عولنا عليه وجرينا في بعض المواضع على نهجه .
 وان كان الشائع المألوف سواه منها صفحة ٢ سطر ١١ (نهد للمقدمة امور) قد يظن
 ان هذا غلط في العربية وان المتعين هو الوقف بالالف مع ان اكثر علماء العربية قد ذكروا
 في باب الوقف ان في المنصوب ثلاث لغات الوقف عليه بالسكون كالرفوع والجورور
 والوقف بالالف . والوقف بالتثوين حتى ان السكاكي في صرف المفتاح قال ما حرفه
 : ولك على الجواز ان تقف على الف بحيث يظهر منه ان السكون اولى ولكن
 ذكر غيره ان الشائع هو الوقف بالالف . واقول ان هذا لا ريب فيه ولكن لا يصح
 غيره غير جائز . هذا الشريف الرضي وهو سيد علماء العربية وافصح من في عصره ، في
 شعره ونثره ، خذ اليك ديوانه الاغرو انظر في قصائده الساكنة الروي مثل التي يقول فيها
 ومغان انبت الحسن بها هيفاً ترعاه عيني وغيد

ويقول (وذراها يطلب النجم صعد) وكذلك ارجوزته التي تتدفق برونق البداوة
 العربية التي اولها (ابانزار تفسد القوم النعم) (غفلك الوجد وذكاني العدم)
 ومن قوله فيها (حيث ترى تلك المجالي والقمم) (يسين غربانا ويغدون رخم) وفيها له
 نظاير كثيرة كما في ساكنته الاخرى من هذا الروي التي يقول فيها
 ليس ابونا اعز الوري جنابا واكرم خلا وعم

وفيه (فكان بانف الدياجي شمم) الى ما يضيئ المقام عن احصائه من شعره
 وشعر النمرقة العليا والطاراز الاول من امة الشعراء كالشيخ ابي تمام والبحري والمتنبي

وأنما اوردت بعض الشواهد من شعر الشريف لاني وان كنت لا افضله عليهم في الشعر كما لا افضاهم عليه في مسلكه الخاص به من الحماسة والشموخ والرفعة والعزة النبوية والطلاوة والبداهة ، ولكنني اقدمه عليهم في استقامة اللسان وثقوب الذهن ونباهة الهاجس والمهارة في العربية طلبا وصناعة * وعلمًا وذوقًا * وخاطرا وادبا . والفرض ان الوقف بالسكون في مثل ذلك اكثر من ان يحصى في الشعر والنثر من الطبقة العليا وما دونها وقد ورد في الشعر بكثرة يمتنع حملها على الضرورة (فان الضرورات مقدرات لامطردات) وما جاز في الشعر باطراد جاز في النثر مثله ولولا ضيق المجال لاوردت لك مايفغرك ويبهرك على ان فيما ذكرنا غناً وكفايه ان شاء الله - وبناء على هذا فقد ورد في هذه الجزوات كلمات من هذا القبيل على انها لاتبلغ العقد الاول من الانامل ولا حاجة الى التنبيه عليها بعد ان ذكرنا وجهها ومدخل صحتها - كما اننا ننسب على ماعله يحتاج الى التنبيه من غيرها صفحة ٢ سطر ٩ (فلنحتكك غرايز العقول) هو من احكني فحككته . لا من احكك الا جرب بالخشبة واحتكت الدابتان فلا يتعدى فيها . (العريق اللصيق) اصل معنى اللصوق كما هو ظاهر - الاتصال الشديد والربط المحكم المعبر عنه باللزق وهو المراد في هذا الموضع وامثاله حيث يعطف على العريق اي الاصيل بالشيء المتصل به اشد اتصال اما اللصيق بمعنى الدعي في الشيء او الاجنبي منه فهو مجاز لا يستعمل الا في موارد تقوم فيها القرابين والامارات قال في الاساس (ومن المجاز فلان ملصق او لصيق دعي) فلا يتوهم * اتفق لنا في موردين او ثلاث استعمال الوعر والايماز بمعنى الاشارة حيث نقول مثلاً في صفحة ٢٠ سطر ٣ (ايمازا الى العصمه واياء الى وجوب المعجزة) وكذا في غيره . والمعروف من الايماز التقدم بالشيء . فيقال او عزت الى فلان اي تقدمت اليه بكذا ولكن في كثير من المعاجم ما هذا نصه (وعز اليه في كذا يعز وعزا تقدم و اشار) وعليه فلا اشكال كذا اننا قد استعملناه بمعنى التقدم كثيرا . وقد نستعمل الوسط بمعنى البينه والمحيط - لانه ورد فيها هكذا وسط القوم والمكان يسطهم وسطا وسطة . جلس وسطهم فهو واسطة وقالوا في البينه انها المنزل وهما كما ترى يتقاربان او يستويان المطابقة بين المبتدا والخبر في التذكير والتانيث غير معتبرة في كل مورد والنحويون يقولون (الكلمة قول مفرد) وقولنا صفحة ٥١ سطر ٢٢ (والوقفة عند تلك الاحتمالات مغل بنظام الكون) انما المراد عمل مغل او شيء او شبه ذلك من الاسماء العامة كما يدل

المقام عليه . وقع في كلامنا استعمال (اراكين) في مقام او مقامين وهو جمع اركون - الدهقان العظيم صفحة ١٥٣ سطر ٢٤ (كان ذلك تحقيقا لقول ذلك الرديس) هو مفعول مطلق مسلط عليه عامل من لفظه واجب الحذف على نحو (سقيا ورعيا) والغرض التاكيد (كان ذلك محقق تحقيقا) . قد استعملنا مادة التحوير في موردتين او ثلاث واصل التحوير الرجوع والنقص والرد وكالهما متقاربه قلنا صفحة ٣٦ (تحوّرت الاديان عن صبغتها الاولى) زيد انها رجعت وردت - وكذلك قد استعملناها في مقام آخر حيث نقول آخر صفحته ١١٠ نعم قد بلغ البيان منهم في نفوذ التأثير وامتلاك التبديل والتغيير وتحوير صفات المجتمع - اي رد صفات المجتمع - فان كان للتحوير معنى مولد فذلك لا نعرفه ولم نستعمل هذه الحروف فيه

قلنا في صفحته ١٤٣ سطر ١٩ (والبدر الذي لا يسري اليه السرار والكسوف) قد يحسب ان الانسب هنا (الكسوف) ولكن الاصل في الكسوف - الاساخه والذهاب فخصفنا به الارض وخسف الله الارض - اساخها والاصل في الكسوف الحجب والتغيير وهو يجري في الشمس والقمر على سواء كما صرح به اللغويون وفي قول جرير - الشمس طالعة ليست بكاسفة الخ شاهد له حيث جعل القمر والنجوم مكسوفه ، وعلى هذا فمن راجع المقام يتضح له اولوية استعمال الكسوف او عدم مناسبة الكسوف اصلا فقلنا في صفحتنا (أختار) في صفحته ٦٩ قياسا على اختار واجتاز وان كنا لم نتحقق ورودها في اللغة فان لم يكن لها وجه صحتها فيمكن مكانها (أحار) . قلنا في صفحة ٧٤ (ولكن على ان كلامه فيها على الحال التي وصفنا) وقد يحسب ان على تفيد معنى لكن من الاستدراك - وليس الامر كذلك فان على هنا ليست للاستدراك بل المبالغة والترقي مثلها في قولك فلان فاضل ولكن على انه في غاية الفضل لا يبلغ مرتبة فلان . انظر كيف يتراكم الكلام ويقلق بجذوها . الا ترى كيف لا تغني واحدة عن الاخرى في صفحة ٣٣ سطر ١١ استشهدنا على خرق نواميس الطبيعة احيانا بما اشتهر من بقاء السمند في النار الخ ويقال ان الفلاسفة من التأخرين ينكرون ويدعون انها من مزاعم الاقدمين وان الدليل قام على خلافها - وهذا ان ثبت لا يضر بالدعوى التي كنا في حدد اثباتها وهب انكروا ذلك افينكرون اكل النعامة للجمروا كل الظباء للجنظا وكل منها مشاهد محسوس وامثلة انحر اق النواميس الطبيعية لا تحصي ولا ينكرها حتى الفلاسفة التأخرون وما اكثر ما عجزوا عن تطبيقه على تلك النواميس

مما يسمونه بغفلات الطبيعة ومنها الاعضاء الاثريه في الانسان والحيوان ولوضحها استغنيانا عن اطالة الكلام فيها هنا وهناك . في صفحة ١٢٤ قلنا ان توراة اليهود غير توراة النصارى الخ نعم هي غير هاتان توراة اليهود عبرانية وهو اللسان الديني عندهم الذي لا يجوز تغييره لديهم كالعربي في الاسلام لا تجوز الصاوة والقرآن بغيره أما توراة النصارى فعند العرب عربيه وعند السريان سريانيه وهام جرا كل قوم بلغتهم واي مغايرة تريد اكثر من هذا على ان من سألناه من اليهود عن هذا الامر كان يدعي اختلاف الجوهر في مواضع ايضا ولا غرابة في ذلك بعد ان كانت نفس الاناجيل مختلفة عند نفس النصارى فانجيل البرتستانت يفاير اناجيل ساير الفرق والكنيسة الكاثولوكيه والكروسي الرسولي يرفض انجيل البرتستانت ويجرم الصاوة به واي اختلاف اعظم من هذا وهل تجد عند فرق المسلمين مثل هذا في القرآن العظيم والذكر الحكيم الذي تكفل الله بحفظه . صفحته ٣ (ساير يريد ان يطوي) هو ابتداء كلام لتصوير الحال وضرب المثال . لاحال مما سبق .

أما غفلات الطبع او الطبيعة وه واقع سهوها فنحن نرسم بعضها ونحيل معرفة الباقي الى فطانة الناظرين فانما لا تخفى عليهم اوضحها ان شاء الله ونفصل بين عدد الصحيفه وعدد السطر بخط عرضي كالفصل بين الخطأ وهو المذكور أولا والصواب وهو التالي له . صفحته ١٣ سطر ٩ (ولا تخطوا) صوابها (ولا تخطو) صفحته ١٦ - ٤ (فهدا) - (فهذا) آخر صفحته ١٨ في وابل - في اوائل ٢٣ - ١٣ اساسها التي - اساسها الذي ٣٢ - ٢ (الي حامد) - (ابا حامد) آخر ٣١ (المذهب) - (المذهب) موسى ابن عمران بن عمران ٤٠ - ٣٢ قبايل - قبايل ٤٢ = ٢٢ جسمانية - جسمانية ٤٤ - ٦ روحية روحية - فيها سطر ٢ الذي خطبها - التي خطبها صفحته ٤٥ - تعاليم - تعاليم فيها ١٥ - يتعادلا في العيار ويتساويا - يتعادلان * ويتساويان - فيها سطر ٢١ اتها - انها ٤٦ = * ولا متهم - ولا متها - فيها ولا دفعا ولا صلاحا - ولا دفع * ولا صلاح ٤٩ - ١٢ (بواحدة ولا اثنين) = ولا اثنين * ٦٣ - ١٤ رحمة وخسران = رحمة وخسرانا ٦٦ - سطر اول من الحاشيه بمجادل - بمجادل ٧٠ - ١٦ فان فيه شفاء = شفاء غره ٨١ صوابها ٧١ صفحته ١١٤ (الي تمام) - ابا تمام - ١١٧ - ٢١ (نوع) صوابه نوعا صفحته ١٢٣ سطر ١٧ خير - خيرا ١٢٥ - ٨ ويقصرونها - ويقصردونها ١١ منها - التي = اللتان ٢١ منها - والعاملين - ومن العاملين ١٢٦ - ٦ وتخالهم

اوزاع - اوزاعا ١٣٥ = ١٦ (وايقفل) = او يقفل ١٣٩ - ٥ الذي هبت فيه =
التي هبت فيها ١٤ - ذو حظ - ذا حظ ١٧٠ - ٧ تميل - تميل ١٧١ = ١٠ - تم - ثم
وقد أصلحت بعض هذه التحريفات في اثناء الطبع فجاءت النسخ مختلفة = وهذا قد رما
عثرنا عليه عند المراجعة بعد مجاز الطبع ، ونبهنا على بعضه بعض الافاضل ونحن لا نأمن على
انفسنا الغلط حتى في تصحيح الغلط ، وان كان السهو والنسيان من جبة الانسان ، وتختلف في
افراده قلة وكثرة ، فحين نعتز ان نصيما منها الوافر ، وحظنا منها الكثير فعسى ان
يكون الاعتراف كفارة لخطايانا وما حيا اسواد سيئاتنا ومقيلا لسوء عثراتنا ان شاء الله
على اننا نرغب الى جميع من تصل اليه دعوتنا هذه من الافاضل الكرام ان يوسعوها
نقدًا ، ويتوغلوا فيها محصا وخصا ، ونظرا وبجثا ، ويعملوا ذلك اكرم هدية منهم
الينا ، واي هدية النفس من هدية العلم والافادة ، والارشاد والدلالة ، سوى ان
حاجتي اليهم وطلبي منهم ان لا يتسرعوا في الحكم ولا يشددوا في النكير ، فعمل
لما انكروه وجه صحه ، ومخرجا في العريه ، او سندا في الامور العقلية والمباحث
النظرية ، والصمة لله وحده - لا وربك نحن لا يهمننا ان نؤمى بالخطا او نكون قد اخطانا
او نسينا - وان كنت لاحب لنفسي سوى الاصابة والتثبت - ولكنني حريص ان لا
يحتجني مرادي ولا تحتجب عن القراء مقاصدي ، وقد ذكرت في الجزء الاول صفحة ٥١ ان
الدين اكبر وازع وراذع النفوس وانه يستحيل بدون الدين قمع الشرور من نفوس البشر
وقد اقمنا ناهية هالك على ذلك بما حسبناه قد تجسم حتى صار يلحس بالكف ويؤري بالعيان
ولكن قد يقصر البعض عن الاحاطة بتلك الجلية ويحسب ان الخاصة والعلماء لو لم ينتهوا
عن الشرور لا تحافظ على صحتهم وحياتهم التي لا يرون حياة بعدها لكن طمعا بحسن الذكر
والمحمدة . . . وهل هذا الا من الغفلة عما اردناه فان جوهر ما قلناه هناك ان هو لا الخاصة
والعلماء لو امكنتهم خيانة او جنائية وكانت تريد في صحتهم وطول حياتهم على الفرض ولم
تكن تحل بحسن ذكرهم للأمن من وقوف احد عليها ابدا فهل يُعذركم لها مع امنهم من
القصاص وموقف الجزاء الا سفا منها من غير ماعوض ولا مكافاة وهل يردع عن مثل
هذه الشرور الا وازع الدين والاعتقاد بالجزاء الذي هو المسيطر على الانسان وهو معه اينما
كان وان لم يكن معه احد ، لحقا ان من لا ايمان له لا امانة له امان يعاف الشر لحسن جوهره
وطيب نجره فقد ذكرناه في عدة مواضع من الكتاب منها صفحة ١٤ و ذكرنا انه نادر والنادر
لا تناط به الاحكام (فتدبر هذا فانه حسبك وكفي)

﴿ فهرست الجزء الثاني من اجزاء الدعوة الاسلاميه ﴾

تمهيد امور لايضاح كلي النبوه . وجوب البعث . ووجه الحاجة اليها صفحه ١ - ٢
 نظرة في بدء نشأة الانسان وعجزه وجهله وحاجته من ٢ الى ٦ الامر الثاني في شرف
 الانسان وعظيم قدره في الكون . وتصرفه في الطبيعة وتصرفه فيه . وكفاحه في العالم .
 وحاجته الى التربية كاحتياج اكثر الكائنات اليها . وضعف العقول البشرية . وجهالها
 بالمستقبل . من صفحه ٦ الى ١٤ (الامر الثالث) في ان ايجاد الخلق لغايه وخلقهم
 لحكمه السعادة لا للشقاء . وللرحمة لا للغضب لا عبثا ولا ظلما من ١٤ الى ١٦ نتائج
 تلك الامور والبرهان على وجوب البعث والحاجة الى اصل النبوه من ١٦ الى ٢٠
 الكلام في العصمة وحقيقتها وان المعصوم اكمل الناس والاشارة الى قاعدة اللطف الى
 ٢٣ الكلام في المعجزة . فلسفة نظريه في المعجزات والخلاف بين الغزالي وابن رشد
 الاندلسي في الاسباب والمسببات . وتحقيق الحقيقه بما يبدو لنا . والجمع بينهما على
 غاية واحده . من ٢٣ الى ٣٤ نظرة في الشرايع والاديان . واتحادها في الجوهر
 والحقيقه . والقصد والغايه وانعكاس جوهرياتها . وذكر اشهر الشرايع الحيه .
 واحوال بني اسرائيل وديانة عرب الجاهليه وبعض احوالهم الاجتماعيه . وهل كانوا
 نصارى قبل الاسلام كما يقول (المشرق) والبحث في ديانة اليهود والشريعة المسيحية
 وفلسفة الشريعة الاسلاميه وانها هي التي تصلح ان تكون ابدية من ٣٤ الى ٤٧
 طريق اثبات النبوه ان عاصر او تأخر عن زمان الدعوه . وان الخلق على ثلاث
 طبقات . وبيان معنى التواتر واقسامه من ٤٧ الى ٥٢

﴿ النبوة المحمدية واعجاز القرآن ﴾

التعدي بفصاحة القرآن واعجازه ع عجز الفصحاء عن المعارضة ع وما اشتمل عليه
 القرآن من مواد العلوم والاخلاق والفصاحة والبلاغة ع بعض آيات البلاغة والاعجاز
 من ٥٢ الى ٦٢ القرآن وثناؤه على نفسه ع القرآن وثناء المرسل به وخلفائه عليه ع
 القرآن وثناء الائمة المعصومين عليه ع القرآن والصحيفة السجادية ع ارتقاع فصاحة
 القرآن على كل كلام الى ٧٠ ماهي الفصاحة والبلاغة وما الطريق الى معرفتهما .
 تقسيم الناس فيها الى صنفين . تسجيل الحجة في الأعجاز على كل الاصناف . طريقة
 الامتحان لمعرفة اعجاز القرآن . في ان البيان نوع من التصوير . آيات الاعجاز

والبلاغة من القرآن والمعجز مما هو دون آيه الى غير ذلك من المباحث والمقالات كلها من ٧٥ الى ١٠٥ نقل نبذة من كلام القاضي في (الشفاء) في وجوه اعجاز القرآن الى ١١٠ التنبية على ثلاثة امور مهمة . (الاول) ما للبيان والبلاغة من الشأن عند العرب . المعلقات السبع وان القرآن عرف البلاغة والبلاغة وسن لهم منهج الفصاحة (الثاني) ما حقيقة الاعجاز والبلاغة . سجود العرب للقرآن . وذكر شي . من الشعر الذي يتصرف في الشعور . وهل للبديع حظ من البلاغة . وما هو الحسن في كل شي . (الثالث) في الامم المستعربة ومساعدتها اللغة العربية وتسخير الامم الاجانب عنها لخدمتها . وان اللغة العربية هي الجامعة الاسلاميه من ١١ الى ١٢٧ مباحث التشابهات والفلسفة فيها . الى ١٣٣ تحرير حجة الخصم فيما يتعلق باعجاز القرآن ودحضها نقضا وحلا . وبطلان الصدفه كبطلان ان اعجاز القرآن بالصرفه . حال العرب عند سماع القرآن . وكلام الوليد ابن المغيرة . اعتراف الكتاب والبلاغة ببلاغة القرآن حتى من يتهم بالزندقة . الفصول والغايات المعري . واعترافه باعجاز القرآن الى صفحة ١٥٠ (توطئة وتمهيد) فيها مباحث جايده ومقالات اخلاقيه ومبادئ اجتماعيه وفيها ذكر كتاب (الهداية) في الطعن على الاسلام وصاحب الشريعة ونبذة من افتراءات الغربيين على الاسلام والمسلمين من ١٥٠ الى ١٥٨ الموازنة بين القرآن الكريم والعهدين الحديث والقديم . التوراة والانجيل وتعميق القرآن لهما . التحريف فيها وانها ليسا ما في ايدي القوم . مسئلة الاقانيم ومحاوره الكاهن والفقير . الثالوث واللعنة والذبيحة . (كل غاوي في الاديان اغاها من مسئلة الاقانيم) ارتكاب الانبياء المخطايا عدا عيسى (ع) الجواب عن معصية آدم وغيرها من معاصي الانبياء . محمد (ص) خاتم الانبياء . وشريعته خاتمة الشرايع . وشهادة العهدين بنبوته . بعض الفروق بين العهدين والقرآن . كلام مع صاحب (الهداية) الضلاله ونسبته الى النبي (ص) عبادة الاصنام . جامعية الاسلام والقرآن . حتى بشهادة من لا يقر بالاديان . كل ذلك من صفحه ١٥٨ الى ١٨٨ باقي معجزات النبي (ص) سبيل كل امة الى اثبات معجزات نبيها . معجزة النبي (ص) بشهادة القسيس العبري . مثابرتة (ص) على نشر دعوته الى صفحه ١٩٦ (الخاتمة) تشتمل على ثبات (ثلاثة) (الاولى) في التساهل والتعصب . وتعاليم الانجيل والقرآن في السلام والدعه . دسائس الغربيين للشرقيين . رسالة عبد المسيح وهاشم العربي . حفاوة الاسلام للامة المسيحية من ١٩٦ الى ٢٠٨ (الثانية) في شهادة حكما . الغرب للاسلام . ورسالة عبد الله كويليام الانكليزي . الى صفحه ٢٢٩ (الثالثة) نصايع ودعوات للمسلمين والمسيحيين

﴿ اعلان وبيان ﴾

يتناول هذا الجزء . بعون الله سبحانه - الجزء الثالث . وهو يتضمن ترجمة حياة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسيرته الطاهرة الكريمة . وفي صدر الكتاب مقدمة حافلة بمقالات حرية بالاعتبار جديرة بالنظر لها من الاهمية للمسلمين اسمي مقامه واقوم دعامة وانفع ما يجب ان يعتبره المعتبرون وينهج عليه الناهجون . ثم يشتمل الكتاب وراء ذلك . على خمسة مسالك (المسلك الاول) في ما كان له سلام الله عليه . من دلائل النبوة قبل بزوغ نوار ولادته وتشرف العالم بيمين سعادته . ونقتصر من ذلك على سوى بشار الكتب المقدسه من بعض حوادث العالم ووقائع ملوك الارض من حين انتشار البشر في المعمورة الى زمن اشراق الكون بشمس وجوده (ص) (المسلك الثاني) في ما كان له من حين شرف ولادته الى وقت تكريمه ببعثته وامره بالاعلان بدعوته وهو الدور الاول من حياته وهذان المسلكان - من الارهاصات باصطلاح القوم (المسلك الثالث) في ما كان له من حين اعلان دعوته الى ايام خروجه من مكة وهجرته . وهو الدور الثاني من حياته (المسلك الرابع) من حين هجرته عن وطنه . الى حين عوده الى ربه ورجوعه الى جوارحه . وهو الدور الثالث من حياته . فلحياته الطاهره سلام الله عليه ادوار ثلاثة قد بحثنا عن كل واحد منها بحثا مدققا فلسفيا (المسلك الخامس) في ما كان له بعد وفاته من المعجزات والوقائع التي اخبر عنها في حياته والاشارة الاجايبه الى ما وقع الاسلام من الفتوح والتوسع الذي ما كان ولم يكن الا من بين بركاته والجري على تواليه - ثم ان هذه المسالك وان كانت تشبه بالتواريخ والسير بل هي تلك فهي في سطحها الظاهر خارجة عن خطتنا وموضوع كتابنا الذي هو بكتب العلوم النظرية اشبه منه بكتب التاريخ . ولكن اتجاهات الكلام في الموضوع الواحد تختلف ونحن لم نورد الواقع الا بما هي معجزة ودليل لا بما هي قصة وحكاية وما نتجاوزها حتى نأتي حسب الوسع والظروف على فلسفتها وما يتسع لنا من البحث والنظر فيها (والقصارى) ان الجزء الذي يلي اغزر مادة وتحقيقا وانفع اثرا . فعسى ان نجد من ذوي الفضل والغيرة اوتيا حواقبلا يوردنا نشاطا لطيفه ونشره وتعميم الانتفاع به وتعزيز اخويه به وما للتوفيق الا بالله وما المعونة والنصر الا من عنده عليه توكلنا . واليه انبنا . واليه المصير

﴿ بلغت مجموع ملازم هذا الجزء احدى وثلاثين ملزمه في ٢٥٢ صفحه ﴾